

## الكلمة في تشرية الرئيس الجمهورية

تفضل حضرة صاحب القسامة ، الشيخ بشارة خليل الحوري رئيس الجمهورية اللبنانية بهذه الكلمة السامية يحيي صا « الاديب » بمناسبة اغراج هذا الجزء الخاص عن الي العلاء المري . ويسرنا أن نزين على صدر هذا العدد الممتاز شاكركن لفخامة الرئيس جميل عطفه وكريم رعايته لكل جهد ثقافي عربي .



فخامة الرئيس الشيخ بشارة الحوري يتتبع مهرجان الي العلاء للمري الذي اقامته وزارة التربية اللبنانية

اللب سنة تتقضي على ميلاد رجل ، والف عام ينصرم من حياة عبقرية ، فلا تريد السنون المتطاولة اسمه الا اشراقاً ، ولا تصيب الاعوام المتعاقبة نتائجها الا بصقل يحلو تلك العبقرية الفذة .

ان هذا العمر المديد والاعمار التي ستكوه كفيلة وحدها بتمجيد ذلك الرجل وتقديس تلك العبقرية .

ولبنان السباق في جل اعجاد لغتنا ، والمتنبه اليقظ لواجباته في طليعة الشعوب العربية ، لم تفتته للمبادرة الى احياء ذكرى الفيلسوف الشاعر ، وهو في غمرة جهاده المنظر ، في سبيل حريته ، واستقلاله ، وكرامته .

وانه ليسرني ان تكون الصحف اللبنانية عامة ، ومجلة الاديب الراقية بصورة خاصة ، قد افسحت صدرها للساهمة في هذا الواجب القومي ، على اوسع نطاق تتيحها الظروف الراهنة .

وهذا العدد الخاص من مجلة الاديب الزاهرة دليل آخر على تحمس لبنان مهمته ، في صعيد الفكر ، وقيامه بذلك الواجب على اكمل وجه .

وانني اذ اعني . صاحب هذه المجلة الاديب لارجو له ولاسرة « الاديب » دوام التوفيق والازدهار .



دولة الرئيس رياض بك الصلح يتلو من بيانه الوزاري  
الخاص بثقافة لبنان ومعارفه

## كلمة دولة الرئيس للوزارة

وكذلك تفضل حضرة صاحب الدولة رياض بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية بهذه النجدة الكريمة الى ابي العلاء المري والى الاديب ، والاديب اذ تشكر دولة الزعم ، أهل الشكر ، على عنايته بوجه لبنان الثقافي الصحيح ، ترجو ان تكون هذه المبادرة العينية طليعة تنظم اصلاحي شامل لكل شؤون الثقافة والفكر في لبنان .

اذا شاق اللبنانيين ان يعنوا بشكرهم الفيلسوف اجدون عبد الله بن سليمان المري ، لانتقاء ألف عام على مولده ، فاننا يسوقهم الى هذا التكرام شعورنا بضعامة القوية العسكرية التي تركها الجدود للاحفاد ، واذا همهم ان يقاربوا في تجديد الناصر العربي ، والاشادة بالتراث القومي فلكي يتسابقوا في التدليل على حقيقة ذاتهم ، كأمة عربية في اصولها وانسابها ، محيية في تاريخها وآدابها . ان الميري واحد من مئات الجبابرة العرب الذين حفلت الانسانية بثار مبرزينهم ، ونعمت بفيض علومهم ، فغير انه ، وهو المحروم من نعمة البصر ، قد نفذ بنور البصيرة الى اعماق المجتمع ، وسبر غوره ، وذهب في الرأي والفلسفة مذاهب شغلت الكتاب والنقاد ، وتشغلهم الى ما شاء الله . .

لقد عرف الميري قيمة نفسه ، وحقيقة ذاته عندما قال :

والى ، وان كنت الان غير زمانه ، لآتير بما لم تستعنه الاوان ؟

فلا عجب اذن ، ان جد اللبنانيون ، شعباً وحكومة ، لاحيا ، ذكراء ، واستقصاء آثاره ، واكتفاء متاحي الفكر والادب عنده ، ولأجل ذلك نظمت وزارة التربية الوطنية اللبنانية ، في الاس القريب ، مهرجان المري الحافل ، ولأجل ذلك ايضاً ، اصدرت اسرة الاديب هذا العدد الممتاز من مجلته الراقية ، لتنضيف مأثرة جديده الى المآثر العديدة التي يسديها ابنا ، الوطن اللبناني الى لغة الضاد بسرهم على احبائها ، وتعزيز مكانتها ، ونشر آدابها في الشرق والغرب . ولا مرا . في ان هذا العدد الممتاز الخاص بالمري ، دلالة ناطقة بنتاج ثقافي جليل ، تسجله مجلة الاديب ، فستحق على مجهودها أطيب الثناء . .

رياض الصلح

معرة (\*) النعمان مدينة  
قدية من مدن الشام قائمة  
بين حماة وحلب بينها  
وبين الأولى نحو ستين  
كيلومتراً وبينها وبين  
الثانية نحو من ثمانين .  
والطريق الآخذ من حماة

## معرة النعمان

دول مختلفة فكانت ثلثة  
من عمل حماة وأخرى من  
عمل حلب وثالثة من عمل  
حمص ورابعة أقطاعاً  
لامير وكان لها في كل  
عهد نصيب وافر من  
النسكبات من قتل وسبي

واحراق وتخريب ورعي زرع وقطم شجر . وإذا سلست من اذى  
منقلب ثالث قسلاً وافرأ من عبث البداة واهل الدعارة فان ثبثت  
منه احايها حظ عظيم من جور الطبيعة ما بين زوال بقوض اركانها  
وطاعون يقني سكانها وقطع يبيد انسانها وحيوانها فان سلست  
من كل ذلك قضي الله لها من ابناءها من ينوب مثاب المنقلب ويسد  
مسد العيارين والدمارين ويتكاثر اكثر مما يتكاثر الطاعون والزوال  
وهي لا تزال تسبح على هذا المنوال وتحتذي على هذا المثال .

ومن استقرى ما لم يها من الخن والكوارث يعجب كيف  
كتب لها الحارث ولم تقم من صحيفة الوجود واليك طرماً ما نزل بها  
بصورة مجملة .

في سنة ٢٠٨ هـ هب عبد الله بن طاهر حصون المعرة .  
في سنة ٣٤٥ هـ سقطت كنيسة جنانك الكبرى من الزوال .  
في سنة ٨٨٨ هـ حاصر المعرة جيو من محمد التنوخي وطالت الحرب  
بينه وبين واليها ثم انصرف عنها . في سنة ٢٩٠ وقع ابو الجبر  
المؤمل بن المصعب بأهل المعرة وقتلهم قتلاً ذريعاً .  
وقتل صاحب الشامه القرمطي بضعة عشر ألفاً منهم وظل  
يقتل وينهب ويحرق خمسة عشر يوماً .

وذكر ابن خلدون ان ذكورية داعية القراءة سار من  
حمص الى حماة وبعيلك ثم الى سلبية فقتل جميع من فيها حتى النساء  
والصبيان والبهائم ونهب سائر القرى من كل النواحي .  
وفي سنة ٣٢٥ اغارت بنو كلاب على المعرة .

وفي سنة ٣٢٩ ببس فيها شجر الزيتون بسبب الثلج والبرد .  
وفي سنة ٣٥٧ افتتح تقصور ملك الروم المعرة واحرق المسجد  
واكثر الدور واذاق اهلياً من النكال ما لا تحمله الجبال .

وفي سنة ٣٥٩ صالح قروعه غلام سيف الدولة ملك الروم على  
ثلاثة قناطير من الذهب من حق الارض وسبعة قناطير عن خواجه  
بلاد حلب والمعرة وغيرها .

وفي سنة ٣٩٤ حاصرها بكجور واحرق احد ابوابها باب

الى حلب يمر من طرفها الشرقي . وترتفع عن سطح البحر  
بنحو ٣٩٥ متراً وطولها ٦١ درجة واربعون دقيقة وعرضها  
٣٥ درجة و٤٥ دقيقة . وليس فيها ماء يسبح على وجه الارض  
وانما شرب اهلياً من آبار تجمع من ماء المطر ودكاً تلعب من باطن  
الارض منها ما هو ملح ومنها ما هو عذب وبساتينها تسقى من  
الركاب بواسطة دواليب . وليس لهذه المدينة تاريخ مختص بها يستطيع  
الانسان ان يقف منه على ما كانت عليه قبل الاسلام ولا ابقت  
الايلم من آثار عمارتها الظاهر ما يدل على ما بلغت اليه لان توالي  
الكوارث والحروب عليها طمس معالمها وبها آثارها .

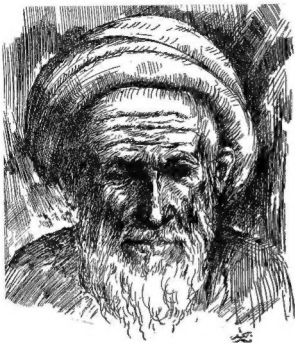
وهذا لا يمنع الانسان من ان يحكم عليها بطريق الاستنباط  
والقياس على غيرها من المدن الشامية بانه من بلاد الشام شاركتها  
فيما تتابع عليها من المصائب من الغزاة والتاجين من قتل وسبي  
وحرق وهدم وما شاكل ذلك من المنكبات التي يتعاقب ذئاب  
البشر وقد شهدت ما يشهد غيرها من القراعة والاشوريين والفرس  
واليونان والرومان وغيرهم لان هذه الاصقاع كانت ولا تزال  
ميداناً تتطاحن فيه المطامع .

وقد عثر المنقبون فيها على شي من المياهي القديمة والمعابد المتهدمة  
والنواويس ومعاصر الزيت والآبار المطوية بالحجارة الضخمة وفيها  
كثير من الآثار المدفونة ولو اتبع لها من ينقب عنها لرأى ما يدل  
على انها كانت مدينة عظيمة أهلتها السكان غنية بزراعتها وصناعاتها  
واهلها يضيفون كل اثر قديم فيها الى الرومانيين .

في سنة ١٥ للهجرة افتتح ابو عبيدة مدينة حماة وسر بالمعرة  
فصالحها اهلياً على مثل صلح اهل حماة ولا استخلف معاوية ولي  
النعمان بشير الانصاري حمص وازاد اليه المعرة فقبل معرة النعمان  
وقبل النعمان الذي اضيفت اليه غيرة وقيل جبل .

وفي سنة ١٧٠ جعلها الرشيد من العواصم ثم تعاقبت عليها

\* يثار قريباً الاستاذ سليم الحندي كتاباً عن تاريخ المعرة وآثارها  
والادوار التي مرت عليها . وقد اختار للاديب هذا الفصل الموجز .



المري بريشة قيعر الجليل

حس. وفي سنة ٤١٧ تصدى صاحب الماخور الى امرأة قتلته الناس واحرقوا الماخور فحاصر المعرة صالح بن مرداس سنة ٤١٨ ونصب عليها الجانبين واعتقل سبعين رجلا من اعيانها وقطع وزيره على اهلها الف دينار فقتل فيهم ابو العلاء فلك الحصار واطلق السجني بعد سبعين يوما . وفي سنة ٤٤٠ هدم سورها خليفة بن جبان .

وفي سنة ٤٥٢ كلف اهلها بعدل السور .

وفي سنة ٤٥٧ صادت اقطاعا الى هرون بن خان اخذها حربا وغزاه . وفي سنة ٤٦٠ غرم تاج الدولة اهلها مبالغ عظيمة ونهب قراها الشرقية .

وفي سنة ٤٩٢ افتتحها الصليبيون فقتلوا ما يزيد على مائة الف وهدموا السور والبروج واحرقوا المساجد ولم يبقوا ذخيرة الا استخرجوها . وفي سنة ٤٩٣ تحالف رضوان ومبارك امير بني كلاب فرموا زرع المعرة واشتد القلا بسبب ذلك .

وفي سنة ٥٢٩ اخذها عاد الدين زنجي من الفونج .

وفي سنة ٥٣١ رماها ملك الروم بالجانبين .

وفي سنة ٥٥٢ خرب اكثرها بالزور .

وفي سنة ٦٤٦ قدمها التتر وهدموا القلعة والسور .

وفي سنة ٦٦١ اغار عليها صاحب سبيل الازمني .

وفي سنة ٦٩٩ اخذها التتر .

وفي سنة ٧٤٨ بينها سيف بن فضل واشياحه واعوانه ودعوا الزور والكرم والقطن والمقاتي وقطعوا السابلة .

وفي سنة ٨٠٣ افتتحها تيمور .

وما بين ذلك وقبله وبعده ذقت الامرين ولقيت الاقوردين وحسبنا ان نجدي. بهذا القدر لنقيس عليه ايامها الحالية .

ذكر بعض المؤرخين ان للمعرة سبعة ابواب احدها باب شيت عند القبر المنسوب اليه وبينه وبين المعرة الآن نحو كيلو مترين وذكر آخر ان قبر يوشع عليه السلام داخل المعرة وهو الآن في آخر طرفها الجنوبي الشرقي فاذا صاح ما قيل فهي مدينة عظيمة وآثار الابنية الشاخصة في اطرافها الى اليوم تدل على انها كانت عظيمة قديمة كما قال ياقوت .

ويظهر من كلام ابن جيد وابن بطوطة وشيخ الروة وغيرهم انها كثرة الاشجار واكثر شجرها الزيتون والتين والنسقي ومنها يحمل الى مصر والشام واللوز والمشمش والفتح والرمان وكثير من الفواكه ويتصل الغاف بساكنيها وانتظام قراها مسيرة يومين وانها اخصب البلاد واكثرها ازقا .

وقد كانت فيها مدارس آتة بطلاب العلم ومساجد عامرة بالمصلين والمعلمين والمتعلمين ثم اصابها ما اصابها مما اسلفنا ذكره فتعرض عرابها وقل سكانها وروح تنبها واخذت في التأخر في عهد الحكومة العثمانية . ولكنها بعد الحرب العامة دبت فيها روح الحياة الجديدة فب اهلها للعمل واستيقظت حكومتها فتحت فيها شارعا يشق المدينة من الشرق الى الغرب وقد قامت فيه ابنية حديثة على الطراز الحديث وانتارت المدينة بالكهرباء . وشرعت في اعداد الوسائل لجرا الماء اليها . وقد عني اهلها بالزراعة فمسي ان تعود الى سيرتها الاولى وتسترد مكانتها السابقة .

ولعل احسن ايام مرت عليها ما بين القرن الثالث والسابع فقد كانت اوسع ماتكون عمرانا وازهر حضارة واكثر رجلا من العلاء والشعرا والحكام والمؤرخين والقراء والمفسرين وغيرهم . ولكن شيئا ابدا العلاء منذ ظهر في هذه المدينة اخمل كل نابذ، وصغر كل عظيم من اهلها وصرف الناس عن النظر اليهم بالنظر الى عبقريته وابداه وشغلهم عن الانصراف الى آثار غيره بالاشتغال في آثاره فكانوا كالنجوم وكان فيهم كالشمس اذا ظهرت اخفى ضوءها كل شارق وقد فطنت الامة وحكوماتها الى جلالة هذا الرجل الغد فشيدت ضريحه على غط يليق به واعادت العدد للاحتفال بذكراه بعد الف سنة من مولده .

دمش - سالم الجدي

# ابو العلاء والمعلم

بقلم الدكتور اسمعيل موسى فيضي

تصدت طلاب العلم ولا ادرى  
للمم باباً بعد ذلك يفرح  
بما تلتى وتحتل اسبابه  
وقضى التأدب والمكلام اجمع  
لم اجد في كتب المتقدمين  
وصفاً لدار ابي العلاء . وكل  
ما قيل انها كانت داراً حصة

ياؤبيا . وقد حجبت سنة ١٩٣٧ الى الليرة وقصدت الدار فوجدت  
في احدى غرفها ضريراً يعلم على طريقة الكتاب ووجدت في اخرى  
شاهدة عتيقيا وثالثة مقفلة مجهزة . وهذا ما رآه الاستاذ سامي  
الكبيسي عند زيارته لها . ويقول الاستاذ ان الترفة الثانية لا يزيد  
طولها على ثلاثة امتار وعرضها على متين .

وعلى كل فقي هذه الدار ذات الترف الثلاث جلس ابو العلاء  
للتدريس . ولعله اتخذ غرفة لمضجعه ، واخرى لمصلاه وثالثة لحجده  
ويستأنس من نص رواء تلميذه ابو زكريا التبريزي انه كان يقعد  
للتدريس في مسجده . وليس ما يتبع ان يتسع المسجد لطلابه اذ  
المقول انهم وفدوا عليه في اوقات مختلفة . واطول مدة قضاها عنده  
احد طلابه - الرئيس ابو المكارم الايجري - اربع سنين . واقام  
التبريزي اكثر من سنتين . توارد عليه الطلاب من اليمن ومكة  
والفراق والجليل والشام وديار مصر والاندلس .  
يزودني الناس بعداً ارضه بين من البلاد وهذا داره الجبش

ولم ير بالمعزة وزير او فاضل الا قصده واستفاد منه او طلب  
شيئاً من تصنيفه . ولكن عله تجاوز من حضره الى من لم يحضره  
فكتب اليه كثير من طلاب المعرفة من مختلف الطبقات ، وواجبهم  
جميعاً لا برسائل قصيرة بل بكتب وافية ضخمة . فهذا ابو يساه  
ان يوافي كتاباً برسمه فيضع له كتاباً - اسمه تضمين الآتي - في  
اربع مائة كراسة . وهذا واضع يستعين به فيضع له كتاباً -  
اسمه المواظ الست - في خمسة عشرة كراسة - وهذا كاتب قليل  
الصناعة يلتبس منه ، يستعين به على الكتابة فيضع له كتاباً -  
اسمه السجع السلطاني - في ثمانين كراسة . وهذا صديق يعتب  
فيكتب اليه «رسالة الغفران» . وهذا مسافر يطلب شيئاً يستعين  
به على شؤون دنياه فيضع له «سجع المضطرين» . وقس على  
ذلك عدداً كبيراً من الكتب والرسائل يشدها بالمرقة والرب عوبانه  
كان معلماً لعدد لا يحصى من طلاب المعرفة .

وعلم الشعراء مكانته (التعليمية) وتمكنه من اللغة والإدب  
فمرضوا عليه شعرهم وحكموه بينهم . فهذا ابو نصر المنازي

تناول الكتاب شخصية ابي  
العلاء من جميع نواحيها ، حتى  
يكاد الباحث الجهد لا يجد  
ناحية خالية من الدرس والبحث .  
وقد رأيت وانا اقرأ سيرة  
ابي العلاء في كتب المتقدمين

ناحية لم يطررها احد من قبل ، اما سهواً واما استخفافاً . تلك  
هي شخصية ابي العلاء المعلم .

وقد بدت لي هذه الشخصية واضحة غاية الوضوح ، طريقة  
غاية الطرافة ، حتى لا أكاد اقول ان ابا العلاء كان معلماً اكثر منه  
شاعراً وكاتباً وفيلسوفاً ، وانه لم يحد على الزمن بشعره ونثره  
وفلسفته بل بهذه الرسائل «التعليمية» التي حملها زهاء نصف قرن  
وجعلت من بيته الصغير «دار علم» في الاسلام ، يجب ان تذكر  
الى جانب تلك الدور التي كانت منسوبة في امهات المدن الاسلامية  
في المشرق والمغرب ، والتي مهدت باذكار روح العلم والمعرفة في  
طلاب العلم في جميع الاقطار العربية لقيام تلك المعاهد الكبرى  
التي نسميها اليوم الجامعات الاسلامية كالنظامية والمستنصرية .  
وهذه النقطة الاخيرة مسألة عرضية لا اصيل البحث فيها .  
ولكنني لا أدتبع في ان مدرسة ابي العلاء هيأت النفوس احسن تهيئة  
للاقبال على طلب العلم بموان هذه التهيئة لا بد من ان تكون لحد  
العوامل الحفية التي ادت الى ظهور المعاهد الكبرى ، والتي جعلها  
التاريخ عادة فيما يعمل من العوامل التي لا يلمسها الناس .

ولعل من حسن التوفيق ان اجد نصاً في كتاب ابن العديم  
يذكر «ان الوزير الفلاحي كتب الى عزيز الدولة ابي شعيب فأتاك  
متولي حلب واعمالها يحمل هذا العالم الى مصر ليبيته له «دار علم»  
يكون متمماً فيها ، وصمم بجزر معرفة النعمان له في حياته وبعد  
وان عزيز الدولة نهض لثبوت وسار الى معرفة النعمان واجتمع بابي  
العلاء . وقرأ السجل . وكتب الى الوزير الفلاحي يستعينه من ذلك  
فاعاه وسرع بترك ذلك كله .

واذا كان ابو العلاء استعفى من قبول هذه الدار فلا شك في  
انه اكر العاقا . في «دار علم» المتواضعة التي كان يتوارد اليها الطلاب  
من جميع اطراف البلاد العربية ، وهذا دليل ساطع ، ولكنه ينهض  
مع فقدان النص الصريح بالتسمية ، دليلاً على ان ابا العلاء ما رفض  
دار القاهرة الا ليعتق في دار المعرفة قائماً بما حوله . ونحن يفد عليه  
من طلاب علم :

يدخل عليه في جماعة من اهل الادب ، وينشده كل واحد منهم من شعره ما تيسر وينشد المنازي قصيدته :

وقانا لغة الرضاء وادب سقاء ضائف الفيت السميم

فيحكم له ابو العلاء انه شعر من في الشام . ثم يلقاه المنازي في جماعة من اهل الادب في بغداد ، و ابو العلاء لا يفرق منهم احدا فينشده كل واحد ما حضر من شعره ، وينشد المنازي :

لقد عرض الحمام لنا بسجع اذا اصنى له دكب تلاحى

فيقول له ابو العلاء : ومن في العراق عطفاً على قوله ومن في الشام . وهذا كاتب بغداد اليه نسخة من شعر البحري تصحح ، فيثبت له الاغلاط كأنه حاضر للقراءة . وهذا امير يبيت اليه نسخة من الحليسة يسأله ان يخرج في حواشيا ما لم يفسره المفسر فيفرد له كتابا مقداره اربعمائة كراسة . وهذا طالب علم من اليمن يقع اليه كتاب في اللغة سقط اوله واعجبه جمعه فحمله معه الى الحج ، وعرضه على الادباء فلم يجد احدا يوشده . فدل على ابي العلاء فاجتمع به ، وعرفه ما حمله على الرحلة اليه . وما قرأ الطالب منه شيئاً حتى عرفه ابو العلاء . وذكر له اسمه واسم ولده وامم له النص : كان ابو العلاء كسائر علماء الاندلس يلم بكل موضوع ، ولكنه تميز باحاطته بفردات اللغة احاطة تكاد تكون منتظمة النظم . وطلعت عليه هذه الظاهرة حتى افسدت عليه بعض كتبه . وقد علم طلابه ما علم . فعلم الحديث والفقه واللغة والشعر وقد يتفرغ منها من نحو وغريب وعروض وما اليها . ووضع فيها الكتب منها ما هو تأليف ومنها ما هو شرح . فشرح كتاب سيدي ، وخطبة ادب الكاتب ، وفسر شعر ابي تمام وشعر المتنبي . وذلك عدا شعره ونثره الذي كان عليه على طلابه . وشرحه لهم ، ويجمعه في كتب منفردة . وتجاوزت رسالته « التعليمية » الافراد الى الجماعات . ونسأل هنا : اكان ابو العلاء معلماً اولاً ومصلحاً اجتماعياً ثانياً أم العكس ؟ والذي اراه ان كلا الرئاستين تتبعان من منبع واحد . فالعلم الحق هو مصلح . والمصلح الحق هو معلم . ورسالة المصلح والمعلم واحدة . واذا خلت رسالة المعلم من الاصلاح كانت رسالة جوفاء . لا ب فيها . واذا خلت رسالة المصلح من التعليم كانت دعوة بلا وسيلة . و ابو العلاء كان معلماً حقاً . جمع بين طرفي الرسالة احسن جمع . علم من طلب العلم من قريب او بعيد . وعلم من لم يطلب العلم لا من قريب ولا من بعيد . وجعل للثاني عليه حقاً كحق الاول او يزيد .

رأى الناس يحكمون بالمطلة بدل العقل فقال لهم :

\* فشاور العقل وارتك غيره هدرا  
\* كذب الظن لا امام سوى العقل  
\* تكذب العقل في تصديق كاذبهم  
\* خذوا في قبيل العقل عدوا بديه

ورأى شرايع الناس افسدت ما بينهم فقال لهم :

\* ان الشرايع التي يتبنا احناً  
\* اوودعتنا افاكين العداوات  
\* اذا رجع الحبيب الى حبيبه  
\* غاوب بالشرايع واودعنا

ورأى الناس يطالبون المستحيل بالمستحيل فقال لهم :

\* انزى بك يا ذوي الالباب اربية  
\* يتركن احلامك غيب الحيلات  
\* وذو الصديق وعلم الكيسانية  
\* كالم النجوم وتفسير النماط

ولست اطيع في شرح هذه المبادئ التي قامت عليها مدرسة ابي العلاء العامة ، فقد تناولها اكثر الذين كتبوا عنه حتى تضمنت شخصية ابي العلاء المصلح وطلعت على سائر التراجم . والكتاب معذرون في ذلك ، لا لانهم جهلوا ابا العلاء العاماً ، و ابا العلاء الشاعر ، و ابا العلاء اللطيف ، و ابا العلاء الكاتب ، ولكن لان ابا العلاء تفرده الرسالة واضفى عليها من روحه ، واكسبها قوة من بيانه . يضاف الى ذلك ان الناس في عصره فهموا الادب فيها ضيقاً ، فهموه على انه بيان جميل رائع فحسب . وغموا التعليم فيها قاصراً ، اذ حجبوه وسيلة لنقل المعارف فحسب . فجاء ابو العلاء وابان لهم رسالة الادب ورسالة التعليم كما يجب ان تكونوا . فبهتهم حيناً وجرهم وانار اعمقهم في سائر الاحاديث . لتوازن بين شعر ابي العلاء في الزواجيات وبين هاتين البيتين اللتين اوردهما بدع الزمان معاصر ابي العلاء . على لسان ابي الفتح :

الناس حمر فجوز وبرز عليهم وبرز  
حتى اذا ثلث منهم ما تشبهه فنور

وعلى ضوء هذه الموازنة يزداد فهمنا رسالة ابي العلاء ، المعلم الحق ، ونراها اشبه بالبرق الالامع في فضاء الفطالت . وكيف كانت علاقة هذا المعلم بتلاميذه ؟

لا شك اولاً في انه لم يتقاض من تلاميذه اجرا على تعليمهم . بل نحن نجد غير نص يشير الى انه كان يجري على جماعة منهم رزقا . وقصة ابي زكريا التبريزي شاهد صدق على ذلك . فقد روى انه حين قدم عليه اعطاه صرة فيها ذهب لينفق منه عليه وليتفرغ هو الى الاستفادة . فاخذ ابو العلاء الصرة ووضعها عنده . وتقدم الى وكيله واجرى للتبريزي ما تدعمر اليه حاجته فتناول ذلك مدة مقامه في المرة ، وهو يظن انه من ذهب الذي دفعه الي الشيخ . فلما اراد الانصراف الى بلده دفع اليه ابو العلاء صرته بعينها . فحاول التبريزي ان يحمله على اخذها فامتنع .

# سِرُّ أَبِي الْعَلَاءِ

فرض له مراجعة

لم لم يزوج ؟



بقلم أمين الغزلي

الاستاذ في كلية الآداب  
في جامعة فؤاد الاول

الفلاسفة ، ولا الزهد ؟ ولقد المانع اثره النفسي  
الخطير الذي لا يحصى .

• - ابو العلاء رجل وجدان ، دقيق الحس  
عميق الادراك ، صادق التعبير جداً ، جريء  
التعرض للمعاني والمخاطر ، لم يسد الى تقيّة ولا  
استغناء ، قوى البقعة لنفسه ، قد صورها في آثاره  
ادق تصوير وامرجه ، وقد كاد ابو العلاء  
يكون ، بل قد كان في الادب العربي ، الرجل  
الذي وجد نفسه وتحدت عنها في صدق موثر ،  
وشجاعة باهرة ، وبذقة تثير الإعجاب ، فما جعل  
نفسه قيادة لأطراب الآخرين ، ولا نأيا تصرفه  
رياح اهوائهم او إجماعهم .

والنتيجة الخامسة من هذه النتائج ، غدت معدادها  
في فصل من بحث الاستاذ ، عنوانه « بين قول  
ابي العلاء وفعله » وقد خص « الادب » بالنسب  
المحاسن هذا الفرض في تحليل عدم زواج ابي العلاء ، وفيه يقول :

« وضع « حزن الجبل » - شرح فيه شيئاً من كتاب الجبل - لحادمه  
واين حادمه الى الفتح ابن ابي هاشم . وسم كتاباً من كتبه  
« بالختصر التلخيص » باسم ابي الفتح السابق . وذلك عما ألف  
لعلابن شق من غير تلاميذه .

وقد كنا نحسب ان رجلاً في علم ابي العلاء ، ومزاجه وحاله  
الجسماني معرض لغرور يكتابه ، او لفظة نائية يوجبها في حال غضب  
أن يجب عليهم احتمالاً من قريب او تليف . ولكنه يرى . من هذا  
براءة صاحب الرسالة العامل بها او قل براءة المعلم الحق الذي يأخذ  
نفسه بالتفاضل قبل ان يأخذ بها غيره .

ولست مغالياً بقولي ان ابا العلاء المعلم المصلح التاثر على الترهات  
والإباطيل ، الساخط على النظام والأكام ، هو ابو العلاء الحق ، وهو  
ابو العلاء الحاد الذي الزمن وهو ابو العلاء الذي تذكره كلما افنت  
القول وذرت قرون الشياطين ، وبني باغون افكون او دجالون .  
فما احوجتنا الى رجل جريء صريح مثله ! وان كنا لا نجد في  
هذا العصر نظيراً لابي العلاء . فلنقرأ كتبه لعل فيها بعض الفراء .

اعد الاستاذ امين الحقلي كتاباً عنوانه « راي  
في ابي العلاء » وهو بحث دقيق ولهم ينبغي الى  
تقرير نتائج تلخيصها للراء . فيما يلي ، الى ان يروا  
معدادها في الكتاب الذي سيطلع قريباً :

١ - ابو العلاء لم يغف في مسألة المعرفة ومنهج  
التفكير عند راي بيته ، بل ذكر كل ما فيها من  
آراء متباينة .

٢ - ابو العلاء تتمايل آراؤه في كل شيء  
عن الدين والدنيا ، حتى ليستطاع وضع ثبوت  
بنتائج معانية التي قال فيها نعم ، كما قال لا ،  
وأكثر منها .

٣ - ابو العلاء خاضع لناموس التنسي العام  
- ناموس مركب النعم - في حياته كلها ،  
وجده الحال التنسية يعل تتمايل آراؤه .

٤ - هل ابو العلاء قد منه من الزواج والنسل ، مانع جنس ، لا

ويبدو بره بتلاميذه في رفقهم وعطفهم عليهم . ومن ذلك  
ما رواه التبريزي انه بينما كان قاعداً في مسجده يقرأ عليه شيئاً من  
تصانيفه دخل فجأة جاره له من بلده فتغير من الفرح . فقال له ابو  
العلاء : ما اصابك ؟ فحكى له انه رأى جاره بعد ان لم يلق احداً  
من بلده منذ ستين . فقال له تم وكلمه . فقال التبريزي حتى اتم  
السبق . فقال ابو العلاء : تم انا انتظرك فقام وكلمه ثم عاد .

واراد حصاده ان يدسوا له في غير مسألة : فكانوا يغرون  
بعض طلابه يذمفون عليهم الاستاذ ليجروه . وكان هو يدرك  
ذلك فلا يشور ولا ينفذ ولا يزيد على ان يهدد بفراقهم .

ولم تعلم انه كلف احداً من تلاميذه ان يسخ له . وانما  
وكل ذلك الى اقربائه ومن في جرابته . وخص ابن اخيه ابا محمد -  
الذي تولى قضاء المعرة زمن عمه - بكتاتبة الاجازة والسباع . وحتى  
هؤلاء الاقرباء والتساخ تالوا فوق ما يجب لهم من الشكر والمطام .  
وقد اعتبر جيل ابن اخيه ابي محمد كسجبل امه .

ولكن اسمى مظاهر البر بتلاميذه يبدو في هذا العمل الذي  
لا نجد له نظيراً في ترويج المعلمين ذلك هو تأليف الكتب برسمهم  
وعلى اصحابهم . فوضع « ضوء السقط » لتلميذه ابي عبد الله الاصبهاني .

اسمى موسى الحبيبي

الفردس

... اما قناعة ابي العلاء. بما كان يصيب من رزق جار محدود،  
فشي. قريب من كان له مثل حال ابي العلاء النفسية، ولكن هذا  
الرزق كان - كما قلنا قريباً - يكفيه مع زوج بدل الخادم، فلم  
لم يتزوج ابو العلاء. ؟ اكان حقاً يرم السبل كما تقول هذه الاخبار ؟  
اكان ذلك رأياً فلسفياً له ؟ اما فلا اتفق عند ذلك ولا اتقنع ،  
بعد الذي رأينا من مختلف رأيه في المرأة وفي النسل، كما في غيرهما .  
فلماذا جانب ابو العلاء المرأة ؟

انه يتحدث عن زواجه في التزويجات ، فلتتبع متفرق هذا  
الحديث ، لعائنا نظرك منه يجواب .

هو يقول :

انا للضرورة في الحياة عارون ما ذلت اسبح في البعاج الموضح  
وسرورة في شيمتين ، لاني مذ كنت ، لم احبب ولم اتزوج

ثم يقول :

اسير عن الدنيا وما انا ذا كر لها سلام ان احداثها حس  
سرورة ما حاليها ما لكماجا ولا الركن تليل لدي ولا حس  
ولم ادرث النصف الفتاة ولمرث في الربح بل دبح غاؤل او غنى

فهو يجمع بين الحلي والزوجة ، في انه ضروري عنها ، وعقارب  
للضرورة ، كما يجمع بين الحلي والزوجة ، في حديثه عن غيره من  
يصيبونها وليسوا بأغنياء ، اذ يقول :  
قد يصح الفتى ، وبني بعرس وهو من سررة اللجين سرورة

وهذا الجمع بين الحلي والزواج يلفت النظر ، ويثير السؤال ،  
أهو بقدر الاستطاعة في العليلين ولا يد له بها ؟ ام ماذا ؟ لقد بين  
هذا في الحلي يوضح اذ قال :

لا ملك لي واري الدنيا تحاصري وما حبيبت ، وقد لاقبت احصارا  
والاحصار هو المنع من الحلي لعجز او مرض ، يعقد له الفتاة .  
فصلا في كتاب الحلي يبينوا احكامهم . ونحن نعرف ان ابا العلاء  
محصر عن الحلي بضعه وعجزه ، اذ لا يستطيع بنفسه كما يقول .  
وأغلب الظن انه لا يجد في كبرته القدرة على نفقة السفر لعملائه ،  
وهو يتحدث عن الحلي والعجز مرة اخرى في قوله :

ولم اغنى فرساً في بني بلادها وكما عاجز قد زارها شتافلا

وقد تكون فيه اشارة ما الى عجزه عن الحلي . . .

كل هذا لفت نظري الى فرض : ان ابا العلاء قد عجز عن الحلي

والزواج او احصر كما يقول ، ما دام يحجمها هذا الجمع وهو فرض  
لا بعد فيه . ولو تابعت البحث عن هذا الفرض في شعره ، لوجدنا ابا  
العلاء يتحدث عن اسرار في حياته ، تارة تكون اسرار الكون ،  
والمعرفة ، وتارة تكون غير ذلك . ومن حديثه في الاسرار قوله :

طوى عنك سرّاً صاحب قبل شبيه فلا اغفل عنه الشباب جلاد

فهل يكون هذا السر الذي جهر به في شبيهه ، متصلاً بشبابه  
والزواج ؟؟ ممكن ان يكون ذلك . ثم هو في حديثه عن حياته  
سامرياً - ( أي وحيداً ) يقول لامساس ، كما قال السامري في بني  
اسرائيل - يعود للذكر سر فيه عنده فيقول :

ولم يطل سامري حديثي بل عشت في الدهر سامرياً  
لو علم العاذلون سري لاصبح اليوم عاذرياً

فهل هو السر الذي يس الزواج ؟ قد يرجح هذا ، اذ هو  
يعمل الوحدة السامرية ، وبين عليه كل ما سبق من حديثه عن  
الزواج .

ونحن قدما فزاء يقول جهره - في صراحته ، وشجاعته التي  
جفتها ، وفي فحمة التي اودع بها خوارطه آثاره الادبية - يقول :  
ولم ياتي لي مرة اجري مواني فلياً مني مواني  
وحدي سر بي الحديث كنت عنه في المايلين النواني  
اذا زلة لم يمي بالنبات قد جهلت ان سفتا السواني

أفلا يرجح هذا ان السر يخص الزواج ، وانه محصر عن الزواج ؟  
وهلا يرى في البيت بعده ، عن المرأة المحببة ، لا صواب في سفتها ،  
ما يرجح هذا ؟ لا تتخرج من ان ارجح واطبق ، الي ان ابا العلاء .  
قد منعه من الزواج مانع مادي ، وانه احصر عن الزواج احصار  
المحصر عن الحلي . وفي كل حال ، هو فرض في فهم الايات الماضية  
أضعه بين أيدي المدارس ، ولهم رأيهم في قبوله او رفضه ، اما  
انا ، فباطناني اليه ، ارد سلوك ابي العلاء في الزواج والنسل ، الي  
سبب مادي جسي ، لا لزه ولا فلسفة . . . وحين يصح هذا  
التعليل ، يفتح آفاقاً من البحث النفسي لبيان آثار هذا المانع ، وهي  
تؤيد الحساسة النفسية السابقة ، بل تستغل هذه الظاهرة بالتعليل  
والتيين لنفسية الرجل . . .

ابن الحولي

الفاخرة



# عِزَّةُ أَبِي الْعَلَاءِ

بِقلم الأديب يرمضا قميذ

استاذ الفلسفة العربية جامعة القديس يوسف

لبثته ضوضاء الحياة قال عنها واضرد  
وفدا جادا لا يهن ولا يميل الى احد ا ( نيسه )



عصر صاحب قاتق ، طأنت فيه شهوات الحياة ،  
وكثر كذلك النزاع والفساد ، رأى ابو العلاء  
نفسه اوهى من ان يصارع الناس ، وافقر من  
ان يتمتع بملذتهم ، واقطن من ان يتفرد برأيهم ، فاعتزل الناس  
ببغى النجاة من اذاهم ، والتخلص من غناء مخاطبتهم ، وما درى  
اناسمود بعد الف سنة ، في عصر اضيق من عصره ولاقى ،  
فندعوه الى عالم الاحياء ، لنصني اليه ونحدث عنه ، او نقول فيه  
ما يجب وما يكره .

اعتزل ابو العلاء آخر سنة اربع مائة ، وعاش نحو نصف قرن ،  
بقية الناس بيت حقير ، ويحرمه الجمل بصر غائر ، ويمتعه الافلات  
جسد جان : سجون ثلاثة انطوت عليه ، وكأنها اكفان تعاونت  
الاقدار على نسجها .

ولكن لم يختار ابو العلاء هذه العزلة ، ورضي عن هذه  
الاكفان ؟ انه كاد يبلغ الاربعين ، وقد خرب الحياة ، وعرف الناس  
وطاف عراصم الشام ، وزار آخر ما زار بغداد ، حاضرة الفكر  
الكبرى ، فهل شبت نفسه الحياة والبشر ، واتقمت خيرات  
الارض ، فتوحد زاهدا ناسكا ؟

انك قد تتوهم ذلك لاول وهلة ، وربما تقادى بك الوهم غلت  
ايا العلاء . من هواة الكلل او طلاب الآخرة ، ولكنه وهم محض  
فهذا الحارب من الناس يشد في وحدته . ما لم يجده بينهم ، راحة  
القلب وهنا .

في الوحدة الراحة المثلث ، فآخي بما قليا ، وفي الكون بين الناس التثايل

في الناس اهواء قديمة تسعى بهم ، اهواء منهومة تعلمهم بالذلة ،  
وتقربهم بالتي ، ولكنها لذة ابدأ فائنة ، ومعنى ابدأ هاربة  
اذا اجزت مدى منها رأيت مدى . . .

وهو قد جارى هذه الاهواء ، زمنا ، وأمل الهنا . وبلوغ الاماني  
ولكن خدعته الحياة ، آلمته وسخرت منه ، فنظر شاكيا مدعورا  
نقرة الطفل من خدعة امه .

فلسفة الشرقي تاريخ قلبه ، وقلب ابي العلاء ، يوم عساد من  
بغداد ، قلب حائق مكسوم ، واشلاء آمال غالية ، لهذا يستكون  
فلسفته في الحياة حنقا وموتنا ، وعلاجه لاهوائه حنقا وقطعا ، مهما  
كلفه ذلك من وحشة وحرمان .

من اهواء الناس القديمة حب الفنى ، يرومون منه رخا . عيش  
وضمان غد . وهو لقد صبحه مدة هذا الداء ، وقاده التفرود الى  
بغداد نفسها عك يخطئ هناك بلال الوفير . ولكنه اراد النسيان  
وأهل الاسباب ، اراد المال ورض بنا . الوجه ، ورائفة الشاعر ، فلم  
يسأل ولم يمدح ، وعاد كما ذهب عديا لو كالعديم . اما اليوم فانه  
يعود الى فلسفة الشرق القديمة : القناعة غنى . له وقف يدور عليه  
تلاين دنيارا في السنة ، فيستعق بهذا الربع الزهيد ، ينال به قوت  
اليوم وتوينا من القلق الحشن . سيعتاض عن الحرمة بتقطره السماء ،  
وعن حلم الحيوان وتناجه بتأثره الارض من عدى وتين وبقول ،  
لان كل ذلك من حظ المالك الكثير ، ولانه بعد حريص على عقله  
من المسكر ، حريص على الرفقة بجيوان مظلوم كضطاء العالم  
المظلومين . وهكذا سيعيش قنوعا بما لديه ، زاهدا فيما سواه ، لا  
يقلقه هم الكسب ، او تذلة هبة بشر ، وسيشفي من داء الفنى  
القديم :

الحمد لله قد اصبحت ذا دعة ارضي القليل ، ولا اعم بالفوت

على ان هناك هوى اعنى من حب الفنى ، وابتغى على الايام ،  
مها الفنى من خيبة وضادف من ألم ، هو هوى القلب يبيت ابدأ عن  
الحل الوفي ، والزوج الايمن .

وابو العلاء لم يسكن صخرة صماء ، بل قلبا رقيقا حساسا ،  
يشعر بالآس والالفة ، ويشعر بالحاجة الى قلب يشاطره الآلام ، ويد  
تمسح دموعه . ولكن يجلى عليه الدهر بالصدق ، فحار في نفسه :

أستغل الناس ظله ، أم الصداقة وهم ونفاق ؟ انه قد لا يكون خفيّاً على الناس ، ولكنه لم يرق في صداقات الآخرين - وما أكثر ما تطعم ! - سوى رياء متردد ، وإثرة كاسية :

وما تحسن الأيام ان ترزق الفتى - وان كان ذا حظ - صديقاً يوافقه بضاحك خلّ خله ، وضمره عبوس ، وضاع الرد لولا مرافقه وانكش أبو العلا ، يائساً حائقاً ، مغضلاً استتوار القلب الموحش ، على قلق الأمل المندوع .

ولم يكن أبو العلا ، بأقل حاجة الى عطف زوج رؤوم ، تحنو عليه اذا دهمه شر ، وتعذي فؤاده اذا ألّه الفراغ ، وكان يرى في الزواج تألف قلبين يتبادلان الحب والنعيم ، فشجب تعدد الزوجات والحياة على الضرائر . ولكن أسباباً قوية حالت دون زواجه ، أسباباً مادية وروحية معاً . رأى المرأة في عصره ، عصر حضارة شائخة ، وفساد طام ، وأخلاق باثرة ، غريبة ما رأه . وأصافته خطرة ، ولها ومشاعاً ، تقصد الحلمات العامة لرفقة في النفس ، وتخرج الى الأعراس ضاللة للناظرين ، وتؤم إياكن الصلاة مبهوداً يتأزع ربه ، وتصدى الزائر والجدار غواية وسحراً . ان هي الا اغراء ، صارخ وشهوة تسعى . اما هو فقد فاته الفتى والجمال ، وخطأ به العمر ، فمن أين له إشباع رغائب زوج ، وفجأة امانتها ؟ من أين له القيام بأعباء أسرة ، وهو العاجز عن القيام بأعباء نفسه ؟

المراة هناك ، مرة ، رفيقة مؤمنة ، ولكن المرأة « غيبات كثيرة » وعبّ ثقيل ، وقلب متطلع ، وأثر أبو العلا ، مرة ثانية وحشة القلب الحالم على رغبة الزوج المندوع ، وهم الوالد المول :

وهو ابنزاد الحوادث اني وحيد اعانيها بغير حيل  
قدمي واموالا امارس ضحكها واباك حي لا تنف بيماني !

هذا هو النظام الذي سته أبو العلا . لنفسه في عزله . لا غنى ولا صديق ، لا زوج ولا ولد . يد فارغة وقلب خال . شهوة عامدة ودوح لا تحس . وكان صلابة الجماد غاية ما يصير اليه : من لي جسم لا يحس رغبة لكن يد كتبة او جسد ؟

والآن ما عسانا نقول في هذا النظام ؟ نحن لا نضر لابي العلا شرأ على زهده بالمال ، فهذا الزهد حماه من الحركة الباطلة ، وحمى شعره من المدح القارغ ، فكان لنا شعر فلسفي ، وفن خالص .

على اننا لا نجاريه في تشاؤمه ، لا ننشركه بآسؤه من وفاة الناس ، وسوء ظنه في طاهر المرأة وامانتها .

الوفا . هبة سامية ، وبالنسبة لصفة نادرة في البشر كالجنح والنوغ . وقد كان العرب انفذ الناس بصراً في فهم هذه الناحية من الوفا ، فأكبروه وعظموه ، وتقلوا بإبنائه النادرين . كل يحدنك عن وفائه ، وعن خيانه الآخرين ، والحق ان الحياة لم تعد جميع الناس ليكونوا أوفياء . فثبتت اولاً من نعمة الحياة عليك ، والمطلب الوفا . في اهلك ، اذا اردت السلامة من مرارة الحية . وان لم تنعم الحياة ، فلا تكن ظالمًا ، لا تطلب من الناس ما لا يطلبه من نفسك ، او ما لا يستطيعونه . وربما كان على ابي العلا ، ان يقتنع بالقوافي الصير كما قنع بالمال الصير .

اما المرأة فهي ابدأ حديث الناس ، وموضوع تزاعمهم . وهي خليفة مزهوة ، يؤلمها الاعراض ، ويقتنها اهتمام الرجل بها ، والتحدث عنها اطراها او تغم عليها . وهذا الزهو لطال ، يجيب عن الرجل ما فيها من تقان وحنان ، ويحمده غالباً عن نواياها ، فيترجمها شهوة دنسة ، يوم لا تدري ان تكون سوى ألهية للعين ، وزينة الحياة الدنيا . ولعل لحقد ابي العلا ، على المرأة صيباً آخر ، هو امله الضئيل بالخطوة لديها :

ولم اعرض عن اللذات الا لان خيارها عني خشنه !

ولكن لا تنقبن على ابي العلا . ان هذا المتبذل قد فرغ من ملاهي الزواج واماته ، وانصرف الى قلبه يستعطر مسافيه من ياس وعرارة ، وإلى عقله يصفي مسافيه من اختبار وتفكير ، ليسكب كل ذلك في شعر خالص جمالاً وفكراً . وان ابداع الجمال ونثر الفكر لأجدى احياناً من اعطاء النسل وتكثير النوع .

وقد لا يكون هذا الخلق الفكري سوى حيلة من حيل الطبيعة . انه يوم انكش قلب ابي العلا ، يائساً من البشر ، ناقاً عليهم ، أطل عقله يرسل فيهم النور صلات صافية ، وعلاقات جديدة ، لان الانسان اعجز من ان يبنى الناس . وقد استهوى البشر هذا النور ، فاذا تلامذة يترددون الى ابي العلا ، ويراسلونه واذا به يفتح لهم باباً ، ويبي عليهم شوره . هو القلب يضيق الحدود ، ويضع الحواجز ، اما الفكر فينتفض ويهدم ، ويرح من جو حراً طليقاً .

وانها لغزلة مباركة حرمت ابا العلا . بعض انس وبعض هتا ، لتنعم عليه بالانتاج الخصب ، والاسم الباقي ، وتنعم عليه بفكر غني قلبي ، هو من اطراف ما ابدعه عقل عربي خالص .

الادب يومها فبر

# أبو العلاء يكتاف الحياة

بقلم الأستاذة نيرة الشامي

ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الاول



واخذته بالقسوة والعنف ، ولذاته يعشون ويلهون فارغي البال من هموم العيش ونكد الايام .

ومضت اعوام شرة ، اخذ الصبي نفسه خلالها بالجهد والاستسلام وتكلف الشجاعة والصبر لكنه لم يكند بتجديد للمحنة ويمتادها ، حتى دهمته فاجبة الية اذهلته وهاجت احزان ماضيه ، فنكأت الجرح وما كاد يتندمل . رحل عنه ابوه الى غير رجعة فولى معه الرفيق الكريم والضيق البار .

هالك وقت الفتى في تيه الحياة يقتند العصا التي كان يتوكأ عليها ليوتد يديه في الظلمات ، فألقى يده منها فغراً ، واذا به يجرط في التيه حثالة جرحها مشبواً .

ولكن بدأ كبرية رفيقة امتدت اليه فردت اليه بعض الجلد وبض النزاء ، وانثنت الى كلومه تأسوها في حنان الانوثة الرفيعة وحب الامومة الباردة . فصدقت التقي لمأساته وتجد لها مرة ثانية ، واتبعت فيه قوى جديدة تقوى بالتضال . واشرفت في دنياه المظلمة بارقة أمل ، فواجه الحياة متجدداً شجاعاً - واندس في دنيا الناس بفرض نفسه عليها وينتصب مكانه على مائدة الحياة . مد ان مخي عنه . روى المؤرخون انه « كان في اثنا شبتيه يجالس الظرفاء ، ويتصرف في فنون الغزل والجد ، ويلعب القرد والشرطنج ، ويقول انه يحمد الله على العبي كما يحمده غيره على البصر » .

وقد غادر قريته بعد ان ثوبا خمس عشرة سنة لدهاءها في التضال بينه وبين نفسه وجمع امره والترويض بما يحتاج اليه من حدة وعزم للتضال في دنيا الناس .

خرج الى بغداد آخر سنة ٣٩٨ هـ ، وانما يومئذ لعروس الدنيا ، ومركز الحضارة الشرقية وملتقى الزواد والتجار ومقام الاشراف من العرب والعجم ، ومقصد الشعراء والرواة والعلماء والفقهاء والطلاب من جميع الانحاء .

- تشاوم الى البلاد ورده الى دواحيه
- متابعه في حياته الخاصة
- تضال مع الدنيا وهزيمته في هذا التضال
- سوء الحياة العامة في زمانه ومكانه .

خرج ابرو العلاء يوتاد آفاق الحياة الانسانية باحثاً متأملاً ، وتصدى واجبة مشكلات هذه الحياة على ما فيها من حدة وتقيد وغرور .

لم خلق الانسان ؟

وماذا يلقى من متاعب الحياة ؟

وماذا يفتقر من الاخطاء ؟

والى اين المصير ؟

ومن الطبيعي ان تكون نظرتة الى الحياة الانسانية العامة ، متأثرة بحياته الخاصة ، ومن ثم نرى ان نلم بهذه الحياة الخاصة ، وتؤصد ما فيها من متاعب قبل ان نصعبه وهو يمتاز بمراحل الحياة الانسانية ويوجد متاعبها واخطاها .

حياة الى العلاء ، شاحبة عابسة ، استقبلته الدنيا والشمس تتحدر الى مغربها والكون يتشبع بفلاحة شاحبة من اضواء غاربة ما لبثت ان ذابت في ظلام ليلة حالكة من ليالي المحاق قالوا : كانت ولادته يوم الجمعة عند مغرب الشمس ثلاث بقين من ربيع الاول سنة ٣٢٣ هـ .

وعجل القدر بتأسيته فاعتل علة الجدري التي ذهب فيها بصره سنة ٣٦٧ هـ وهكذا شاع الظلام في دنياه وهو بعد طفل يستقبل الحياة واسدل بينه وبين الدنيا ستار حالك السواد قبل ان يمضي من عمره اربع سنوات .

استقبلته الايام عابسة وكشفت له عن انظلم جانب فيها

لماذا خرج الى بغداد ؟ - سكت ياقوت فلم يزد على ان يسجل الرحلة ، وهكذا فعل ابن خلكان وان كان قد جعل الرحلة اثنتين ، وتبته في ذلك جرجي زبدان ، ونقله عنه ابن العماد في شذرات الذهب . كذلك سكت الخطيب البغدادي فلم يذكر لنا فيم كانت الرحلة الى بغداد .

وردتها دائرة المعارف الاسلامية الى « اسباب مجهولة » وان لم تستبعد ان يكون في شبابه قد شمر بقيود الحياة الريفية وتوزع الى ميدان اوسع تقدر فيه مواهبه .

وذكر الذهبي انه سافر اليها متظلاً شاكياً ، تعرض صاحب حلب لما في يده من الوقت الضليل . وهو سببشك فيه مرجليوث وسلامون والدكتور طه حسين بك ، لاسباب اوردتها في كتابه « ذكرى ابي الملا » .

ورد الدكتور طه حسين تلك الرحلة الى اسباب اخرى ، قال انه « يعتقد ان حب العلم وطالب الشهرة وسعة العيش وبغض الحياة السياسية جلب ، هي التي كومت في نفس ابي الملا ، عزه الرحلة من بلاد الشام الى بلاد العراق »

وقال مرجليوث : لقد يقبل ان ضياع وقت الشاعر صيباً من اسباب رحيله من الحيرة ، ولكنه لا يخطئ في ان الرحلة الى بغداد لاستردادته . ورسالته واثره لا تفكر لنا في هذا الوقت . وفيه مستغرب ولا شاذ ان رجلاً ظفر بحظ من الشهرة ، ويضرب في ان يحرق حظه في الباطية .

اما ان ابا الملا كان يبغض الحياة السياسية في حلب ، فأسر لانكش فيه ، واما هذه الثروة التي راح ينشدها في بغداد فاسر غير مستغرب لولا ان ابا الملا نفسه قد ألح في انكار انه ذهب يستكثر من الثنى وهو يقول : واصلت ما سافرت استكثر من الثنى . وهذه جملة املاها مطعناً زبينا منصرفاً الى نفسه وخوطره املاها في رسالته الى اهل الحيرة ، وهي رسالة مطعنة لم تصدر عنه سريعة ولا ممتلئة ، وانما صدرت عن روية وتقدير ، كان رأيه فيها : « ليس ينتج الساعة ولا ريب الشهر والسنة ، ولكنه سيليل الفكر الطويل » .

ابو الملا كما رأيت ينبغي ان يكون قد سافر يستكثر الثنى وهذا يبدو غافلاً لرأي الدكتور طه حسين بك . ولكننا لا نبريه ابا الملا من الرغبة في سعة العيش وان كنا نصدقه في قوله انه لم يسافر استكثاراً من الثنى ، فليس بعيد ان يكون قد رغب في الثروة ولكن الثروة لم تكن غاية بل كانت وسيلة الى غاية اخرى

كان يرجوها في بغداد . والا لبتني في بغداد حين عرض اهلاً عليه امرالم عرض الجدل ، فوجدوه غير جدل بالصلات ولا هش الى معروف الاقوال .

ما هذه الناية البعيدة التي راح ينشدها في بغداد ؟

حب العلم وطلب الشهرة ؟

نعم ولكننا نضيف اليها غاية اخرى تنلسها من حاله النفسية في تلك الحقبة الفاصلة بين طوري حياته .

كانت غايته تأييد نضاله مع الدنيا ، واعلان الناس بتفوقه وامتيازه .

يبدو لنا من تفهم حاله النفسية وطول صحته انه خرج الى بغداد يؤيد نضاله على الدنيا ، وانتصاره عليها ، هذا النضال الذي بدأه في شبابه وتخلل لنا فيه ، تحديه لدنيا وتظايره بالاستخفاف بتأثيرها . ولقد سمعت مسارواة المؤرخون عن مجالسة الطوفان ، وتصرفه في ذون الهزل والجد ولعب القرد والشارنج ، وحمده الله على الصبر . وظهر هذا النضال واضحاً في شعر الشباب . فقد قال في ذلك العهد :

وقد سار ذكرى في البلاد ان لم  
يتم اليك مني شيء من  
والى وان حشيت الصبر رباته  
ولي تطلق لي عرض في كثرتي  
لدى وطن يشبه كل سيد  
سلس وسي في اسي نمرنا  
وطال اعتراف بالزمان ومرفه  
فلو بان عصدي ما تألف منكبي

هذا هو حديث النفس التي تناضل عن حقها في الحياة وتعلن بامتيازها وتفوقها ، وتتحدى الايام ببعجزها عن النيل منها ، مهما اكثرت من مصائبها والتقت من احكامها .

مثل هذا خرج ابو الملا الى بغداد . خرج يؤيد نضاله على الدنيا وانتصاره عليها . خرج يعلن الناس بمكانه ويفرض نفسه عليهم ، ويدفعهم الى الاعتراف به ويعرض طبيعته المتأخرة وذكاؤه النادر ، ليثبت ان الايام لم تنزهه وان محنته لا تحول دون تفوقه وامتيازه .

واذكر هنا ما رواه ياقوت ، عن قصة الكلب : قال انه دخل على الشريف المرتضي وهو ببغداد فعثر رجلاً قتلاً من هذا الكلب ؟ فاجاب ابو البلاد : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اصلاً !

تلك قصة اوردتها ياقوت في معرض الحديث عن ذكائه ونقلها

الذي اجمع امره على الرحيل والعزلة . اجل ، لم يكن رحيله عن بغداد حجة حين اذبحه مرض امه ولم يكن اجماع امره على العزلة ، تنجح الساعة ، ولكنه سليل الفكر الطويل ، ثم كان مرض امه وعجز ثورته الضئيلة عن مؤاساته على العيش في بغداد فجعل بالسفر . كان في نيته ان يرحل دون ان يحدد متى وكيف ، فجاء خبر مرض امه ، مؤذناً بموعد الرحيل .

اخذ الطريق الى امه وان نفسه تنهف الى ساعة يلقاها ، فيفرق آلامه في حنايا الكبير ويستمد السواى والا زاء ، وعادته ذكري ما لقي في بغداد ، ولكنه انهمم بذكري امه ، ومثل له ما سوف يلقى من نعم وراحة بين احضانها ، وانه لائق في تأملاته ، متمم باحلامه ، اذا ماتت امه فتداعى للصاب وقت المساء . صفا الرجل من غفوة احلامه على صوت الفاجعة الجديده فادرك في بقعة مياغنة انه ضائع الحيلة امام مصائب القدر وكوارث الايام . هنالك هزم على وضع حد للتضال الذي ارقعه ، ومضى يسهم بكلمات ناعية ، ويلو بأحزانه ويثقل بصغورها ، وكأنه يشوي . فطمها « ياقلب لعل اسردك زحجي من ولد حام . . . لا تبش لأول من فعل معك الجيل ؟ ألا تجزع من تقوؤ الاقربين ؟ يا فعال ألم يمزك مثل الشيخ ؟ يا بخت يجهل الناس ، وان لحاقى بالظامن نوشيك . عند الله الجليل ما رزقت من اهل ولقيت من هم كاد الغريب له يشيب . وتعب يسبح الله في الاعضاء » .

رحمك الله من ساكنة رسم ، اصبحت حيالك كأمس فان ينقطع منك الرجاء ، فانه سيبقى عليك الحزن ما يرى الدهر لا أمل بعدها خيراً ، ولا ازبد في الحن الا ايضاعاً وسراً . يا سلاوة الايام . وعليك الحشر . وعد والله بعيد . . . وحزني فقدتها كنتعيم اهل الحجة كما نفذ جدك ، وشرحه املاال سامع وانفساء زمان » .

هكذا انتهت الرحلة وآوى المتعب الى بيته فاذا الظلام يكتشفه . وقد اخضت منه الابتنامة الوحيدة التي اشرقت في أساء ، وتلاشى شعاع النور الذي اضاء في حياته المظلمة آب المسافر من سفره وحطاله بعد ان اتم التجربة . كانت الحياة كما رأيت قد اخذته بلواق من القيود فثار ولكن ثورته لم تفكها وانما تحطمت على صخرة الاحزان . حاول ان يشغل عنها بالناس والدنيا لا ينسأها في زحمة الحياة ، ولكنه وجد هناك ما ازعجه عنها وما ملأ نفسه مللاً وتعباً .

وعاد يلتمس الغراء في احضان امه ولكن امه قد مضت

عنه السيروبي ، ونقلها كذلك تيمود باشا فأوردها في فصل « في مبلغ علمه وذكائه » . ولكنني اوردها هنا لشي . غير التدرج كانه والاشادة بعلمه ، انني اقبل عندها طويلاً فألح وراءه ٢٠٠ معنى يبدأ . هي تكشفني عن غرم ابي العلا على الضلال ، وتعلن تحدي الدنيا والناس ، واصرارها على ان يفرض نفسه عليهم ، انه يقول لقد استعنتي الايام ، ولكنني لم تهزمي افسحوا لي مكاني بينكم ، فان محنتي لا تحول دون تفوقي ، واتياني ا من شاء . فليقدمكم لافريقي والكلب من لا يعرف للكلاب سبعين اماً .

خرج ابو العلا . اذن متاخلاً عن نفسه ، يطلب مكانه الجدو به فاذا لقي في بغداد وكيف كان الضال ؟

اما الناس فاعترفوا بهوا افسحوا له مكانه بين الخاصة المتمازئين واما الدنيا فصنعت له سخرة با اصطعم من جد و١٠٠ تكلف من شجاعة : رآته يتدهاشا فساق ، زهده في الضال وسكنه عنه واثت تذكر كيف اخرج من مجلس الشريف المرتضى ذليلاً مهاناً وتذكر قصته مع ابي الحسن علي بن عيسى الربيعي الهجري اذ استأذن عليه فقال : « ليصعد الاسطبل ( الامعي ) ولست في حاجة الى ان تذكر لك ائو ذلك في نفس شاعرة ذقبة احس ، فليلة التضرع ، شديدة الكبرياء ، كفى ابي العلا » .

كان هذا كفضلاً بان يجعل مكانه في بغداد ، في دنيا الناس ، قللاً غير مطبق . لكنه تجدد ليحي نفسه للعودة الى دنياه ، وسلمته على التجرد ان الحياة اللبية في بغداد في ذلك الحين كانت تعي . له غير قليل من المتاع ، وكانت حفاظة البغداديين به تربطه اليهم وتحبهم اليه . وقد افسحوا له مكانه الجدو به ، فأتوا بتقديرهم ، ورأى في البقا . بينهم لونا من الوان الوداد ، والاعتراف بالجميل .

وجاءه خبر من مرة النعمان ان امه مريضة فاعجبه عن بغداد او قل بجعل باخراجها منها . فقد يبدو لنا انه كان على تية الرحيل مرضت امه او لم تغرض - ولست انسى انه قال يعمل رحيله عن بغداد :

انارل عنكم ايران ، والدة لم ألقها وثراء عاد مسقوتا

« ذانكم . بيان ظاهراً لاسفر ، ولكنه انما تملل جها ووراهما سبب بعيد ، هو ما قدمنا من قلبي . مكانه في بغداد ، ودقة حسه لما في فيها .

لو انه ترك بغداد لمرض امه حقاً لعاد اليها بعد ان ماتت . ولو انه تركها لفسده في طلب الثروة لردته اليها الاموال التي عرضها البغداديين عليه عرض الجدي فيا يقول ، انما هي تملل الرجل المتعب ،

والبيت سقم للفق مسنوب والموت يأتي شفا، انعام

ديكم ان رأيتوني يوماً حية في الثرى فلا تلعطوني  
بت كالواو بين ياء وكسر لا يلام الرجال ان يستطوني

اجامل الناس ولو أنني كشت ما في السر اغزائي  
أبيت من دغبي ولكن ما يغبر من خبري عزائي

اراني في قيد الحياة مكلفاً تماثل انسي تحبها وإطاني

من حرة اللوم ان كانوا ولبدن ا، فلان ، ولم يدل ولا بلما  
كالبس سمي قطعاً وما ضربت به الكلف ولا في مائة ولما

عرفت صروفه فأزنت منها على من ين تجربة من  
وافترى الى من لبس مثلي كما افترى السنان الى المسن

اذا لم يكن غني كبير يضيحه حامي ولا طفل ، فقم حياتي

انما طقت في الثرى امين فقد أضحت من همى او رمد

في دار المسار الى خلاص فاذهب في الجنوب او الشمال

ومضى معها الغزا . هنالك زهد في دنيا الناس وصفها تركت  
له من تافه المذات . «وانطوى على يأس وعجاجة الناس» .

هذه حياة الرجل قبل النزلة وهذه هي متاعه وآلامه ، قبل  
استراح في عزله وهذا الى اليأس وكف عن الخصال ؟

فان الكثيرون ان ابا الملا . حين اعتزل قد راض نفسه على  
الرضى بما قدر له ، وللاستسلام لما اريد به ، والصبر على ما اءتجن به  
ولكن الحقيقة ان ابا الملا ، لم يذق لذة الصبر وان تكلف الصبر .

ولم يرض بجهته وان تظاهر بالرضا والاستسلام . انما رأي الرجل  
انه ضائع الحيلة لا يملك لنفسه شيئاً ، فانطوى على نفسه ، يعالج  
همومه ، ويتكلف الصبر والصبر عنه بعيد .

حديثه عن مأساته : -

ونحن نذكره الآن يحدث عن . مأساته فسأرى في حديثه مرادة  
مؤثرة وأنيأ مكتوماً ، وصراخاً ابغ ، وشككة موجبة باكية . .  
قال في اللزوميات :

رب من ادخل من هذه الد يا فاني قد اظت المام  
لم ادر ما نجمي ولكنه في النقص مكان جرى واستقام  
فلا مبدئي يتجرى يدي ولا مبدوي يتخفى اكتمام

## مباراة الى الملا المعري

✱

١- تنتهي مدة قبول الابحاث في « المبول » - « شهر »

١٩٤٤ وتوطن النتائج في جز . كرين الاول من الادياب

٢- تحكم بين المتبارين لجنة مختارها الادياب  
وتعلن اسما . اعضائها مع اعلان النتيجة .

٣- للاديب ان يختار من ابجاث المباراة مسا  
تشاء . لتشر على صفحاتها بعد اعلان نتيجة المباراة .

٤- ترسل الابحاث الى « الادياب » ضمن ظرف  
يكتب عليه « مباراة الى الملا . » . ويذيل البحث

بتوقيع مستعار ويوضع الاسم المستعار والاسم الحقيقي  
ضمن ظرف صغير مرفق بالبحث .

تقيم « الادياب » . مباراة تقدم فيها متي ( ٢٠٠ )  
ليرة لبنانية جائزة لاحسن بحث جديد . من ابي الملا .  
المعري . وقد قدم هذه الجائزة التوجيه نقولاً بك  
ابراهيم سرسق

١- الاشتراك في المباراة مباح للجميع  
٢- يجوز للشترك ان يتساول في بحثه أي  
جانب شاء . من جوانب ابي الملا . المعري على ان ترى  
لجنة المباراة فيه طرافة وابتكاراً .

٣- يجب ان لا يتل البحث عن ثلاث صفحات  
من الادياب ، وان لا يكون قد نشر قبل الآن .

وعظم ان احاول فيك رجلاً ولم اخرج اليك برأس مال

\*

وهون اذراء الخواث اني وحيد اعانيات بغير عيال  
قدمني واموالا امارس ضحكها واياك حتي لا تنف عيالي

\*

واصبحت في الدنيا غيتا مرزاً فاعيت نسل من اذاة ومن غبن  
فان تحكي بالجر في ودي ابي فان تحكي في بناتي ولا في ابني

\*

وقال في الفصول والغايات :

ما اضيق علي دنياي ! وانت المزعج اذا بطل كل احتيال .

يا نفس العبر ، لا تبين علي البئر ، اما اصلك قد ذهب ، واه  
الفرع فلا فرع لك ، انما انت كشيا ، عشي ما ، مطلبها .

ان جناحي ابيض ، طرت في الصيد ، فوقعت غير بعيد ،  
واثمة منهض المناهضين اصبح وابيت ، وانا الضعيف الهيت ، ولو  
شا ، خالقي جملاني الوي المريد .

يا نفس ، كافي بك وقد بنت ، عن غير ابن لك ولا بنت ،  
طلما رنت وارنت ، فالان خبت وخبت ، اما عملك خشت ، اردت  
الزين فهازنت ، فرحك الله احدث . . . اي غير لم يبدي ،  
والاجل يمضي ، يقطع سبي ويمضي ، كان الايام تحس ، تاكيني  
فتلني ، والله العالم ببعده اذا جالت فيه الظنور .

طلبي الزمان بيتر ، ورماني بالقر ما ترك في غير كفاة غير علي  
جسد تحت الصفاح .

الله مملك الملوك وانا متترف مقر ان شهد الدنيا مقر وان عثيا  
مستقر ، اعوزني فيه مسكن ارز اليه واستكن ، وتبولت الناسجة  
بين الالباب .

اضحك فلا ضحك ، وانا بالبكاء حقيق بما كان ويكون ،  
فعلني بالاسف ما دعت الحماة حملا ! انما انا كرجل بلي بالصدى  
لا يد ورداً ولا مورداً فهو ظان ابدأ ان ورد عروفا وحده  
مضروفا ، وان صادف زوعاً ، اعوزته الالة والمعين .

ارتفع والقدر يكتني ، بأبلي دائيا وبلي ، كم استنمر وانا  
من البناث اكم بت وظللت ، فقد شمت الحياة ومثلت اكم ابليت  
من المرض فابليت .

أي صديق لي وأي نسيب ؟ اني في الوطن تريب !  
لا امتدل ابدأ ولا استقم ا ، مشون في الدنيا غين . . .

•

والذين يظنون ابا الملا . قد زهد في الجهد والشهرة مخطئون ، فقد

كان الرجل شديد الكبرياء ، والاعتداد بعله وذاته ، حريصاً على  
ان يعرفها الناس ، شاكرًا من يعرفها ، ساهطاً على من ينكرها .

كتب الي ابي قاسم المغربي في رسالة الاغريض : وجعل الله  
رتبه . . . لا تنخفض ابدأ فقد جعلني ان احدثت عرف شائي ،  
وان ثبت لم يجهل مكاني .

وقد غضب حين تلي عليه كتاب ابي الحسن التكتي البصري  
ان قصر اجموحرفه فاجاه محمداً ابا الملا ، قال رداعليه : « اما السمة  
فغيرها ، واما التكتية فقصرها ، فانا لله وانا اليه راجعون - هذا امر  
الله - ليس هو من ضعف الشاعر ولا من وهن القائل ، ولكنه من  
سوء الحظ لم خوطب ، والاتفاق الردي ، لمن يمي وذكر .

« ولا يقل سيدي الشيخ ، ادام الله مزه : قد قصرت الشعراء . .  
فانه لو كان استعمل ضرورة غير تلك لقلت حبته ، ولكنه التي  
الضرورات كلها ، ورفض العيوب فلم يستعملها . »

أرايت كيف غضب المغربي وتألم ، وثار واستلم ؟ أرايت  
كيف قزع قصر امه ثم تأسك وظنها ضرورة شاعر . ثم ادر كره  
الشك قضى ينتقد ضرورة اخرى في رسالة صاحبه ، واخذ يستعرضها  
في جزر عبيد حتى اذاعها فاذا بها تلوم من الضرورات ، برينة  
من عيوب الشعر هناك فزع ابو الملا . وارتاع ، وبدأ يعاتب صاحبه  
في حقرة ولكن المارة غلبت فتف في حزن وشكوى « وانا  
ترويت من ذلك لاني قصير الهمة قصير اليد ، مقصور النظر مقصور  
في البيت ، فكأنني محبوس فيه فاكتفاني ذلك مع قصر الجسم ،  
حتى يضاف اليه قصر الاسم لا حول ولا قوة الا بالله الي العظيم  
لو كنت اطول من ظل اربع لصرت اقصر من سائلة الذباب  
قد كنت امصح في الارض كما تصح الظلال . »

تلك حياة الرجل الخاصة ، فاذا تجاوزتها الى الحياة العامة في  
حلب وفي بغداد وفي البلاد الاسلامية بوجه علم انيت شراً  
ونكراً . فقد ضمت الدولة شعوباً متنافرة شتى ، واندست اليها  
لغات دينية واجتماعية ، شاذة من كل مكان .

كانت الحياة السياسية على حال من سوء يدعو الى التشاؤم .  
لم يظهر هذا السوء فجأة في ذلك العهد ، وانا تقدمته اسباب وطلان  
ظلت تعمل في جسم الدولة حتى صار هراً منغوباً .

وكانت قوة شخصية الخلفاء في العهد العباسي الاول تؤخر  
للأساة بحيث اذا كان العصر الثاني ، ضاعت هذه القوة .

لم يعد للخليفة هبة ، فهو مراقب مسجون ، ينتظر القتل

والغزل ، لا رأي له في اختياره او عزله ، يثور به الجند وتستبد به النساء ، ويلعب به الوزراء ، ويضلك منه الجند ، وتحوطه الإعداء . من كل ناحية من بيته وقومه وعدوه . وهو حائر يتردد بين الحرب والسلام - بين الجهر بالعداء والكتمان والمداورة وهو ضعيف يقدر فلا ينعو ، ويملك فلا يرحم ، يهطع الذود والنس والحيانة بل والسلب المستر .

والجند ماضون في طغيانهم : يظفون ويستبدون ويسلبون ويتنافسون حديقهم بالسلاح ، وتقاهمهم بالمراب . والإدارة مكرنة من خيل عيب ، والدولة كالجنة تنهشها ذئاب الإطاع والمصبيات والشهوات .

ولم يعد الدين حرمة فكثرت مدعوات النبوة والزنادقة واندرست إلى البلاد لوثات دينية وآراء غريبة شاذة . وأصبح التصريح بالسوء شائعاً على أنس العامة والمخاصة ، وشاع الاتجار بالدين والتكسب به . والجمهور يفتح عينيه على هذا كله ، وهو في ثورة فكرية لم يرها العرب من قبل فكانت ثقافته تزيد من ثورته وسخطه .

وارجع إلى ما نختار من كتب التاريخ الإسلامي لذلك العهد فسترى تلك الصورة التي عرضناها له ، بربطة من الفلج والمبالغة والاسراف .

في هذه البيئة المنكورة عاش أبو العلاء من الحق انما لم تعرفد به وحده وانما كانت بيئة شائعة مشرقة ، فقد شهدنا عدداً من الشعراء فلم نلزعهم المروءة كما نلذت أبا العلاء . ذلك انه كان متباً ، وقد اوفت الحياة له كليل الموم واثقلت كاهله بأعبائها التثقل ، واقت بيته وبين الدنيا ستاراً اسود ، فبدت له مآسي الدنيا مظلمة شديدة الاظلام وعاد الشاعر كتلة من الحس المرهف الدقيق فاذا به يحس اشياء ، يربها غيره سراعاً لا يلتفتون . ثم اعتزل الناس ولكن بقيت له نفسه الشاعرة وحده المرهف وعقله المتنازع ، وروحها الطليقة فتضي يرصد هائل الحياة في عصره - ويحس شروورها وخطاها ، إحساساً عميقاً مؤثلاً ، فتصدر عنه فيا يليه ، قوة لاذعة مؤثرة .

قال في الزمويات يتحدث عن فساد الحياة في عصره :

هل للمسام فك امشاة امة احرت بنير صلاحها امراؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كبدها فصدوا معانها وهم اجراؤها

\*

انما هذه المذاهب اسباب جلب الدنيا الى الروما .

غرض القوم ممتة ولا يرقون لدفع الشيا . ولجند . كالذي قام يحس الرج البصرة والفسطاط بالاحساء .

+

ومن يشتد حال الزمان واحد يذم جم غريباً من الارض او شرقاً يجد قولهم مبنياً وودم قلى وشعرهم شراً ومنهم خرقا

+

لند تفكرت في الدنيا وماكنها فأحدث الفكر إشجاناً وتأريقاً أعرق آدم هذا لا يمازجه

+

كل الديار ذم لا سلام به وان حلت ديار الويل والزم وان الحجاز عن الجبرات يحجز وما ضامة الا سدن التهم والشام شوم وليس البين في بن ويهرب الآن فترقب على الفهم

+

ويقال الكرام قولاً وما في الصر إلا الشخوص والادباء واحاديث خيرة خفاة وانقرضوا لتكسب القدماء

+

تلاوتك لبست رش ولا هدى ولكن لك فيكم التكاثر والكبر

+

فوائد خلق وبرك حائق وامالك في الدنيا خليل موافق تغير لساناً واحدة بل بيته واما جليس في الحياة منافق

+

سأفعل حياءاً طابعت فك تهم علي صلاة يوم اصبح هالكا فسا فيكم بن خيال يدعي به يبرج في في الحيق المالك

وكتب في رسالة الاخرسين يحمل على المتدينين وزينهم : « قال رجل من الصالحين : لان يدعو لي رجل اخرس ، أحب الي من ان يدعو لي الف خطيب على الف مبر ، لان ذلك يومى الى الله سبحانه بلسان ، اأفك ولا قال البهتان ، واولئك جديرون ان يكونوا كما قال سبحانه : « يقولون بالسنهم ما ليس في قلوبهم » .

وقال في الفصول والنايات :

طلت الآفاق فاذا الدنيا نفاق ، وعلمت من مداراة العالم بما بضمر غيره الزناد ، فاخترت الوحدة على جليس السوء .

هذا الحس الدقيق المرهف وتلك الفطرة القوية المتشابة تجاوز أبو العلاء دنياه الخاصة وبيئته السامة ، ومضى يراجه مشكلات الحياة الانسانية ويرصد متاعها وشروورها وخطاها .

## الناهرة

أبو الناطق



سراپ

إلى روح المعري



هواجس شطّ يسا المتصدّ!  
 يطعن عليه أزلّ أربدّ!  
 يبعّ فيه أبدّ أبعد  
 حاتم ثني ، او متى نقد  
 ما عي منا وما يحدّ!  
 وبطولي في المتني مبد  
 حكاية في ظلمة يحد  
 في كرى قوصد  
 في كرى قوصد  
 حار فيها الإمين المجد  
 يشق منه محض أعقد  
 فنحن نمنو ، والمدي يبد  
 نسر ما سرنا ، ولا نقد  
 دائرة لس لها منفذ ا

الشمس والاقتصاد والفرق  
تجيدت ، ثم غلت تبود  
تجرت من حر ما تود  
ما تود الدنيا وما تود  
لكنها ، يا فاس ، لا تود  
ما الروح - هل يياها الجود  
ما المتى ؟ ما الهدى ؟ ما المجد ؟  
بده ، ولا رجوع ، ولا تود

ما المبدأ ؟ ما المنتهى ؟ أو الفد ؟  
من أزل مخلوق ، بهم  
لأبد ، بعد ، مطلق ،  
ثني ، ولا يعلم علاءنا  
نخي ... يبقى في غير الذي  
في كل يوم للنهي مجد  
والفكر ، هذا الفكر في جهه  
يستصرف الجهول من فكر  
فكلا أو قد يكون  
هبات ما العلم سوى ومضة  
أكلنا حل الحبي ماض  
من غامض نسى الى غامض  
وربما عطا الى بدنا  
كالكون هذا الفكر ، يرى على

قلوا : نجوم تلك دائرة  
والارض غاز ملهب أصلها  
والسحب زفوات المياه التي  
والنور والصوت اعتزاز يمي  
حقائق ، لا ريب ، مؤثرة  
هلا اجتم ، يا اغيل الحبي  
ما الذات ؟ ما الاقدار ؟ ما المبدأ ؟  
هل يولد الانسان عفواً ، فلا

أم انه جاء على موعد  
هيئات ما العلم سوى ومضة

وراح لمأ أنف المودع  
من دونها المحلوك الاسود!

... ويا رهين المحبين انقضى  
والناس فيها مثلما خلتهم :  
يخني على الابناء أبائهم  
والحزن اذ يقضي فتي منهم  
والمرأة للعناج لمأ / تزل  
والدين ، فهو القلب ، في مسجد  
والكذب والتنجيم شدتها  
والقل ، في قدرته ، عاجز  
والسر ، وجه الحق ، في محيا

الت على الدنيا ، وياق غد  
هذا أخو حديد ، وذا أكيد  
في غمرة يشقى بها الاسمد  
أضاف بشر عندما يرك  
مقوتة... لكنها تميز  
والقلب لا يفر ولا يسجد  
جبال ، بالعلم تستجد  
عن فهم دنياه ، كما تهد  
او انه في الكون لا يوجد !

الف مضت ، والفكر ماض الى  
مأساة حق كافي مثابا الظلة الباهاء ، والمبرد  
من بعدك الدنيا ، نوى قرها  
عاشت بحرف البحر او حطت  
فلا البطل المصطفى شائع  
والدرب ما زالت على حالها  
والمرء مطوي على ذل  
رواية ، اجزائها ادهر  
هزلة القلب الذي لا يني  
فهذه الظلة لا تنجلي  
والفكر ، اربث العقل ، مستوضح  
زانت برقص الآل أبصاره  
فنا ، جهدا ، والتوى ناهشا  
كالحية المحقاة عشت على

ما ليس للتفكير فيه يد  
در امبول رافعا الانكسار  
راكمة من الفرا ، تصد  
شائكة من دونها القندفا  
غلافها الاعجاب والسؤدد  
والدهر في احتائها مشهد  
مستردا ، والعقل لا يرشد  
وهذه الجذوة لا تحمد ا  
يضج فيه الجواهر المفرد  
وقد نأى عن جفنه المروء  
ايمانه ، يهذي بما سمع  
ذنبها ، من سر ما تحمد

الف مضت ، والماء تحت الثرى  
هيئات ما العلم سوى ومضة

مجهولة ، ما شامها المهدد  
من دونها المحلوك الاسود

سلم عبد



# سَيِّدُ الْعَمَلِ

بسم ياسر عيسى زكريا

الاستاذ في الكلية العلمية وفي المعارف اللبنانية



احمر

بارزة جداً ، كأنني انظرها في العالانية ، وحدها ، ووجه مجذور  
يداورهما على جسم نحيف نحيل .

جلد في الرؤيا ، صور في التأمل البعيد .

والوالم عديدة مختلفة تتراحم بشدة على المثلثين فتدخل من  
المسارب الخفية الى اعناق النفس الباصرة ، فتعمل الحواس عليها  
لتعيد الى الحاسة المفقودة ، قوى الوجود :

فكأنها تجعل من النور ... فكأنها يعمرن بالاذنان  
والبيت استن .

... وأنا لا اقبل ، بوضوح الا الاحمر ، لون الثوب المصفر  
الذي ايسره في ايام الجندري ، فأحاول ان احده توضيحاً للالوان  
الباقية ، فتبين لدي على رغم العمى ، وتتكون صورها في الخيلة ،  
استعداداً لصبا في القوالب الفظية التي ستخلقها الشاعرة المجدبة  
خلقاً جديداً غريباً فتؤلف منها وحدات لم تكن في الحسبان .  
ومع ذلك لولاً واحداً ، تساعدك جداً على عرفان بقية الالوان .  
فلبصرات مقاييس وهمية فخرية ، هي من التقاليد المتوارثة  
عند الناس ، فالشعر . وهم ليسوا اناساً عاديين ، يفهمون هذه التقاليد  
ولكنهم لا يخضعون لها .

والشعر كما قال زكريا خازن الجنان ، لاين القاص :

وحسب هذا الذي يجيش به قرآن ابليس المارد ، ولا ينفق  
على الملاحظة وانما هو لاجل ان يعلو ولده آدم .

ومن تراه يفلن ان هذه الصور التي يرسمها الشاعر للاشياء  
المبصرة هي الاشياء نفسها ، باجزائها وحدودها ، بدقاتها وألوانها ،  
ومما تكون قيمة الشعر اذا كان نسخة منترمة من وجوه  
الاشياء الملوثة واشكالها ، المحددة .

الله على العمى كما يحده غيري على البصر .  
أجلس مقصوداً في زاوية بيتي ، ناسكاً ، رهين  
المجوسين ، اكلم وأنا مكفوف البصر في مكتوفي اللسان .

اوثر عصاي على عين تهديني ، او قائد يقودني من الناس لانها  
مقبة لا تطعم ولا تشره ، ولا تقابلي يا اكروه .

رايت الارض عياناً ، والشمس على مساقط الغروب ، في غيب  
النهار ينعل في طغاف التمة ، فتشام الخشخيش ، والبشر في كل  
زمان يتطايرون وهممت امي ، في اذن الي ، عبد الله ، شيئاً خفياً .  
أظنه شيئاً ...

ثم تقلبت عيني ، على ترف العلم والتمعة ، ومطارف الجباه  
والقراء . ثم هجم شبح الجندري على المرأة ، بدتنا ، ودخل بابنا  
وانا في اوائل الاربعة ، فلم يترد الا وظفروه الحفلة في وجهي ،  
يذهب بيسرى عيني جملة ، ثم ينشئ بينهما البياض . فتتلاشى قوة  
الابصار على تلافيف المحاجر .

وأصبح وبصري عن الابصار كليل .

لم أكن أعشى ، كما زعوا ، ولكنني كنت اعشى عجباً ، عاش  
بصيراً مع اتوا به البصراء ، فقة من الزمن ، قصيدة في حساب الناس ،  
طويلة في حساب من ينظم الشعر وهو في الحادية عشرة ، ومن له  
ذاكرة ، هي اعجوبة الاعاجيب والايال ، لا يسقط من صورها  
لون ، ولا يفلت من اشراكها وحواشيها طيف ملم ، او خاطر عابر .  
صفحة ، عميقة ، متبحرة ، كأنها هي ردة الكون المتيقظ  
المتبحر . . . .

وعين غائرة جداً ، كأنها تنظر لي في السر ، وحدي ، وعين

ان صور الاشياء، بنث لحة، وصور الشاعر المهمل خطوط  
سرمدية لا يتنعم لها لون مدى الزمن.

فانردة التي يزعمها الشاعر في الحروف ليست الوردة التي  
تجدها في البستان حمرة عابقة توت مع الشمة في بضع لحة.

والاسد الذي يصفه ليس بالحيوان الذي تلتاق في المأساة  
يقصص النظام، وينتهب الليل والافعى، ويعرج موت الثعالب،  
وبنات عرس، والضياء الذي يسكب في الانفاظ ليس بالضياء الذي  
يسقط من الشمس الدائرة والكواكب البعثة، المندثرة.

والطائوس الذي اشتبه ابو عبيدة في الجنة، مطبوخاً في الحفل  
لجساده في صفة من الذهب ليقني منه الوطر ثم انضمت عظامه  
بعضها الى بعض ليصير كما بدا، انما هو طائر لا تجده في مجاهل  
الاذغال، ولا تلحمه في مشارف الحدائق والجنان.

ويوم قال هرون بن عبد العزيز لصديقي احمد ابني الطبيب المتني  
«وددت يا ابا الطبيب لو كنت منقاداً وكنتا، ومعنا كلب لابن  
ملك فطردنا به ظلياً ولم يكن لنا حق، فاستعصت صيده»

فقال: «انا قليل الرعدة في مثل هذا، فقال ابو علي «انا اشبهت  
ان تراه فتستعصمه فتقول في ذلك شيئاً من الشر. قال:

انا فاعل افضب ان يكون الان؟ قال: «ايكون في هذا  
قال ابو الطبيب: نعم... واحسبك في الوزن والقامة لرجلاً،  
وكان كلب المتني في قصيدته: «وهو يقول ليس لساناً يزل»  
كلما نادى خالداً لم تشاهد مثله عيون البشر ولا عيون الكلاب.

يكاد في الوثب من التفتل يصح بين منه والكلكل

يجلس الشاعر في زاوية منزله او في نفقة المظلم، اذا شئت،  
ويسد المنافذ، ويضض العيون لكي لا يحدق فيها يريد وصفه تحديقاً  
يظهره على دقائقه المعروفة المبتذلة.

ثم يبط شبابه السطحية ويميل بها الى بيته الدنيوات كلها  
او بعضها، اذا شاء، ثم يضد هذه المراكب تضيداً جديداً عيباً  
ويلعب بها كما يلعب الاعمي الماهر بالشارع والتردد فيض اخريف  
الى الربيع في بيت واحد، ويبث الورد مع النخيل في البدا، القاحلة،  
ويؤرج النجوم مع البر في الارض، او يؤرج البر مع النجوم في السماء  
ليطحنها في رحي الكوثر المجبسة.

ويصر الشمس بالبدن عصر العناقيد.

ويجمع الليل بالناد على صفة واحدة.

لوان من ليل وصيح لونا شمري واضني الزمان الايد

واذغل ضرب بالانث وتاج الجنة العظيم، فتتشق الاواب  
وتحمل الجنة، على الراحة، الى المعرة، لأول مرة منذ البناء، فتوضع  
هناك على سجادة لبداءم شيخ عجز أعمى من تنوخ، من قحطان،  
من هؤلاء العرب الذين خلقوا الناس والارض خلقاً جديداً قشياً.

ها هي الجنة امام عيني المبصرتين، بشجرها، وقصورها، بأنثها  
وياقوتها، بأباريقها الزرجية، وكؤوسها العسجدية، وجداول  
رحيقها المحنوم.

انثار مختلجة من ماء، الحياة، من شرب منها الجرعة فلا موت.  
ومازي يصق الآتية في انهار الرحيق حتي تقترح فيسمع لها اصوات  
تبث بثلا الاموات.

وابران على هيئة الطير الساجية، ينبع من افواهها شراب  
كأنه من الرقة سراب.

وحكم يلعب في بركة من الصل.

ويهم من احبار يرقص.

وسيف يجز لا يدرك له عير.

ودياض ترهر في سابل الماء، فيتم الوادي بالشقيق وانهار  
وعايد عبق قادي المشهي وتنقطع من عصها بمشينة الحلق،  
محوقة جيب الى التهم حلاً.

فانيك الريح يبدوك القيط وفيه البيضاء، والسجا.

وروضة مؤنقة قلب فيها حبات اذا انتفضت في الاهداب  
صارت احسن غواني الجنة، تمر قترش عليها اغصان الاشجار ماء،  
الورد مخلوطاً بماء الكافور وبمسك عجيب من صنع ائمة الله في  
ساعات لوه وعشه.

ورف من اوز ينتفضن فيصرن جوارى صكواع يرفلن في  
الوشي وبأبدن الزاهر.

وشجرة من الجوز ينشأ الله فتونع لوقتها ثم تنفض عدداً  
عديداً وتتشق كل واحدة من اربع جواد ساحرات

وسفرجة او دمانة او قنطرة تكسر فتخرج منها جارية حورا.  
عينا، تروق لحسنا حوريات الجنان بين كتيان المنبر وانقا، المسك.

وشباب على افراس من نور تغفل الناس وتنكشف لها الامم  
والاجيال وتطير في الهواء، اذا اشتد الزحام.

وبين هذه الافراس جواد كريم اعوجي كأن جسمه من عسجد، وحوافره من الزبرجد  
تحسب غرته كوكب ليل، وجراؤه آتية السيل وتخاله صقراً هوى  
من أعلى الجبل، تلعب فارسه كالنجم بالانق لا تشرع اليه أسنة

صارت ريجاً هفافة لوحية رقتاً .

وابليس صديق أشار يضطرب في الاعلال والسلاسل وقامع  
الحديد . والأبارة تفتح عين ابن يرد بكلايب من نار . ونساء :  
أخذن كرش طابوس لباساً ومسكاً بالصبي متلفات  
والهلال والقرية كأنها جبان اجتبعها للوداع فاعتنقا ؛  
وسيل كوجنة الحب في اللون وقتل الحب في الخفضان  
سقيداً سكاته الفسوس الدلم يبدو سارض الفرسان  
يسرع اللبح في احرار كما تسرع في اللبح مقلعة العضبان  
خرجه دماً سيوف الاخادي فبكت رحمة له الشريان  
قدماء وراه وهو في المجهز سكاع ليست له قدمان  
ثم شاب الدجى وخاف من الحجر فطلى المشيب بالزعفران  
وشيشنا ابو العلاء . مريع في صومته على بساطه الحشن ، وعينه  
الغظية تركن منذ الف عام جدران الفردوس في صيد المرأة .  
لن تتيب صورة الجنة عن ارضنا لان عين ابى العلاء البصيرة ، رحمة  
كألها . تسع الناس والدينا . . .

الباس غليل زفرها



ما شاهدته في ابى العلاء وقد كتب عليها : رحمة الله عليه



شاهدته قبر ابى العلاء قبل ان توضع في موضعها بطريق البحر . كتب  
عليها بالكلوي المشهور قبر ابى العلاء . ان هذا قبره . وقد  
أتى الزمان على كل شيء ( قبر واد )

الزجاج ولا يدرك بسوى الطرف اللباس ، وجواد آخر اذا جرى  
سبح وقذف بفارسه على صدور زمرد ، وجعل من النجب حلق  
من ياقوت ودر ومضى بين كسبان العبير يطلع ماكانا اسرع من  
البوق احياناً .

وشاب جميل يتلأأ وجهه كخند القمر ، ووجه الدينار .

وآخر في يده محجن ياقوت .

ورحل يمتلب ذقة في ابا . ذهب .

وحل عظيم يترق من السماء من تعلق به من سكان الارض سلم .

ملاني فان يضى الاناني نيت والعلام ليس يظني  
رب ليل كأنه الصبح في الحسن وان كان أسود الطليان  
قد رسكنا فيه الى اللؤلؤ وقف النجم وقفة الحيران  
لياتي هذه عروس من الزنج عليها قلادة من جبان

وحشد من الجن تمش في مداخل ذات ادحال مظلمة واودا .  
شجرة ، وهي ان شامت صارت حمامة او عصفوراً وان شامت

# أبو العلاء المفكر المحرر

بقلم الدكتور محمد مجدي طامي

■

عنها ، فقد بقي عربي القمرة عادداً للاختيار بصورة هائلة ، لا أعرف إدياً عربياً غيره جازاه لوقايته ، ومن سخرية الأقدار إننا لا نقيم له ورثاً في التمدن الأدبي ، فإن كنا نقدر به ، فإنا نقدر بالتبوع العربي بأجلى مقامه ، فهو يمثل الفكر العربي الصافي البراق .

حتى أن بعض من أذى الأدب قد ضرب ضربةً عن كبر عما تنوء به العربي ، فتمتدح نشراته القليلة بدلا من أن ينشرها كاملة ، قد حذف منها أشياء كثيرة ، ولا إطن أن الجراحة في عدم التقدير تصل إلى هذا الحد ، وما يدركك ليل فيها حذفها إياها الأدب قيمة عظيمة ، فالحكم لا يبق على نص آخر ، بل على نص كامل ودراصة جديّة ، وكم يحتاج العربي إلى دراسات جدية .

ومن الخطأ جداً عبارة رسالة الغفران للمري بالالعربية الأصلية لذاتنا ؛ فإن كان هناك شيء في الموضع فقط أما من جهة الملمحة ، فبأن فرق كبير . نذكر أنشيد ذاتي بالصور الخيالي التي أبدعها ميتاً بذلك غاندهم ، أما ابن العلاء ، وإن كان لا يجاري ذاتي بسو حياه وإبداعه ، ولكن يفوقه بالاستقلال الذاتي والحكم الشخصي على التفرعات السائدة في عصره ، فهو في هذه الرسالة يتنادي بالرجوع إلى الطفل وإلى حياة البساطة ، كما يتنادي بذلك في « لزوم ما لا يلزم » . فهو مكره وديب وصب ، وبنيته بعض المستشرقين من هذه الناحية . تولستوي الأدب الروسي الشهير ، وما كرم من عروس ، ودم في العلاء ، فهو قد أثقل أجيالاً من الشك إلى اليقين ، ورغم كثره من بعده والمجيبين ، فإن مدرسته قد تلاشت ، ولم يتبع لأحد من بعده ، وجاء أن يحمل الجذوة المتقدة التي لشعاع المري كالأجود ، وسقطت ، سوف الأمل أن يتابع على شدة استناده سائرهم ، وفي هذا العهد الإلهامياً ولأسوأ غاشياً .

يمكن للمرء أن يدان أن قام بدراسات واسعة ، ولولا هذه الدراسات ، لكانت في سجن الخلود - من حيث أن يحاول الإنسان ابتداءً قبل أن يعلم من بعد سبباً حديراً . وإن في حياة في العلاء وبلا كبراً وحجراً ، في عدم أن له من الملمحة الاعتماد لمكان الإنكار دون الالتفات إلى من سبق ، وإذا طرده إلى في أسلافه ، اعتبره مكرراً ، لظهر لنا أنه مطلع على مشاكل زمانه ، اطلاعاً مدبهاً ، ولا يمكنه بالإطلاع على يحاول أن يفهم ويأخذ بحرفه وحرية ، فهو من هذه الناحية يوفق بين ما تعلمه من غيره وبين ما ادعاه من ذاته . لقد كان الناس قديماً يسمون نبيا من مصادر الشخصية ، حتى إذا اثبتوا أن رجل ما قاله مكرراً ، قال : « لا أقدمون انكروا عليه كل حق كسكتب ، أما اليوم فلم تعد طريقة بيان الأفكار المأخوذة والأقوال المستندة في البحث الأدبي طريقة مصرية » ، لأن ذلك لا يبين لنا خصائص طابع الشخصية ومبادئها ، فالقول اليوم على طريقة فهم الشخصية لهذه الآراء والأفكار المتعلمة من جهة وما فعله الشخص المبدع لهذه الأشياء المتعلمة من جهة أخرى .

جرباً على ما قررناه لابد لنا أن نطلع لاهيات المذاهب التي عالها المري وأدبها الخاص في ذلك ليتضح لنا جلياً إننا هنا أمام شخصية لا تقلل الأشياء على علاها بل تدقق وتحصص مبدعاً بذلك الرأي الخاص كما وصل إليه العقل السليم والنظرة التي في عذبات مراحل التقليد الإلهام .

إن أول ما يجب تفرنا في إبي العلاء ، هذه رجال الدين على اختلاف مذاهبهم وفهم ، فقرأ يقول :

وربك قد غررت وإن حر صاحب حبة يظ النساء  
يمرح فيكم الضياء مبهجاً ويشرجا على عد ساء

حيثما يسير السائح في صحراء قاحلة يصير قرعاً عندما يجدي إلى الواحة بائنة يتدق فيها نبع صاف زلال ، فيترج من وضاء الشر ويروي غلاء من ماء الذهب ، دون أن يكلف نفسه ضياء البحث من أصل ذلك الماء ، الذي تجمع في هذا المكان الثاني ، ولعل من يمكن فكيرا - طبعياً - يزعم أن الماء قد أبجس فجأة دون مصدر سابق ، وهو كائن في بطن الأرض منذ الأزل وسبق فيها إلى الأبد ، ولكن عالم الطبيعة لا يعرف هذا الجود ، فالتحول المستمر هو سنة الكون ، وكل نوع نراه إيماناً لابد له من أصل استعمل منه ، فذرات هذا الجسم البشري الساقط في أمت من عل سيد ، من البصر الفواح ، فتجمعت في الجوك كوكب ، ثم هطلت كاسطار على حسب كسيتها وما اجتاحت من غار القدم جرفت بها بعض ذرات الأتربة وحملت بعض إقسام الصعود ، فتمكر الماء ، واضرب في سيرة إلى ما استقر في مكان معين ، فالوادئ الغريبة المتخلطة الماء - تربت في غرار الجود - ووجدت وما أغل صا سكن حيث سكن الله . وكذلك الذكر الشري فإنه لا ينبغي فجأة إلا بد أن يستل من كنهه هيد ، لآدميا تحمل في الشخصية بسم ، مع ما تحسه النفس وما لا تحسه ، فتجده في قرارها تزعجت عذبة ، فتضطرب المشاعر وتمكر اندروا ، فيخرج روح يقترب سط ، ويتمدع من الدماء ، وما غدا العقل انترج كازخا قوياً ومهكدا في دور التوضيح لتكون الشخصية ذات الحياة الخاصة .

لا أدري هل يقي في هذا التثنية المادي في عالم الفكر ، العالم المجرد عن المادة ما لا ؟ أم في استوحيت هذه الصورة من عالم الشهادة ، لأن ما ولبت إلى ملكة العقل إلا من باب العالم المحسوس ، ويحتمل أن هذه الطريقة صائبة في كوننا الأرضي ، أما ما فوق ذلك فما أوتينا من العلم به إلا قليلا .

إنه لصعب جداً على شئ هذه الأمثلة إن نخل عبقرة فذة أبجست إيماناً فجأة كمبرياني في العلاء المتأدلة على مدى الدهور ، فإذا كنا عاجزين عن تحليل شخص عادي يبين بين ظرائفنا ويريد أن يصدقنا الخبر بما يمانية من أزمات نفسية ، فما بالك بباينة يود أن يتكلم لنا الخبر ، فيشير ويرمز ، وتوصلنا منه مسافة ألف عام من عالم الزمن المائي الذي لا رجوع له .

إن ما يجب نظرننا في حياة هذه الشخصية التشارف ، وربما كان لذلك مجرد في اتاب من السعي ومن قسوة البشر التي شاعدها ، ولكن ذلك لا يشكل سبباً جوهرياً إذا لم يكن هناك دافع نفسي يعمل على هذا الأمر . ويتجاز ، إلى جانب ذلك ، يتكلم على هذه البشرية ومفاتها ومذاهبها وأديانها ونحلا ، وعلى الخلافة على الحركة الثقافية التي كانت في عصره . ومن دواعي الإبتاه أن نرى أنه لم يثر فلسفة بربانية رغم أنه علم شيئاً

يقول لكم غفوت يلاكه وفي لذاذا ومن الكساء  
إذا فعل الفتي ما عنه يسي فمن جهين لاجبة اساء

اما ما ينسب اليه من الشر : « في اللاذقية ضجة . . . الخ »  
فان صحت النسبة اليه فهو يتوجب من تعادل اهل الاديان عن ان الحقيقة  
السبعة العائمة واحدة . اما التدين الظاهري فهو في نظره رياء :  
« ويحصل ان يغير الرجل بالفول تدباً وإلا يهمل ذلك تريباً » يريد به  
ان يصل الى ذاء ، او غرض من اغراض الخالية ام الفناء . ولله قد  
ذهب جماعة في الفاهر متبدون وفيها بين ملحدون .  
ينسب المجادل عن ذكر جميع الاكراه التي ذكرها في هذا الصدد وما  
اظم فيه جميع اهل الاديان والمذاهب .

اما قاسم مع الفلاسفة فاستدل عليه بقوله : « علما شرب الاسلام  
بمراته واتسق لملكه على اركانه ، انازع العرب غيرهم من العوائق ، وسبوا  
كلام الالاهيا ، واصحاب الهيئة وامل اللطق » قالت منهم طائفة كثيرة .  
ويطلق لنا خبراً عن خادمة كانت تقدم في دار العلم ينشاد على زمان ابي  
منصور محمد بن علي الخازن صاحب رسالة بتران الحكمة الشهيرة التي نشر  
عليها احد المستشرقين الروس في ايران . ولم نجد اي ذكر لـ « ابلوف »  
اسلامي او يوناني الا ذكر ارسطوطاليس ورد عليه :

لوصح ما قال ارسطاليس من يقدم وهب من مات لم يجمع الفلك  
ومذهبي في البرايا كوتهم شيئاً كالنكاح وانذاره الجوار والمثلث  
ان تسأل العقل لا يوجد من خبر من الاوائل الا اضم حكموا

وأنت برأي آخر من الفلاسفة :

زعم الفلاسفة الذين تنطسوا ان الحقيقة كلها لا غير  
كذب يقال على التاريخ دائماً افلا يحسن الى اهل التاريخ  
وللمسري نصير خاص للزمان والمكان فينتقد اولاً قول الفلاسفة ان  
المكان ثابت والزمن يجري ويحول :

اما المكان فثابت لا يتطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبت  
قال الفري لند كبت مافدي خسرت بده ابي امر كبت  
والمر مثل النار شبت وانتهت فخصبت وقائع بلهياة الخشب  
وحوادث الايام مثل نباحها ترحى ويأمرها الملبث فثبت  
واذا الفتى كان التراب ماله فقل م تسهر امه وترمت  
ان كانت الاحبار تظم سبها فاقوه البعيرة كل يوم سبت

هذه المكرة الفلسفية المصيبة اذا صحت نسبتها اليه يكون حكيماً  
العربي دان لمذهب هرقليط بالجريان الدائم والتحول المستمر ، واذا لم  
ينسبها من احد فيكون فيها متكرراً الى حد بعيد . وما يؤيد هذه  
الفكرة ايضاً ما نسب اليه رسالة النفران : « وقول بعض الناس الزمان  
حركة الفلك لفظ لا حقيقة له . . . والصواب ان يقال ان الزمان  
شيء . ك شتمل عليه الظروف . فلما الكون على رايه فلا بد من تشبه  
بما قل وكثر . وينسب لاشدو كثيرة من جنبها قول ابي مسفر :

هيجت لسبي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بينا سكن الدهر  
ولكن يشكر في علاقة الخالق بالزمان والمكان فيقول :

لكن لنا خالق حكيم قلنا صدق كذا عول  
زعموه بلا مكان ولا زمان الا نقولوا

هكذا كلام غبي . مناه ليست لنا حول

ابا في المثلثات الفلسفية المصيبة على التبع اليوناني القدم فلا وجود  
لها في تفكير المري ، فهو حكم عربي أكثر من ان يكون فيلسوفاً  
يتبع خطوات الاقدمين من بني الافريق . ومن الغريب في تفكيره ان  
يجد له رأياً يذكرنا باخوان الصفا . نندي ايضاً لنفسه من الآخر :

يموزان ثقلاً الشمس التي وقدت من عهد عاد واذكي لارما الملك  
فان خبت في طوال الدهر اهرها فلا محالة من ان ينطفئ الملك  
مضى الايام فلولا علم حالهم لثقت قول زهير اية سلخوا  
في الملك لم يفرجوا عنه ولا انتقلوا منه فكيف اعتقادى اضم حكموا

فان كان المري هو المتكرر لهذه الفكرة فقد سبق لانوارى بقانون  
بنا المادة بصور . اما قصان نور الشمس الذي يثل اليوم تليلاً ينطق  
عن عريات الاديان فيجوز ان يكون انفسا المري عن الفران  
« اذا الشمس كورت » اي تنافس نورها ، وما يجب اجابنا ايضاً تشبيه  
للروح بالطين بكيفية تذكرنا برسالة الطير لابن سينا :

رب روح كطائر الفص المسجون ترجو بوجهاً التريماً  
ويتجنب من الطير الذي يلحد في الخلق :

الطيب يلحد في الخلق لئى من بد بدسه التثرها

يقال للانسان بد ما ذكرنا ان المري كان من المقتلة ، لانه ايضاً  
يشد على القتل في تسيير الدين وليكننا اذا دوننا رسالة النفران نراه  
هاجم هذه الفكرة هاجم عنيتة : « . . ان شيخ للمقتلة غير طاهر الزدن  
ولا القبل » فـ « ابي الهادي » عبدة ، ينقم به من الفتي قصيدة ، وحدث  
موسى لم يوفق فيهم ، لو كان من اجل ريع ، انه كان اذا جالس في  
للشرب ، وحدثت المسكرة ذات الغرب ، وجاءه الفدح شره فاستوفاه  
واشد من حمره على التوبة لا اتقاء . » ويقول شعراً :

وجعلت الناس في هرج ومرج غواة بين مقتل ومرحمي  
والمرجبة هي التي لا تطاي كبير امية للامال وترجي كل شيء  
للديان .

ولا يكتم في مهاجمة رجال المقتلة بل هاجمها كسيداً ايضاً : « كم  
مظاهر باعترال ، وهو مع المخالف في ترال ، يزعم ان ربه في القدرة  
يخلد في النار ، وبه الدم وبه اليبسار ، وسا ينفك يحنن من المآتم  
عظام . . . »

وستدل لا وافقه ساعة اقول له في اللفظ ديتك اجزل  
او :

اله قادر وهيد سو وجبر في المذاهب واعتزال

ولم يكتم في ذم مذهب سبن من المقتلة بل هاجم ايضاً خصوص  
الاشاعر مـ « يدي السنة » والا شعري اذا كشف ظرني ، نلت الارض  
الراكدة والسبي ، انما مثل راح حطة ، يثبط الالهام الدهاء  
الظلمة . . . » ويشد عسكره حتى على ابي الهادي الثلاث : « ويكي  
عن ابي الهادي الثلاث ان كان ير في الاسواق على حمار ويغول قوم  
احذروا توبة غلامي ، وكان له غلام يدققه لتوبة فسقط عليه  
آجرة فقتله . . . »

من أهل الفضل وأرجو أن يكون سالماً من مذهب الخوالية وإنشدي له  
مشد :

ياح مجنون عالم جهواء وكسبت الهوى ففرت بوجدي  
وإذا كان في القباية نودي أين أهل الهوى تقدمت وحدي

غيران المرعي يستمر في عده اللذع لفكرة الهدي والشية والفراسة  
والاسامية ، ومن يستند بالنتيج وبسيرة الفلك وغير ذلك مع تبيان  
مذاهبهم وإظهار غلط الضعف فيهم ، مستلذاً أن لاهادي سوى المل :

يرجي الناس أن يوم أمام ناطق في الكتيبة الخرساء  
كذب القن لا أمام سوى القن مشيراً في صبحه والمساء

وهو يزعم أيضاً أن هذه المذاهب المستعدة ما هي الا لجذب الدنيا الى  
الرواء :

إذا عده المذاهب اسبا يب لجذب الدنيا الى الرواء

ظن كثير من اللذيقين أن أبا البلاد زلتيق ملحد ، ولكننا إذا  
تصقنا في أفكاره تراه لا يصاحم شيئاً بشدة وعنف كما هاجم للملحدة  
والزنادقة والدعوية الذين يتعدون بتطويق الآية الكريمة « وما ملكتنا  
الا الدم » ويقول : . . . ولكن الزندقة والادعاء قديم ، طالع حلم ، «الاداء»  
وقد حفظت ثورته على الزندقة والادعاء القبيح درجتها في حلقته إلى ابن الراوندي

« وما ابن الراوندي » . . . يمكن أن المصلحة يهدي . وما تاجه فلا يصح  
« يكون من . . . » لا يرى خرباً من تلك المآثر الحرجة الا اتباع

هذه القليل من الروايات في رجال الادب لم يجيم قد تذاور تلك الجاب ،  
وانما الذي قيلها على بابك لشك المرعي فيها ووث وبين شك الزاني الذي  
أفضت له في القذف والاضلال . ولا أريد في هذا الصدد أن أجس الزاني  
حقه ، فليكن كما هو ، بل أيضاً يعلم بعضهم من بعض ، اما رسالة المرعي  
تسا في تحرير الفكر أرى :

« . . . » . . . والذين يسكنون في الصوامع ، ولتبعيدون في الجوامع ، بأخذون  
ما هم عليه كمثل الخير من الخير ، لا يميزون الصدق من الكذب لدى  
المبر ، فلان صميمهم هو الاسره من المعوس خرج محبوساً وس الأصانة  
لاصبح لهم قروياً سياً . وإذا المجتهد تكب من التلبيد ، لا يتغير سبر  
التلبيد . وإذا المغول حمل هادياً ، تقع يريه صادقاً . ولكن أين من  
يصير على أحكام المل ، ويصل فيه إلى صقل . هيات قدم ذلك فيس  
تطلع عليه الشمس ، ومن ضنه في الزم رسم . الا أن يشد رجل في  
الدم ينص من فضل بسم . دبا لينا من نظر في كتب الحكاء ، وتبع  
آثار التماس . فالنساء يستحسن بيع الامور ، ويبتكر بلم منبور .  
إن قد على قطع ركيه ، وإن عرف وأجبا نكيه . كان العالم سوا  
في الفاد ، فهو يتكدر اعتقاد ، إن اودع امانة خان ، وإن سئل عن  
شهادة مان ، وإن وصف ليل صفة فإ يحفل القتل فإ قل أم يضاف عليه  
الامثال ، بل غرضه فيا يتكسب وهو إلى الحكمة متشب . ورب زاد  
بالحيلة على أهل مل وعلة الباطنة ادعى مله . وإن البشر لكما جاء في  
الكتاب العزيز كل حزب بالدهم فرعون . »

إن سطره القن التي حملها شاعر المعرة يريد بما يفة يشه أن يحطم  
الافراح الشديدة لبني له انفاضة الراعاف الجديدة كمثل لبني البشر سعادة  
خير من هذا الشفاء الذي يرسفون تحت تيره .

اما المصوفة فلا تسل عن عده اياها ، وخصوصاً في صورة يظنها  
الحسين بن منصور الخلاج : « فاما الحسين بن منصور فليس جله بالمصور ،  
وإذا كانت الامة هدا بدت الحير ، فكيف يأمن الحيف البحر . »  
وعكم مذهب الخوالية ذاكراً بأن الخلاج قال للذين قتلوه « انتقون  
انكم اباي تخطون انما تخطون بقة القاداني ، وإن البقة وجدت في اصطبلها  
مقتولة . ويتصيب ابر الملاد بوجود من يرفع شأنه ويصل النجم مكانه  
وقد بان ان يتبدد قوماً يتشرون عروجه واتهم بقتل عيسى صلب على  
دجلة يتوقعون ظهوره ، ويطلق على ذلك « وليس ذلك يدع من جهل  
الناس . » ويروي المرعي شعراً لأحد القتيان الذين عاصروا الخلاج :

إن يكن مذهب الخلول صحيحاً فلهي في حرمة الزجاج  
عرضت في غلالة بطراز بين دار السطار والخللاج  
زعموا في امرأ وما صح لكن هو من افك شيخنا الخلاج

ويزعم ابر الملاد ان هذه المذاهب قديمة تنقل في عصر بعد عصر . وما  
يرويه ايضاً ان فرعون كان على مذهب الخوالية فلذلك ادعى انه رب العالمين ،  
ويحكى شاعراً من رجل منهم انه كان يقول في تسبيحه « سبحانك سبحاني  
وغفرانك غفراني » . ويستند ان هذا هو الجنون الثالب ومن يقول هذا  
التول معدود في الامام ، ما عرف كنه الامام ، ويروي لنا بيتاً دونه  
دون ان يذكر صدره :

اذا انت بلا شك فسبحانك سبحاني  
واسبحانك سبحاني وفخرانك فخراني  
ولم اجد يا دلي اذا قيل هو الزاني

ويرى ايضاً ان الخوالية قرية من مذهب الشيخ ، وهذا ما وجدنا  
في رسالته من رجل من رؤساء المتبحرين من أهل حران اقام في بلد  
الشاعر زماناً ، فخرج مرة مع قوم يتحرون اهل القلوة ليكره على  
لاصحابه لا شك في ان هذا الثور رجل كان يعرف بشف بمران وحمل  
يصبح به يا خلف ، فاتفق ان غادر الثور ، فقال لاصحابه الا ترون اني  
صحة ما خبرتمكم به . وفيص لنا كناية اخرى ذكرها في قبيل التبرك  
ان رجلاً رأى في منامه كأن ابره يقول له اني ان زوجي قد سلت الى  
حمل امور في قطار غلام والي قد اشتهت سليحة ، قال فأخذه سليحة  
وسألت من ذلك السطار ، فوجدت فيه جلاً امور ، تدوت منه بالسليحة  
فأخذها احسد . يريد مثله . ومن التبرك ان المرعي لا يبر ادفع اهتمام  
للقب وحده الوجود مع انه حسب المصادر التي بين ايدينا قد توغل  
في مذهب الخوالية توغلاً لا بأس به .  
لا يلف المرعي على ما جاءه شواذ الصوفية ، بل جاعها كسذهب :

صوفية ما دشوا بالصور نسبهم حتى ادوا اضم من طاعصوفوا  
تبارك الله دهر حشوه كذب قلار . منا بغير الحق موصوف  
ان اثر النسن فاندت اليه يد تجبه علماً فلبت النسن موصوف  
او :

صوفية شهدت للمل نسبهم بأضم شأن صوف لطفا يعنى  
لا ترقسن هومات مكرية فظهازي قديماً يعرف الرقص

وعلى ما يظهر انه في اخريات حياته قد مذهب الصوفية ، فقد ذكر  
لنا في رسالة الضريان : « وما ابر بكر الشلي رحمه الله فلا ريب انه



أما صلته بالشراء والأدباء فهي قوية جداً ، فيجانب ما حفظه لنا المري كاديب مبتكر ، فقد أدب واسع يرفقنا الإسمي من المتجمل حسباً وصلت إليه خبرته . ولربما كانت رسالة العزراي أقدم اثر عربي في النقد الأدبي ، يبين لنا فيها الطغية البشرية ، حالاً دقة نظرنا الى قضيتين هامتين من تلك الطغية ، وهي الكذب في الروايات لتروج الاثارة الأدبية ، والنيان وما لسري عاملان جديران بالاهتمام ، ولا يبعد أن يكون ابن خلدون استقى مذهب النقد التاريخي من مذهب النقد الأدبي للمري ، وفي آثاره عاكسا المري اهتمامه لمذهب المري في النقد لما جرى وراء اقرانسات والتضليلات بل لاعتدي به الى ما هو حجر وافي ، ونسكن بالترك التناد المدهش ان يتابع سير المدينة . ولم يسلم الأدباء ، من نقد أبي العلاء ، بل قال فيهم :

يبي الاداب فترككم قديما  
زخارف مثل زينة الذباب  
وما شعراكم الا ذئاب  
تأصم في المدافع والدياب

اشر لمن تود من الاعادي واسرى للشغال من الزباب  
اقلضكم ثناء غير حق كأنما منه في بحري شهاب  
أذهب فيكم أيام - شبي كما اذهبت أيام الشباب  
عاذ الله قد ودمت جهلي فصحي من قيم والرباب

يشهد المري بأية قرآنية على غرزة للنيان في الانسان : « وحسبك شبيداً على ذلك الآية المتولة في قرآن محمد (ص) ولقد عهدنا الى آدم من قبل نبي ، ولقد له عزاً » ، وقد ذكر من يضل الهباء ان الانسان سمي انساناً لاسبانه ، واحتج على ذلك بلوهم انبيان وفي الجمع اناسي ، وقد روى عن ابن عباس قول الطائي :

لا تدعن تلك اليهود وانما سميت انساناً لانك ناس  
يذكر لنا المري الدلول المأثور من آدم لا قتل قاييل هابل :  
تتربت البلاد ومن عليها فوجها الارض منبر قبيح  
واودى ربع اهليها فبانوا وغود في الشرى الوجه السليح

ويطلق شاعرنا على ذلك يقول آدم لا صوفد في الجنة : « .. ابني انك في الضلالة تنهكون » ، اكبت ما نطق هذا التلم ولا خلق في عصري وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، كذبت على خالكم وديكم ، ثم على آدم انكم لم على حواء انكم ، وكذب بضمك على بعض ، وما لكم في ذلك الى الارض .. »



المري بريشة جبران

ورغم هذا التكم اللادع والتعد للمري يرى في احجاز القرآن آيات لاولي الا لاسباب : « واعم ملحد ومبتدع ، وناك عن الحققة ومبتدع ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد (ص) ، كتاب بحر بالاعجاز ، ولبي مدبر بالادجار ، ما حدي على مثال ولا اشبه غريب الامثال ، ما هو من القصد الموزون ، ولا الرجز من سهل وحزون ، ولا شاكل خطابة العرب ، ولا سمع الكتبة ذوي الارب وجاء كالشمس اللامعة ، نوراً للسيرة والباحثة . لو فهمه الخلف الراكد لنصف ، او القول المصمة لراق النادرة والصدور . وتلك الامثال نضربها لاسلهم يتفكرون » .

حارب ابو العلاء المشرك والمجرم عداوة شديدة ، معتقدا ان المشرك محرم في كل الملل ، حتى انه ذكر عن بعض الفتود بأخص لا يملكون عليهم رجلاً يشرب سكرًا ، لاضم برون ذلك مشكراً .

على اننا يجب ان لا نهم بان المري يب القفوض في المجتمع البشري بل يريد ان تعود في العالم روح المحبة والاحياء والوفاء . فهم كان منتقدا للاديان لانه لم ير في معتقباتها المثل الاعلى الذي تصبو اليه نفسه ، ولكن مما يدلنا على تحيله للاديان ما رواه : « .. وما تحيت بالكلامي من نسب الى توراة وانجيل ، دون من نسب الى القرآن البجيل . على انه لا بد من امانة . متفرقة في البلاد ، تكون للخير من التلاد » ، وانما في الاخرة لاشراف . »

بعد سخي العسنة على وفاة المري نجد انفسنا امام شخصية فذة جذيرة بالتذكر ، وهذه الذكرى يجب ان توفد فينا روح المري الرابطة لافرة الطغية العربية الصميمة والتي ترى رغم ذلك الهالك كله ووطنها ، نجد انفسنا بحاجة الى ان نعيش من روح ذلك الانساني الكبير المعروف اسماً والنبوة فعلا من قلوب البشر حافظاً يلدنا الى الاعاء والانسانية ، اني اقول ذلك لما نراه من البضا، والشعنا، المتأججة في قلوب البشر ، والا رأينا صورة الكون اليوم غير الصودة الخزينة ، ولتلاشت العداوة بين الناس كما يتلاشى الثلج اذا سطحت عليه اشعة الشمس الحارة ، ورغم القنال عول شاعرتا الطيم :

والخير يهسى ينهس ويلسام للسواك منبر

عطب

محمد محي المراسمي



عضو المجتمع الإسلامي

# قول الخير

بقلم الدكتور محمد صليبا

ولكن كيف تولد هذا الشر ، لماذا اوعز الله به الى الدهر ، لماذا لا يتطلب الانسان عليه بتسليم امره الى الاله القادر الحكيم العادل المنفرد بالكمال ، لماذا لا يتبع طريق الرشاد ، ما باله لا يتخذ عقله اماماً .

السبب في ذلك كله يرجع الى طبيعة الزمان والمكان وحقائق الوجود . لقد عرف ابرو الملا . الزمان في رسالة القرآن بقوله : الزمان شيء . ان جز . منه يشتمل على جميع المذكرات . وهو في ذلك ضد السكن لان اقل جز . منه لا يمكن ان يشتمل على شيء . كما تشتمل عليه الظروف

وهذا التعريف يوضح لنا اسباب حدوث الشر وكثرته . فقد فرق ابرو الملا . بين الزمان والمكان فبسطا ضدين ، وجعل كلامهما ينقسم الى اجزاء . فكل جزء من اجزاء الزمان يشتمل على الكون كله ، وكل جزء من المكان لا يشمل الا على نفسه فاذا اجتمع الزمان والمكان احتويا الوجود كله ، واجتماعها هذا هو علة الشر . ولو بقي الزمان وحده من غير ان يشتمل على المذكرات كلها ، وبقي المكان وحده من غير ان يتصل بالزمان ، او لو بقي الاله وحده دون ان يكون هناك زمان ولا مكان لا اشتمل الوجود الا على الخير .

ان تيار الزمان قد عكس صفو الوجود . ففي كل حركة وتآليف كدر . انظر الى حلول الروح في الجسم . لقد كانا قبل اجتماعهما ساكنين وديعين ، فلما اجتمعا شقياً . فتفرد الشيء خيراً من تأنيبه بغيره ، وكل الة شجر النعمة .

« لجسم والروح من قبل اجتماعهما كانتا وديين لا هما ولاسما تفرد الشيء خيراً من تأنيبه بغيره وغير الالفة النفسا » ثم انظر الى اجتماع العقل بالنزوة ، والرجل بالراء ، والانسان

من قرأ تروميات ابي الملا . المرعي وتعمق في ادراك معانيها ، علم ان وراء التشاؤم الذي اشتعلت عليه ايماناً بالخير والوجود والكمال .

فما هي حقيقة الخير في الفلسفة الملاية ، وما هو الشر ، كيف تولد الشر ، ولماذا عم جميع ظواهر الوجود .

ان الخير عند ابي الملا . المرعي يجب الى النفس ، وعلى المرء ان يفعله لانه خير ، ولانه احسن وأفضل من الشر . ولو لم يكن للخير من الفضل الا حسنه في المنافع لكفى بذلك دليلاً على ضرورته . وفضل الخير للخير نفسه ، فان كافاك الناس ، به ، نلت ثوابك في هذه الدنيا ، وان لم يجزوك بشي . فان الله لا يضيع أجرك .

نعم ان الخير اذا قيس بالشر كان أقل منه انتشاراً ، واضيق نطاقاً ، وأسرع انتفا . فالتشر كثير ، مشتهر للمكان معرف ، اما الخير قليل لا يلمح الا من وراء حمار . وانت اذا نظرت الى الخير في هذه الدنيا ، تجدته قد وفر للشراد . وفي الناس من يدعي الخير وهو كاذب ، وفيهم من يدعوا اليه ويتوهمه في الزمان واهل ، وهو خيال باطل . ولكن الخير والشر مزوجان في هذه الدنيا :

« فكل شئ عليه السبب مذکور »

وفي العالم تضداد متقابلة ، ففيه خير وشر ، وغنى وفقير ، وعمل وعظم ، وعقل وغريزة ، ورشاد وضلال ، وحياة وموت .

« وكل فاك باجر من لوفو . ولكن بلك لا ينصر »

وعن لاغيخ الزلزل من الصدق في تيار الزمان الصكر ، فيضيل اليينا ان الصدق اكثر فيه من الزلزل ، وان الزمان كله كدر :

« لا ازمع الخير ماضاً كدرأ . بل مزجي ان كله كدر »

بالإنسان ، انه يولد الضلال ، ويكثر الفساد .

« اذا كثرت الناس شاع الفساد كما فسد القول لاكثر »

فاذا اردنا ان نلقى الخير فانرجع الى الامل ولنفرق .

« اذا ما تفرقتا خالصا من الاذى »

لنجد العقل من التورقة ، ولننتفع عن الزواج ، ولنهجر  
الذات ، ولنرغب في العزلة ، ولنشعر من قيود الزمان والمكان ،  
ولنطلب الموت .

« فالمسك يزداد من طيب اذا سطا »

وسواء أشتنا ام أبينا ، فان الدهر مهلكنا . ونحن لم نعلم في  
الحياة باختيارنا ، بل جئنا اليها على كره . وسنرحل منها بالغم  
منا ، فموت لاننا حلفاء نقص . وكل ما هو مركب ومؤقت لا  
يدله من التفرق ، فيقلب الكدر عند ذلك الى صفو ، والظلام  
الى نور .

والوجود جسر بين عديمين ، ونحن نجتاز هذا الجسر على سفينة  
الزمان مسرعين ، فنجد آخره اكثر ظلاما من اوله .

« فرسما بين هذين مالنا لبث كأننا هارون على جسر »

تختر بنا سفينة الحسية بحر الوجود بين ارض قد اقدت ،  
ومستقبل آت سيندثر ، فلا يصغر لنا عين ولا يبدل لنا ليل ، لاننا  
عالمون باننا سائران الى الموت .

« كان الدهر بحر غرق فيه كل خطر كركاب السفين »

ولا نستطيع ان نمتزج لحظة من لحظات الزمان الماضي ، كما  
اننا لانستطيع ان ننصف سيرا او نلقي مراسينا .

« يروح بحرنا والاهواء غالية برأيتك نيل للسفن ارساء »

فيصططنا ريب الزمان كأننا زجاج لا يعادله سبك . وسواء  
أكننا على رهوة ، او في حلة من ملح البحر ، فان تيار الزمان سينالنا ،  
وسيفي انفسنا ، ويحو كل رسم . وكأنه قد لوعز البنا بالقاء  
فلم نصبر لوجه . لقد وعظنا فما فهمنا عقله ، وكلنا في صحت فلم  
نسمع ندائه . الا ان الزمان قصيدة ، والدهر شاعر من شعراء  
الآفات ، فتارة يفوه بشعره للناس ، فيفكر فيما يقول ، وتارة يتجمل  
ما يقول من غير تفكير . انه لينظنا بقوافيه الرقيقة ، ويجنينا  
بصمته المظلم ، فيكر علينا كرة عجايب . تارة مظلمة واخرى  
مضيئة ، وتب ديجة مرة من الجنوب واخرى من الشمال ، فلاحلة  
لنا بتأديبه وتزيده ، لانه غدار خاتر ، لا ينجى بعيدا ، ولا يرمي  
عتابا ، ولا يشعر بما يفعل ولا يجد بالسرور . انه أحق أخرق ، قد  
صوب سهامه الى قلوبنا ، فاصابتنا في أحلامنا وآمالنا . ان جوهره

مغمم بالتناقض . فكلما علنا النفس بالامال ، اشتقت الى الموت ،  
وكلما توقنا العدل لم نجد الا الظلم . انه لينسي كمي الحرب صارمه  
ودعه وينسي فتاة الحلي مجولسا . لقد شرب الانام في اول الدهر  
صفو الحياة ، ولم يتركوا لنا في آخره الا الكدر . لقد خرف  
الدهر ، واصبح الان شيئا غليظا من غير ان يصيبه داء . فلا ضمانة  
في شخصه ، ولا اطمئنان الى حكمه ، لانه اعجم ظالم ، قد جعل  
الشئ ترجائه .

« أحجم غدا بين الرزايا وجعل الشر ترجائه »

ودنا كنا نحن احسن حالا من اهل العصور القادمة ، فاول  
الدهر احسن من آخره ، لانه سيزداد كسدا على مر العصور ،  
وسيمع الشر بتعد الحياة . فلا خلاص لنا من الاذى الا بالموت .  
فلنستمد اذن قلوبنا بالاعراض عن الذات ، والابتعاد عن جابة  
الحياة . فان الحياة ستقول كما تقول الاحلام .

« وكيف انضي ساعة بمريرة واطم ان الموت من قرباني »

فقلت ترى ان الدهر لم يعرف بأحسن مما وصف به في شعراني  
الملاء ، وان مأساة العالم لم تكتب بأسلوب اعق وأروع من أسلوب  
الازوميات . وما هذا الحزن الى الموت الا حزن نفس مستهينة ،  
ترى ان تلك آثار النسيان الصاحب وتلقا الى سكون العقل . ان  
اجسادنا لا عفت الى الخوض وحلت بالضمير الطاهر ، ارتاحت  
من التعب والغم . انفسنا لنا اذن تخاف طريق الردى . ان طريق  
الردى هو خير الطرق .

اننا لا نفيق من السكر المحيط بنا الا اذا كشفنا النقاء . عن  
فكرة الموت ، وادركنا طريق العقل والرشاد ، وآمننا بالله  
والكلم والخير .

« اذا كنت بالله الميسر واثقا فلم اليه الامر في القضا والخط »  
فرجود الله الميسر على الدهر ، والنور المحيط بالظلمات ، والعقل  
المهدي الى الرشاد ، كل ذلك سيولد في قلوبنا نورا . واطمئنانا ،  
ويقلب سخطنا الى رضا . وقسمتنا الى رحمة . ان الاله الذي  
خلق العدل كما خلق الظلم سينقذ الانسان من برائى الدهر ، وسيرفعه  
الى الملأ الاعلى . وكل من ادرك مأساة الحياة وتعق في فهم  
حكمة الموت ، علم ان الله لا يضع اجر من احسن عملا . ولمعري ،  
ان الله هو خير الذخر في كل شدة ، فمن طهر بخوفه مبعته ، أصبح  
اقوى من الموت ، لا بل اقوى من الدهر .

مبين صليا

دمش

طريف ان  
نعرف ان العلاء  
طالع بفلسفة  
جديدة، واستوت  
في نفسه عناصر  
فكر جديد

## المعري يضيع أصول فلسفته جديدة

بقلم عبد الله العدوي

بشكلنا يدعي  
واقامة المذلل  
المبتكر، ينبغي  
لنا ان نتناول ولو  
في مثل الاسام  
هذه الملاحظات،

ونوضح كتبها واثرها وكيف استجالت  
وتخلفت في ذهن المعري السري بالاهامو الحصب  
والسري من وجه آخر بالتقيد او العمق.

رسائل اخوان الصفا: في معرفة مؤرخي الفكر العربي شي.  
كثير من هذه الرسائل وعما تركت من آثار في شتى الحقل،  
ولكن شيئاً مهماً فاتهم التنبه اليه والتنبه عليه وهو انها لم تنف  
عند حد التأثير فقط، بل استبدت بالفكر العربي وطبعته طيلة قرن  
ونيفيه حتى يستقيم لنا ان ندعو الحقبة القائمة من اواخر القرن  
الرابع حتى اواخر القرن الخامس بعصر اخوان الصفا الفكري. ولو  
شئنا تتبع آثار هذا الفكر في مختلف نواحي الانتاج والنظر الفلسفي  
التجريبي بل (الحياة ايضا) لانهاها كثيرة جلية في ابعاد حد.  
بيد اننا نلاحظ هنا لا يمكننا الآن بقدر ما يعيننا معرفة ان هذا  
العصر الفكري اشتهل حياة المعري من اقطارها واستبدت به  
آثاره، الى ان تيسر له المروج الى افقه الجديد واشراقه بمرارة  
جديدة الحياة جديدة الالوان.

فما لا ريب فيه ان الرسائل كانت موجودة متداولة سنة ٨٣٧٣  
على ما يتضح من كلام ابي حيان التوحيدي، والمعري ولد سنة  
٨٣٣ هـ وقد ابتدئت<sup>(١)</sup> الرسائل الى كل مكان واتصلت باثرها  
الى ازمان طويلة، بله اهتمام الوسط بها اهتماماً شديداً لم يقتصر على  
طبقة دون اخرى او فئة دون ما عداها، حتى كاتبا المفاضة  
الحقيقية تبش النمشة التي تذهب بالفوس شيئاً بعد شيء الى الاستقامة  
جلديدها في قصد ودون القصد. وبطقة قوى المعري كانت في جو  
عابق لسحرها، فضى مستمناً يفكر على نهجا وبأتم رسوماً.

رمزية الباطنية الحرفية: كانت الباطنية شيئاً راسخاً ازمان  
المعري، فقد نجحت دعوتها ونجح وجودها وقامت بمحاولات

أطاف بالوجود وما وراء. وعلقل يستكشف  
أسرار الحياة، وكان سبيله الى هذا الفكر  
أشد طرافة. والدارسون عرفوه شاعراً او  
فيلسوفاً او شيئاً غير واضح بينهما، وعرفوه لئلا كذاك في  
شكل من هذه الاشكال.

والذين زعموا فلسفته وقروا عند حد انه حكى افكاراً من  
فلسفات شتى، ثم جدد في ان يلائم بينها، وقد اخفق في رأي فريق  
اخفاقاً عجز عن عدم تثليل وهضم، ووفق في رأي فريق توفيقاً حجباً.  
ومن وراء هؤلاء هؤلاء طائفة تنسك عليه الفكر، وان اضافت  
اليه الخطرات المتأخرة للتأنيب<sup>(١)</sup>.

وأية من هذه الدراسات جاءت مجردة من جهد ومن تنظيم  
احياناً، ولكن سبيل نقعها انما تأتي من اننا عالج فكر المعري  
في آثاره، ولم تنف ابدأ عند ظروف هذا الفكر تمسحها وتختل  
منها اقتباساً اليه، فأتت وهي ذات نتائج ملتوية على نفسها وغير  
صادقة ايضاً.

اما نحن فلما نجد بدأ من دسه والوصول اليه او بتعير آخر  
الوصول الى ما اتبني عليه فكره وداخل هذا الفكر، على ضوء  
الملاحظات التي صاحبت الفكر العالم عهد المعري والتي عاشها في  
شكل مباشر قريب.

والملاحظات الفكرية التي نهينا ونحاول الدلالة عليها هي:

- (أ) رسائل اخوان الصفا.
- (ب) رمزية الباطنية الحرفية.
- (ج) تأويل البحث القوي.
- ولكي نتحقق من الصرح الفلسفي المشيد الذي سواه المعري

(١) التأخرة الخطيرة النائرة والتأنيب من قول العرب تلاوتت الريح  
هبت من كل مكان قبل الذب الذي يهي. من هنا وهناك ومن كل مكان  
موماً انه ذئاب كثيرات كحلم قفرب عن سيبويه راجع ترعة الالبا في  
اخبار الادبا لابن الاثيري ترجمة قفرب.

(١) راجع هون الانبا. لابن ابي ابيصة في ترجمة الكرماني واخبار  
الحكام للفضلي والانتاج للتوحيدي وجلاء البينين للاروبي وكشف  
الظنون للاكاتب جلبي وموسوعات العلوم العربية لاجد زكي باشا.

كبرى هنا وهناك.

وكانت هذه الالمانية تسلك مسلك استطاق الحروف وتسير الحرف كأنها حياً له جسد ودم وروح وعقل ، وبسبب ذلك استخدمت ( حساب الجمل ) لاستطاق الحروف عن وحييات الاوضاع الفلكية ، وما تدعوه ( بالتنكيك ) وهو شيه بالجناس التصحيفي لاستطاق الكلمة والجله . وقد تبلورت رمزيتها هذه في فنون شتى من الشعوزة<sup>(١)</sup> ، ونحن نجد عناصر هذه الرمزية في الرسائل جليلة واضحة .

تأرجح البحث القوي : لم يبلغ البحث القوي في عصر مبلنه عصر المري ، فقد نفضت اليد منه على كل اشكاله ، وتأقت له فلسفة خاصة كانت غنية غصبة ، حتى قد تمخض على انه غاية في ذاته وزاد في تجزئه اعتبار المبر الذي استقل التيم الادبية في كل انواعها الى الالفاظ .

فكان من تراوحي هذه الملايسات لفكر العام وتقاطعيها في نفسه واستعاليها في كيانه القوي ، ما أعده لاثبات فلسفي مدهش لم يستخدم للتعبير عنه قوالب الفلسفة التي كان يراها عتيقة بالية ، ويراها ايضاً انتمالاً من افتعالات الفساد بل تصوراً من تصورات الباطل المرمية بأنها الحقيقة :

إذا تفكرت فكراً لا يارجه فساد عقل صحيح (٢) فان ظاهراً

فاأمره وقد هدي الى فكر جديد : أن لا يصطنع في التعبير هنة أية القوالب التي انتفضت وقلائت من وحي الالاطيل ، وانفسا استحدثت فلسفة ومنطقاً فلسفياً ، وألفاظاً في هذا المنطق وتلك الفلسفة .

وقبل ان نشير الى شيء من بئاته الكبير الشامخ ، يجدر بنا ان ندور قليلا مع ادوار استحالته اترى كيف ابتدأت وتكاملت ثم تفرقت .

نشهد المري في بدايته يثيا في عالم لقوي من كل اقطاره مثل الرياضي الذي يسبح في عالم لا يهائي من الأعداد ، يجيها في العدد ويجيها فيه العدد . فقد بدأ ثقافة تروية خاصة انتقل اليها ، وزاد بانتقاعه الى عالمه القوي الخاص انطفا . حاسة هي اشد الحواس في الكائن جذبا الى واقع المادية الصماء .

اذن فالمري ليس له مما يوصله بالواقع المادي الاحم الا الأضعف

(١) المعروفة باسم الخطبائية والازيرجات وما يشبهها .

(٢) سترى بد في سلسة بحثنا عن فلسفة المري ان هذه النقطة تعمل أم جانب من نظرية المعرفة عنده ولم تبدو مع التامل غنية غصبة .

تشويقاً وتأثيراً ، فلم يشده واقع المادية اليه ويثني عليه بغيره بل ظل طلقاً من الاسار أسر المكان الجرد .

انه ليس يشهد سوى صور الالفاظ كما يقترضها ، وهي تحيا فيه ويجيها فيها يطق ويتقط ونشوقه كثيراً فيستلذها ويتذوقها . انه يحس بكيانه فيها ، وهي أي الالفاظ في حسه يتدفق مثل شلال الى هاوية الوجود ، فيعوقه صياح هديره الذي هو هدير ذاته في ذات الوجود . وكان هذا الافتلات من أسر المكان ، اول قادمة نبئت في جناح نسرنا العظيم الذي اطل علينا في هذا الدور بوجه الشاعر للمتعم بالنكر .

ونشهد المري مرة أخرى يتقلب في حلب وهي منزل من منازل المعرفة بمذاقه ، يب كل ما وصلت اليه يده غير متخرج ولا متأثم ، وكان في حلب والمسافات الترية منها نشاطاً لبساطية ، وقريب جداً ان المري اتصل به اثرها وهذا ذاهلاً يوشف رسائل الاخوان بنهم .

ولما هو حتى صفت به هذه الدهور وما هو حتى هب في نفسه الاصدار ، واذا به يعود الى المرة حاملاً أقصد ازمات الفكر التي لست طويلاً وعاني كثيراً حتى تهدي الى حبال . وقد تداعى في متناحر هذا الاصدار كل ١٠ كان في نفسه قائماً ثابتاً ، فيطل علينا في هذا الدور بوجه الشاعر احاط بالفكر في قسم من التروميسات بداء في المرة<sup>(١)</sup> قبلما رحل الى بغداد .

وهو تحت هذا الاصدار او الازمة الماتجة هب يطلب المعرفة جديد على غير الشكل الذي طام به من قبل في حلب ، فتلك معرفة التلقين وهذه معرفة النقد والاستعالة . وهنا نشهد المري مرة ثالثة يضطرب في الارض ومع الناس ، ولكن زاداته مشاهداته يأساً وأسى وزاداته استغزاً انشطه الى الثورة ومده بالتقد السافر والضحكة الصغراء المتأكلة .

والمري يقتل من رحلته البندادية التي وصلته بكل فكر لكل فئة ، ويطل علينا بوجه الشاعر الناقد للفكر الاصطلاحي بالفكر الاصطلاحي نفسه الذي هو اذل على التهاوت ، وهنا يبرز جلال السخر عند المري وجماله .

ورغم ما هو فيه من اعصار دأثر على الفكر الاصطلاحي عنده وعند الناس ، ورغم ما تداعى بين يديه من صروح الاصطلاحات الجوفاء ، ظل مؤمناً بالقيمة القوية وانما تبطن سرأ

(١) راجع سجع الادباء لياقوت في ترجمة المري .

عميقاً . وزاده أيماناً ما رأه في رسائل الاخوان التي مضت تقرسريان القوي وهي الاصوات والنهت ، اولاً في عالم البهوات ثم في حر كالت الهواء ثم في حر كالت النباتات ثم في اجسام الحيوان ثم في عالم الانسان . وان لكل صوت صفة روحانية تخص به خلاف صوت آخر . وان اصل الحركة هو النفس وان الصوت منضبط من حر كتها وسريان قواها في الاجسام ، والصوت مفهوم وغير مفهوم والمفهوم هو الصوت الحيواني ، والصوت الحيواني على ضربين منطقي وغير منطقي ، والمنطقي يتعبد في اللغة . وان للاصوات ألواناً ومشوشات . ثم هي تملأ لماذا كانت الحروف « ٢٨ » وانها العلة الثامنة ، فان منازل القمر كذلك . واهضاء جسم الانسان كذلك ، واللغة الثامنة هي العربية ، فاللغة العربية في اللغات مثل صودة الانسان في الحيوان . وان احكام الكلام ما كان ابلغ ، وأتقن البلاغة ما كان افصح ، وأحسن الفصاحة ما كان « وزوناً » متفقاً ، واضح الموزون ما كان غير متحرف « (١) » .

فانما المعري بالقيمة القوية وما خلخته الرسائل في نفسه ، وده رداً عني اني لمطلب حل القتر في اللغة ، ولا سيما وان القائلين بالترتيب الكوني ترتيباً عديداً مثل اصحاب الرسائل يرحلون « (٢) » بين العدد واللغة من حيث ان كلامها يترد الى وحدة لا تقسم . كما وان العدد حد غير ناطق على حسب التعبير الباطني ، وهو حتى يتردى الى المفتاح الذي يحل القتر في كل شيء . في الوجود والحياة والتفكير . وهنا احس بانه قد ادرك ، وقد ادرك وحده ، فانكشف على نفسه متجرداً فوق خضم الاطليل مطلاً من افقه الشامخ بوجه الشاعر الفيلسوف الكامل ، فقد أعلى فلسفته المنقطعة الغبار التي تعرضها الآن عرضاً كغيره فقط ونجدهم عليها قباحاً من بعد تفصيل وتطبيق . يتصور المعري الكون كلاً لغوياً ، والتركيب القوي غير نهاي في فهو كالابدية في اتساعها وامتدادها وعمقها . وكما يرجع التركيب الى الفاظ حروف فأصوات فنامات خفية يقطع بها استعداد الحلي طناً ذاتياً ، والحلي يعني فيركبها الى غير نهاية ، وهو اذ يركبها يركب فيها رجفات استعداد اللغات مثل رجفات الاوتار .

كذلك الكون والوجود والحياة ، تملأ في سلسلة تباسطها الى ان تستوي في الله استواء الصوت في ذات الحلي . واول انبثاق هو رجفة او فيض الاستعداد الالهي ، الذي بدأ نامة ثم بضت تتعبد شيئاً بعد شيء لتتركب شيئاً بعد شيء ، حتى

(١) راجع رسالة اللغات ورسالة الموسيقى ورسالة العدد من رسائل اخوان الصفا . (٢) راجع رسائل الاخوان ج ٣ ص ١٥٠ .

تتعد وتتسر سلسلة منظومات الانبثاق في الحياة والاحياء ، مثلاً تتعد وتتسر سلسلة منظومات التفاعل في القافية .

وفي المقعد تظهر انواع الفساد الا عندما رزق القدرة على التزام ما لا يلزم ، الذي هو في القافية احكامها وتربيتها من الضبط التامسي بها الى فوق ، وهي تنتج شيئاً قليلاً . والانسان هو قافية الحياة في سلسلة المنظومات الانبثاقية الكونية ، والتوحد هو التزام مسا لا يلزم وهو ارتهاق الحبس وبه يتجرد الحلي ويملأ ، وكما ان التامس لا يلزم لا يتبع سوى القليل في الشعر كذلك هم قلة الذين يتوحدون ويصطفون ، وعلى التوحد المطلق تدور كل فلسفته او شريته وهو يرى ان التوحد درجة فوق التوحيد .

وهذا التصور القوي في الكون ينتج ان الله منضبط بالذات متصل بسريان الاستعداد الالهي ، ويتبع عدم جواز التناسخ لانه فرع القول بان الترتيب الوجودي قائم على مثل المتواليات العددية فلا يزيد ولا ينقص . اما القول بالترتيب القوي فانه يقتضي ان الكون قائم على مثل المتواليات الهندسية ، التي تجر الى القتر في التشكك .

والانبياء قوم متوحدون ساروا مسير القافية حتى بلغت اسمى منازلها في التزام . لا يلزم ، كما ادرك التوحد اسمى منزله في توحيده

هو ، وبعد حق في نفسه لمة المتني :  
 صمد حده . مؤحده . رب جد جره اللب  
 ولعل هذا سر احقره ، وتقديره له واثابه به .

والشرائع مناهج المتوحدين وهي متفاوتة في صفة التشكك فهاجم نواحي النفس فيها . ونظرية المعرفة عنده : التأمل لخالص على منتج لقوي . ومنطق التوحد الفلسفي : الاحسان في استخدام الاشتقاق وادراك تماثل الانفاذ التي هي حدود ناطقة والتي تحوي مؤثرات حية . واسلوب التوحد : القصة المتوحدية اي المنزلة الزائفة والشعر المتقدم فيه والنثر المحكم احكام هذا الشعر . والانسان الكامل : هو المتوحد وذلك لان الوادية هي بدء البسيط او الجزئية وحماية المركب او الكلية . والانسان الاكمل : هو المتوحد الضرورة . ومن هذا يظهر كيف نبئت فلسفته على شكل آخر عند ابن باجة الذي انحرف بها عن التصور القوي الى التصور الفلسفي الاصطلاحي . ومن الخطأ الظن بان المعري حارب النسل بناء على فلسفته ، وانما اخفقت دعوة التوحد وشعر بانها خافت فينس من الاصلاح البشري ، فنادى بالتهديم ، نادى بجني الحياة « (١) » .

عبد الله الصديقي

(١) سأتى فيما بعد على هذا في منشور من دراسات خفية في الموضوع .



## أبو العلاء في الفلسفة المقارنة

بقلم فزار السائب



نوع سلمي يقتصر على عرض الناحية السوداء من الحياة . وليس سلاحه أو أدوات عمله على القالب سوى التصوير والتحويل . ومن قبيل هذا النوع دوستوفسكي .

ونوع ايجابي ضعيف الايجابية ، يشترك مع النوع الاول في تحويل عنصر الشر في الوجود . ويعتق عنه ، بإرادة انسانية خلسة ، تسهيف الصلاح ورفع الحيف ، ودرء الظلم . ومن قبيله المعري وشوبنير ، ثم درهامل الفرنسي وهكسلي الانكليزي وهما من أعداء العصر الآلي ، بقدر غير متساو (١) .

ولم يجرع ثالث ايجابي هو ( التشاؤم البناء ) ، اذا صح التعبير . جمع اليه النشيطين : تشاؤم سلمي هدام لكل ما هو من اوضاع واخلاق ومصطلحات قائمة ، وتقاؤل بإمكان ان يستعوض الانسان عن القاسم بأوضاع واخلاق ومصطلحات اسمى واعدل وأجدر بالانسان . ومن هذا القبيل فوبيردك نيتشه . ولعله وحيد هذه المدرسة .

وانه ليجدر بنا قبل دراسة الفلسفة المعرية دراسة مقارنة ، ان نجعل من دراسة التشاؤم وتحليله توطئة لا بد منها . فالتشاؤم عقيدة نفسية ذات دوافع داخلية وخارجية متفاعلة ، هي منه العناصر المركبة .

فالارادة هي العنصر الاول من عناصر التشاؤم وهي حجر الزاوية في فلسفة المتشائمين . وينفيها ابدأ في طبائهم ، احساس مرهف ، ووعي دقيق ، وشوق زاهر ، نحو مثل عليا يتزعم اليها نزوعاً مستمراً مطلقاً ، قد يرون اغراق نفوسهم ببطولة في سبيلها —

حسن حظ البشرية أن عاشت بها في مختلف ادوارها ، هؤلاء الشاكسون الساخطون ، المتشائمون ، الذين زعموا الكراهية واقرال الشر ، ليحصلوا هم انفسهم او يحمدهم من بدهم ، غلال الحب واعمال الخير . كأنهم طوائف النحل تسرحُ جاهدة ، تجرُسُ (\*) المرء . فتجربة في رضائها شهيداً عذباً .

ولا أرى حتى في ( متشافي الانعطاف ) انفسهم من خياميين وبودليريين ، ودوستوفسكيين ، امكتنا . يشين الانسان ويبي . الى حظوظ الانسانية . فلقد كان هؤلاء في عصورهم شجارات تفسيرية ينهل من وردها المصلحون ، وآيات دينية يستندون عليها الباحثون والصالحون . فلخصوا افكار الحياة بأسرها في حياتهم ، وأغفروا الاحياء . لسجلات اعمارهم من القس سجل ، غفلوا وتحملوا اوزار عصورهم ومناصيرهم لان نفوسهم الشاعرة كانت وحدها اشد احساساً وتلقاً بالمصير ، واليق بالمرء بما وجد بالهضبة .

ولقد صب المجتمع المتسكع في الضلال ثقته بلا تمييز على نزعين من انواع المتشوقين . فمن النوع الاول ، المصلحون . ومن النوع الثاني المتشائمون ، فكان الاولون اصحاب رسالة الحق ، والآخرين المبشرين بها الصرعى في تمديد سبيلها . وان بدا هذا القول للناظر الى الاشياء من خارجها تناقضاً فما هو الا الالفة في توازن الحياة ، والانسياب في اعمال عناصرها مجتمعة . فالتشاؤم هم الشرع . الذين انذروا والمصلحون هم الشرع الذين بشروا . وتزعة الاصلاح ، كالشعور بالفساد ، كلاهما من بوامث نهضت التطور والابداع .

بمكتنا تقسيم التشاؤم الى ثلاث مدارس او ثلاثة انواع :

(\*) حرست النحل الزهر ردة .

(١) يذهب جورج دوجال في تشاؤمه من ( الدنية الآلية ) مستمداً الانسان الحديث ، بلغي يقول انه خير للانسان ، عبد الآلة ، الرجوع الى الطبيعة وبساطتها البدائية . ويد من الكتاب الانسانيين .

بغير نيته - سيلاً من سبل التعرّب منها أو تحقيقتها - ولا يب  
ان الصوفية ، من بعض وجوها ، كمشكلة ، مسا هي الالتميع  
الشرقي عن ارادة متشائم . ولشرح ذلك غير هذا المجال .

وثاني عناصر التشاؤم هو الألم . والألم نتيجة حتمية لحياة  
الارادة وعملها . ففي بحث عقده الكاتب المعاصر (توماس مان)  
عن شوبنهاور ، الى ان يعترف بتقسيم دارسي التشاؤم الكبير الى  
فيلسوف ارادة وفيلسوف تشاؤم قائلاً ان شوبنهاور فيلسوف  
الارادة والتشاؤم مأساً . وفلاسفة الارادة ان يكونوا الامن  
للمتشائمين . اذا ما هي الارادة بالواقع سوى الرغبة المندفعة ترتطم  
بالمقاومة ، والشهوة الجارفة يكبتها السبى . والعجز الحيوان يغمره  
الألم ؟ عالم الارادة لن يكون سوى عالم الألم .

فالارادة المشبوبة يكتبها العجز فتعيش مغمورة بالعذاب ...  
تلك هي قصة المري ، ونيته وشوبنهاور . وتحت هذا الرواق  
تعيش فلسفة التشاؤم . وهنا صار بإمكاننا ان نقف ريثاً . قبل  
استكمال البحث في عناصر التشاؤم الأخرى .

ان النقطه التي يلتقي عندها هؤلاء الثلاثة الكبير ، لا تلبث ،  
وهم في غمرة الملتقى ، ان تصبح مفترق الطرق . ويفتخرون منه ،  
ويختلفون ، ويتناقضون . فقد وجد شوبنهاور مثلاً الانمواضطرابه ،  
ولا بد لكل متشائم من نافله ، فراح يقرر ان الانسان الشئ -  
بمجرد كونه ولد اياضه الى جماعة اشقياء . - يصح ان يكون يجد  
ذاته (تبع الخليفة) وهو امضى اشكال الارادة وابعدها تقوياً .  
وبمثل هذا يرتفع الفيلسوف القويق ليلتي في شكرته عندئذ ،  
رافدا التشاؤم والانسانية . وكان يقدر كرهه الحياة ، عطفاً محباً  
لهذا المخلوق الرائع السامي التطور .

وكان لاني الملا . منذ آخر مختلف . فأبأن عن ارادته وآله  
اياه شرقيه صرفة ، بالزهد ، والزلة والانتقاط عن الدنيا . ولو  
انه في اعاقه التقصية حيث ترسف ارادته مغلوله لم يكن يطيق  
الزلة في الدنيا والاخرة :

ولو لاني حيث المجد فرداً لا احييت بالمجد افراداً  
وطوى حاجاته ، وقلم اظافر شهواته ، وقنع من الدنيا  
بالكساء الحسن ، والحصى البالي ، والطعام التافه مع انه لنو  
حاج . وحاج يطالب بها الوجود .  
... وألغى الموت لم تعد الهيايا مجاذبي ولم تجف الهيايا ؟  
ثم :

حاجي : نظم جان والحياة هي  
ما المراد فهم . لا يمحط به  
سلك قصير فيأبى جها العسر  
شرح ، ولكن هو المرء مختصر

انه الزهد بالدنيا التي يتمثلها ، رغب فيها كلها ، ففاته كلها ،  
فرغب عنها كلها . وهنا حيث يشرق المري نحو الزهد ، يفرغ  
نيته نحو الجسد . فيبدأ الفيلسوف الألماني من حيث انتهى  
الفيلسوف العربي . والفرق بينهما هو الفرق بين الشرق والغرب -  
بلاديب - والعرب والجورمان ، والقرن الحادي عشر والقرن  
التاسع عشر . وليس هذا الفرق ، ادى التباعد بين المري ونيته  
فحسب ، بل المدى الفارق بين نيته والانسانية كلها . وقل :

الامكانية الانسانية . فلقد اراد الفيلسوف الألماني شيئاً عظيماً ،  
والتي في الارض بذور تعاليم ، لو لم يتهددها احشاده بالسبياس  
والعوسج ، ليحصدوها من بعد قتاداً وزقوماً ، لما غت وظلمت .  
فقد وضع نيته ( ارادة القوة ) يوشى بانسانية ، بتأليها . رجأها  
آله ، وطبقها الهاسكة نباله . فضيلتهم ان لا يتقيدوا مفهوم العالم  
المتداول بالفضيلة ، وسر السمو في اخلاقهم ان يطرحوا ما عرفوا حتى  
الآن من مقاييس الاخلاق . ويقضي ذلك ان يكندح الانسان  
جأهده ، ليعتوق على ذاته باستمرار ، حتى الكمال . ومن شريعة  
التفوق الاجاز على كل ضيف عاجز عن السمو . فان عاش ،  
فرتته هي الدنيا في (سلم الاخلاق) مع زمرة البعيد الذين لاهل  
هم - يرى اخذته والطاعة والاخلاص (هكذا تكلم زرادشت) (١)  
وقد تدرج نيته ، كالمري ، الغزلة الزهية ، يتألم من العوز  
والحرمان ، ووجع الجسد ، مجسداً ارادة القوة ، مقدساً الألم ،  
بصرخ من اعماق الغزلة وقد تحلى عنه اقرب اصداقائه : « أنا محاط  
بالجليد ، ويدي تحترق بالصقيع ... »

ولا ريب في ان المري كان يتكوي ذات يوم في محبسه  
بجميع الصقيع ، الذي ارتقى فيه نيته . ولكن احداقه ، كان  
نوراً داخلاً ، وادعاً ، كزهد ، وكان مشالاً للتواضع ، والبر  
والاحسان ، واحترام الظلم والقوي التشاؤم . ييسر بدني الزرق

(١) يرى فريق كبير من دارسي (نيته) الجهاديين ان تعاليم الفيلسوف  
يجب ان لا تعتبر ( سابقة ) لمس عليها الافراد ليلداً انساني . وليس  
صحيحاً الى حد ان الفيلسوف ابر النظام الاثالي الحالي . فلم يكن  
نيته حصراً بالمشي الرابع . كذلك لاتبه بين (الاسياء) الذين بشر  
هم ، واسباب الحالية كما ان (السيادة) التي ارادها ، لم يتعد  
حصراً في الدولة الاثالية . ويمكن القول ان (بداً العنف) لم يطلعه  
(زرادشت) لامتيازات عليا او وطنية محصورة بل هو فني على الغالب .  
ان احضاراً واحداً يصل من الفيلسوف اياً للثانية وهو اعتبار (لاحق  
لضيف) . على ان غة من سبق نيته الى هذا . ولله لو شاهد الماياليوم -  
كما يقول جوليان بندا - لتهد وقال : ما كنت اريد ذلك ؟ O  
حي في ايراد هذا الشرح ، اوضح تعنيته ضرورة الحال - ف -



بما يشر به احد قبله او بعده . فاستكبر حتى الجراحة في الطب وفقاً بالجريح وبرا بالجرح :

فان ترشدا لا تقصوا السيف من دم ولا ترموا الاليل سحر الجراتح

ولم يحرم لحوم الحيوان ، فحسب ، بل يبيض الطير لان اكله فجيعة لها في نفسها ، بل جني النحل ، لانه انتاج خليقة تعبت وجهته ، وما فعلت ليستجلي الانسان غار كدها . ان هذا لنظم ، «والظلم شر القبايح .»

وكان نيتشه في احتراق ، صلفاً وكبريا ، ووتراً مشدوداً ، وأما احتقار الظلم فبداً لامكان له في مذهب ارادة القوي ، وتعاليم زرادشت النيتشوي ، لانه اعتبار متوارث قديم يجب ان يزال في بناء . ( الاخلاق الجديدة ) ، بناء ، يبيح كل شيء في سبيل الانسان الالهي . حتى ان الانتصار المرفوض في الحلق القديم ، عمل بطولي عظيم ، في سبيل تفوق الانسان الجديد على الانسان المتبق .

فتأه الى الملاذ في ارادته واحتراقه ، يكشر لها نيتشه من القطب المقابل ساخرأ ، مهزناً دعائيا من انسانيين ، قديمين عوسلين واخلاقيين - جماعات الاضطهاد البشري - ومن علماء اقتصاد ، يعملون على تقسيم الارزاق بالعدل والمساواة . اذ لا عدل ولا مساواة ، وليست السعادة غاية في ارادة القوة ، بل القوة والحق ، ولا ننسى ان الثابن الظاهر بين اتجاهي الفيلسوفين ، لا يثنى عن نقطة المناق الواحدة وهي هنا ، توجهها نحو اهداف عليا ، ومطامع بعيدة ، تنو . بها الامكانية الانسانية .

اما ( التفوق ) الذي نشده نيتشه وانشد في مجده ، فهو شيء من نفس ابي الملاذ ، على شكل مختلف . فالتفوق عند نيتشه هجرم ... وعند المري دفاع . وهو كذلك عند الاول طبع جعله للناس مذهباً ، وعند الثاني صفة نفسية ذاهبة بين الطبع والانطباع . اقري دوافعها وابرزها ، اعتزاز الفيلسوف بكرامته كمال صالح ، يُعلم في علمه وصلابه . ثم عامه ، وما يوافق هذه العامة الكبرى ، من شعور بالنقص للمركب .

فرأب ابا الملاذ ، في حالة غير عادية . يفتنى بالتفوق تفتيناً نشويأ :

... وكمن طالب أمدي سيلي دورن مكاني ، السج لشدادا

... لي الشرف الذي يسلأ الثريا مع القتل الذي جر العبادا

... ولو ملأ السبا جنيه مني أبر على مدى زحل وزادا

... اقل نواب الايام وحدي اذا جمت كتابها احتشادا

اما متخس هياجه ، وشوره بتفوقه ، فهو هذا العدو الذي يتناول ...

ويطن في علوي وان شمي لأبف ان يكون له نبادا (١)

وما هذا من روح ابي الملاذ ، ان هو الا صريف الانسان . ان ذاك الانفة الضعيف ، يعرض على القننى ، ولا يقضى منه الاذى . فهو ينافع عن كونه في الحياة حياً سوياً ، واذا لم يشأ الاعداء ، فهو في مرتبة اعلى من مراقب الاحياء دويته .

على ان طبع التفوق السلم ، الطبع الذي يعرب عنه الفيلسوف الشاعر ، عن شعور او لا شعور مطوي من دواشب الذات ، فان آياته اللينات ، على ما ادى ، تطل في قصيدة ( علاني ) . حيث يصف وصفاً يذ به المبصرين وهو ضريح ، كما انه اراد في حياته ان يتر المحسنين وهو على حصير .

فاسمع آيات التفوق في قصيدة لا يتسع لكلها المجال :

... يضل من يض الاناني قنيت ، والظلام ليس يثاني  
... ن تلتفت وداد أأس فاحلاني من بض من تذكرا  
... وب ليل كانه الصبح في الحسن وان كان اسود الطليسان  
... لير كمننا في الى الوراء وقف الشجم وقفة المجران

... مكانك يا قائد للظل وشباب الظلام في عنوان  
... لاني هذه هروس من الزمج طيبسا فقلدت متن جمان  
... وكان اهلان بجوى القربا فبسا للوداع مشتجان .

... قال صجي في جنين من الخندس والييد اذ بدا الفرقدان  
... عن غرق في فكيف بتلندا غمان في حومة الدجى فرقان ؟  
... وسيل كوجنة الحب في اللون وقلب الحب في الخلفان  
... مستبداً كانه القنادس للملم ييدو مصادف الفرسان  
... يسرع للسج في احمرار كما تسرع في اللعق ملة الغضبان  
... ثم شاب الدجى وغاف من المجر فخطى للشب بالظفران  
... ونفسا فخره على نره الواقع ، سيبك ... فهم بالظفران

فأني تفوق ؟ وهل كانت جياد التفوق ، تلث ظهورها ارادة محرومة تجر في دم الشاعر سراعاً نحو القصب ، عندما كان ينظم ؟ هل كان الشاعر يبسادي ؟ ام هي آية غوية من آيات التفوق ؟

ثم ان هناك ( الشك ) كمصدر ثالث من عناصر التشاؤم ، عاش في ضمير المتشائمين بقدر يتراوح بين الكثرة والقلة ، والظهور

(١) الشمس غيبط في الليل او الخلاء .



بعض آثار أبي العلاء المروى وبعض الكتب التي ألقت عنه كما تبدو في جانب من المرعى الذي أقامته دار الكتب اللبنانية

وفي هذا التيه العظيم ، المتعب في سديم الظلام ، وعلى أبواب الموت المطلق . وفي أشد حالات الوجد والعلاب ، نلتقي بشخصية أبي العلاء الكبرى ، وقد انطوى فيها ( حب الحياة ) وهو عنصر التشاؤم الرابع .

فأي قلب كبير يفيض بحب العنينا في شك الفيلسوف وشكواه وإي إعلان لمريرة الحب وراء كل كلمة تجرأ بالعنف وتنضح بالمرارة ؟

انك ترى الفيلسوف في سديم التيه الطامي ، ذاك البشري ، الذي لا يجب العزلة السوداء ، ولو ولجها كارهها ، ولا يقتازل عن حاجاته وإن كان الزهد بها مظهر شرقه إليها .

انك ترى الرجل الشغوف بالحياة ، المؤثر لها ، يطالعك حبه من وراء قوله :

إن حزنا في ساعة الموت أضفاف سرور في ساعة الميلاد

بل يصارحك :

والروح في حب دياها مذبذبة حتى يثقل لها ربي من الجسد

وتراه يشفق على نفسه ، ونسله من اقتراف التجربة الكبرى في إعطاء حياة عاقبة الموت . فلا التبعة في بصره وسعادته ، وقد هانت لتخفف عنه بعض عذابه إذ يتصور قدرة المصير الدائم . وهو إن يعلن الحياة ، فكأنه يطلب الذي يلمن الحب وهو عاشق ولها . إن الأسمى البائس المحروم ، الذي يود لو يحمل مصائبه وأعباء

والاستسبار . والشك أبو العلم وداء العقل المالح داء . الشك ( زلزلة ) مظلمة ، تقع فيها الفيلسوف العربي ، إلى جانب محبة ، وقد تكون محبة الثالث . ولقد كان الشك كبراً يضاف إلى إرادته المخلولة ، وغناه خالداً لأنه الكبير في كل شيء . الفيلسوف أن يتأثر باليقين ويوسع لنفسه آفاق المعرفة الكلاسيكية دون جلود وكان في كل محاولة استكشاف ، يتردد كثيراً عاجلاً ، يعبر عن لاجئه وشككه ، يشق أنواع التناقض والتناقض ، حتى لتكاد ترى في كل بيت وبينين أو أكثر ، نفس المضطرب المذهب الذي أطلق صرخة « غير محدد في ماتي واعتقادي ... »

لقد وقف موقف الشاك العاجز ، أمام باب الأبدية ، وقد أجهم عليه لئلا الموت بعدما أجهم عليه لئلا الإنسان الحي ، وكان يردد بأوزان مختلفة وأساليب مختلفة :

فانق الميث لم تظفر بحرقه أي المائي بأهل الأرض مضمود لم تعلق العلم انشراح بهي جا قل ولا كوكب في الأرض مضمود

وكان أن يحل لئلا الإنسان الحي بذلك ، عجيب وبصيرة نافذة ، ففقد أن الإنسان شرير بالطبع ، وإن عقله المعزل عليه ليس كافياً بعد في ردعه وإصلاحه . فوضع أبو العلاء . بذلك مفتاح السريد . العلماء منذ عالم .

ولكن ما هو الموت ؟ وما حيلة العقل أمام الموت ؟ ما قيمة الحياة ، ما قيمة المال ، والعافية ، والحياة غايته الموت ! استلح كان يتخبط فيما تفتحه امامه من مجاهل فما أبعد المرحلة وما أقصى الناية !

نفسه وعقله ، عبر الحياة متمسكاً دائماً - وحسبه منها ان يعيش ويتهر الموت . واني له ذلك ؟! فسيفتي ذلك الشقي بالموت ، المنيم بحبه الحياة ... ممآ .

من هذه النقطة الدقيقة في مرحلة التشاؤم انطلق نيتشه ليتألمب الضعف والموت ، تعبداً عن لجلاله للحياة وتقديسه لها . ومن هنا ايضاً ، من نفس النقطة ، وينفس الاحوال ارتد المري قبل تسعة قرون ولكن ليعبر عن حبه الحياة باستسلامه لها ... ويعود الرجلان ليفتقا ثانية وثالثة ...

اغنى ابو العلاء للحياة ، دعم تصبره طوراً وزهده طوراً ، كما اغنى قلبه وبمده الكثيرون من جبابرة الثقة ، فاشي جيفافل اعدائه ، واطبق جنيته على القذى . فان ينس من الاحياء ، فلم يأس من الحياة ؟! فكان حبه اقوى من الله ونعمته وكرمه . ولله كسب لنا نصف فلسفته في آيات :

وال ان تجهمني مرادي	جريت مع الزمان كما ارادا
وهوت المخطوب علي حتى	كأنني صرت امنحها الوداد
أأكرها ؟! وبنيتها قوادي	وكيف شكر الاراض اللناد

فامن ريشاً في قول الرجل ورائه في الدورة الأخيرة من المعركة ، ينهي لارادة الحياة - ارادة كالحق نيتشه بادية القوة - ويرجوك الا تقب عليه اذا شكاً . ويبدأ يستطيع الاعلان الصلح مع المخطوب كأنه معا على القة ويدخل الى نيتشه الحياة هذه الهدنة المنتجة -! ولكنها ليست الميزة على كل حال .

وهنا يتعمد المري عن نيتشه ، ليلتقي بدوستوفسكي ، على صعيد « حب الحياة » لقاء جيلاً .

فاقرأ في دوستوفسكي الذي صمم اوروبا بتشؤمه ، قولاً لبطل من ابطال رواياته ( ميتيا كرامازوف ) يخاطب اخاه ، وقد حكم عليه بانفي الطويل الى سيبيريا :

« اليوشا ...! في هذه الآونة الاخيرة ، اكتشفت في نفسي انساناً جديداً . ماذا يعني ان اهل الملوك في مناجم سيبيريا طول شربن عاماً ؟! حقاً ان هذا لم يمد يديني ؟! »

ان ( ميتيا ) في الرواية هو دوستوفسكي في الحياة . افلا ترى الى المقاومة الانسانية الجبارة ، قلين لتمنع زناياها الوداد ؟! ومن يقرأ ادب دوستوفسكي الاسود ، ويتابع احوال مشرويه ، ويؤسائه الناقين ، يدرك بلا شبهة ، ان الثقة الكبيرة على الدنيا ، انما تقابلها اخوة صلدة للحياة ، وعلوق حرص بها . فليس بدعاً ان نسمع احد اشخاص رواية ( المراهق ) - ادوليان -

لدوستوفسكي يصرخ : « اعطني ثلاثة اعمار . فهي ان تكفيني جميعاً ... » . وم حوت صرخات المري بهذا النداء .

ولم يكن دوستوفسكي الا الحقيقة التي عاشها ابطاله في الادب . فقد كتب في دفاتره الخاصة يقول : « لا ادري اين قرأت قصة محكوم بالإعدام ، يفكر في الساعة الأخيرة قبل قبض حياته ، ان خيراً له ان يعيش مربوطاً الى قنة المأوى ، وسط الواصف تنوش جسمه ، واقفاً على اخصيه ، وحيداً ، معذباً ، ألف عام ... من ان يموت فوراً . بل يريد ان يعيش ... يعيش ويعيش ! »

وكتب الى اخيه عام ١٨٤٩ قبل نفيه الى سيبيريا : « حقاً ان لني الانسان خزائناً هائلة من النعالية ما كنت اظنها على هذا القدر ... » . وكتب الى اخيه ايضاً : « انما لجرعة ان تخور قوتنا » . وكتب قبيل النفي : « اخي ... انا لم اجزع ولم أبك ... ان الحياة في كل مكان هي الحياة والحياة فينا وليست في العالم الذي يحيط بنا ... »

وفي كل هذا جوين للشطوب وصافاتها . وفي كل هذا صدق نفس سوها . ما ترى فوق حب الحياة حباً ولا بفضاً . وخسبك ان تعلم ان صاحب هذه النفس هو مولد شخصية ( راسكولينكوف ) في ( الجريمة والعقاب )

■

ان دراسة التشاؤم وبسيكولوجية المشائين ، تنفد مع ازم من اجدر الدراسات العربية بالصاية والاستقصاء . فالدراسة هذه ، انما تجمع الى المنة الفنية الطيبة ، فائدة خلقية جليلة ليس انكار خطرها سوى جريمة تعترف . فقد طاماً انساناً - اسامثقوتاه ، والدهما . ممآ - فهم التشاؤم ، فأوغلسا في ادب اسود بكسا . غواء ، لن يبدل حكمتا الصادم عليه ، كون بضنا فيه مطبرعين ، واكثرنا مقفلاً مزوراً . ولست ادعي انني فيا اوجزت من خطوط والوان ، قد ابنت الهة كافية . وقد اكون بحاجة الى اكثر من حديث . فارلوك هم المشائون ، اولئك هم الافذاذ الذين طاماً شغلوا عصورهم والامجبال بدمهم في دراسهم وتحليل فلسفتهم ، فكهم رُجوا ورُحموا - وكهموا واسي . فهم حتى ساعدت اكتشافات التاريخ الحديثة المعززة بالبيولوجيا والبيسيكولوجيا على اكتشاف الجوهر الثمين في نفوس رجال - اغرقوا نفوسهم ببطولة - فداء . للحياة ومثلها العليا .

دمش

قواد الشاب

# أعمى



المري برشته فروخ

دفعت به الى خارج البيت ليضفي الى الملعب ، فيلهو ويرح مع اترابه ، فانطلق الولد في تناقل وتراح ، لانه كان يؤثر عزلة البيت على كل شي ، حيث يلجأ الى نفسه ، كما يلجأ اليها الصوفي ، في ساعات الاشراق الروحي ، وما كان في مقدور الأم ان تدرك تلك المنة السابية التي تحتاج كيان الولد في خلوته الرائعة ، اذ كانت هذه المخلوة في نظرها ، مدعاة الى تلاشي روا. حياته قبل الاوان . وليس اخلق به ولجود بئله ، غير صبا ماقع ، ينطلق وراء مباحج الدنيا ، فيقطف منها المني الرطيب . وتحت تأثير هذه الماطلة المجردة ، كانت تدفع الولد . فكان يضي ويثد الخطي ، يجر نفسه جرأ ، حتى اذا وصا الى الملعب اختوته زاوية قسية ، فكان شأنه فيه لا يختلف عن شأنه في البيت . وتراه وقد علا ، ضليلاً كالنجم ، ناطقاً كالنبي ، مطراً كالشدي . فيساورها العجب ، وقتناها الدهشة ، فقد جرت عادة الاولاد ان يعودوا الى البيت ، وقد علام

الغباء والوحل حتى الدم في بعض الاحاديث ، او هو فكان حالة تارة تحوله العادة ، فلا يسه خير ولا يذل به شر . وذات يوم لحقت به الى الملعب ، فصرت بالمدس الضمير في حراب راويته وهو محبب حرة ناسك هندي . يا الله ! الى اين بتتهي اللطاف بهذا القلام ؟

ولاح لها من وراء سيف العيب ، فكانت فكرة ، وفكرة عظيمة تحمل لعلام امي . انشده الاسانية من حقيقة وخير وحيرة . لقد خرج من يدها ، انه في يد القدر وحده ، وهو الذي يتصرف بعدرانه ، ويتحكم بحياته . بل هذا المحاق مثل حلم يتفتح عن امل مبهم . وان وراء هذا الامل آفاق لا حدود لها ولا نهاية . رسة عشت الطرف امام هذا المرئي الذي تحلى لها ، فقد كاد يطف بصرها وينهب به . ولو علمت ان ما تكشف لها ، سينهب بصير ولدها ، لما تركته وحده ساعة ولا دقيقة . ولكن القدر كان اصدر حكمه ، وما كان في وسع الام ان تقف في وجه هذا الحكم .

كسرت الروح الى الملاء الاعلى ، بحالة غفوة ، وقد شعلها صفا . مطلق ، فالروح الزاوية عن طريق الخدس ، هي التي تصل الى هذه الحالة وتنهى اليها ، وان عليها ان تختار سيلاً وغراً صاباً . هناك من تقف في اول الطريق ، وهناك من تصل الى نصفه ، وهناك من تصل الى نهايته ، وهناك من تقف على عتبة باب المحراب . . . كم من روح احرقها النور واستجالت الى رمد .

انطلق الولد وقد بسط القدر يده فوقه . كان ذلك في صباح يوم مشرق وضاً ، وفي زاوية الملعب جلس ابو العلاء ، وتجلي له الحلم قليلاً قليلاً ، وبدا له النور شيئاً فشيئاً . كان كل ما حواه يدعوه الى التلاشي فيه ، ونضة أحس بان بصره يتد به الى اكثر من نطاقه المألوف ، وانه يتد في تلك الافاق السعيرة الاخاذة . ولكن كان ذلك الى حيث لا رجعة .

ولما نهض الولد ، عثر فاعتمد يده حتى استقام ، ولما خطا خطوة سقط . لقد غت عليه الحياة فصاح :

— يارفاق اين انتم ؟ فاقبلوا اليه واخذوا بيده . — آواه ان الليل جبط سريماً هذا اليوم .

نبيب الاختيار

رشي

ونظر الاولاد بعضهم الى بعض ومسوا : — أمي !

# بين أبي العلاء وسيف الدولة

لما



بقلم محمد روجي قبص

منياً . لا يدقن المؤمك أني  
من أنصار هؤلاء المؤرخين الذين  
يعززون -خلود سيف الدولة في  
التاريخ الى المتني . فإن للامير  
الحمداني غزواته وغروبه مع الروم  
من لدن دخوله حلب عام ٣٣٣

هجرية الى ان احتلب الى ربه عام ٦٥٣ هجرية «فقضى مدافعا  
عن فكرة قومية سامية وعن وطن أحبه ورفع مكانته» .  
ولكنني لا أستطيع أن أبري . أؤ الشاعر الكوفي في سيورة ذكر  
الامير الحمداني . ترى ، لو أتجيب الآداب العربية ميثا عظيما اسمه  
ابو الطيب المتنبي ، أكان اسم سيف الدولة يشع في التاريخ  
الاسلامي هذا الإشعاع الباهر الذي تلتقي ظلاله القوية في عين كل  
عربي منذ القرن الرابع الهجري الى يومنا هذا ؟ الواقع مندي أن  
فضل المتنبي على سيف الدولة عظيم من هذه الناحية ، والاستاذ  
الكبياني يقول بهذه الفضل حين يطن « إن كليهما عظيم وإن كل  
واحد كان متمما لخلود الثاني ، وفي هذا إنصاف الادب  
والتاريخ مآ »

هنا خاطر جليل يقوم في ذهني ولا أذكر ان أحدا أشار اليه ،  
على كثرة الدارسين لحياة المتنبي والمري وسيف الدولة . واليكه  
في شي . من الاميخاز :

لماذا لم يعرف التاريخ ثناء ولاشبه ثناء . من أبي الملا . على  
سيف الدولة ??

سؤال قد يبدو غريباً للوهلة الاولى ، وقد لا يروقك ان أترج  
اسم المري في صدر الحديث عن سيف الدولة ، وقد ترى أن بين  
الفيلسوف والامير هوة لا تجيز لباحث أن يذكرهما مآ ، فضلاً عن  
أن يسيال ذلك السؤال القريب والواقع ان النظر الاصطحي قديسيدي  
الى مثل هذا الاستغراب . ولكنني عارض عليك الآن مقدمات هذا  
السؤال ، والمرالح التي مررت بها اليه ، فاعل في ذلك ما يشع في  
القاته على هذا الوجه ، وما قد يعينك على تدس الصلة بين أبي الملا .  
المري وبين الامير الحمداني .

اصدر استاذ سامي الكبياني كتابه « سيف الدولة  
وعصر الحمدانيين » ألقى على نفسه وعلى قرائه هذا  
السؤال القيم الحظير : أترى المتنبي مديناً بشهرته الى سيف الدولة ام  
ان الأمر بالعكس ؟ وبدا له أن هذا السؤال مفتاح كل حديث  
عن سيف الدولة ، وانه لكذلك ، ولكنه ذهب « الى ان الامير  
الحمداني هو الذي ألهم شاعرة المتنبي بغزواته وحروبها ، وبطلابه  
وهباته ، وهو الذي ساعد على ذيوخ اسمه وخلود ذكره بهذا العطف  
الذي حياه به وبتفضيله على غيره من الشعراء . » وعلى اساس هذه  
العطلة الذاتية المنبثقة من شخص سيف الدولة لا المكتسبة من  
شاعرة المتنبي - على هذا الاساس مضى يدرس حياة الامير الحمداني ،  
ويستعرض حروبها وغزواته ونضاله في ساييل المروية والاسلام .  
ولا ريب أن التاريخ يده بلادة الحصة التي تشد من أزر هذا الاتجاه  
الذي انتهجه في التقدير . فبحث ناظره به اذكره ياقوت الحموي في  
معجمه من سيف الدولة كصامي للثغر الاسلامي إذ قال : « ثم لم  
يزل هذا الثغر وهو طرطوس وأذنه والميصبة » ينضاف اليها  
بابدي المسلمين ، والحروب بين أهلها والروم ، مستمرة حتى ربي الرواسم  
والثغر الامير سيف فسمد للثغر وأمن في بلادهم . . . » وتحت  
ناظره ايضا ما قاله العالبي في بتيمة الدهر : « كان بنو حدان ملوكاً  
وامراً . أوجههم للصباحة ، وأستهم للفصاحة ، وأيديهم للسباحة ،  
وعقولهم للرجاحة . وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة  
عقدهم . . . وكان حضرة مقصد الفود ومعلم الجرد ، وقبلة الأمال  
ومحط الرجال ، وموسم الادباء . وحلبة الشعراء ، ويقال إنه لم يجتمع  
باب احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيخ الشعر  
ومجوم الدهر . » وكان ادبياً شاعراً عجا لجيد الشعر شديد الاحتراف  
لما يدح به . » وتحت ناظره ايضا وايضاً دراسات غوستاف  
سيتلير وأندره دايقتش وبقية المستشرقين والمؤرخين الافرنج  
والعرب ، وكلهم يحدوثة عن الكثير من أعمال سيف الدولة  
وحروبها مع الروم . فلا عضاضة عليه - وإخال كما ترى - اذا هنر  
هذا الاتجاه الذي يردده بعض مؤرخي الادب بأن المتنبي هو الذي  
خلد سيف الدولة ، وانه لولا المتنبي لكأن الامير الحمداني نسياً

من لي بهم أميل مصر يشي ان يحسب الهندي فيهم باقل

وقوله : مقالي للاحييم « يا حليم »

وقوله : وثلم الخويهد من ليما

وقوله : أني كل يوم تحت ضربي شوبير

وغير ذلك ما هو موجود في ديوانه ، ولا ملامه عليه ، إنما هي

عادة صارت كالطبع تقتفر مع الحسن »

بل انت تعلم كلف المري بلنتني حين تذكر « معجز احمد »

وهو عنوان ديوان المتنبي الذي شرحه المري ، وما نعرف انه شرح

ديواناً آخر غير ديوان ان تمام والبيهقي ، وهولا يزال عطلوطاً نصه

مكاتب مونيخ والنفرد والمنسف البيهقي . وفي تسمية الشرح

بمعجز احمد ، يدل الدلالة الواضحة على إعجاب المري بشعر المتنبي

وسحر بيانه . وإذا علمنا أن أكثر من ثلث الديوان يتصل بموضوعه

بشخص سيف الدولة او بأحد أقربائه وقربائه ، حتى ان نساء :

لماذا لم يتعرض ابو العلا المري للامير الحمداني بغير ولا بشر ؟ فشكل

شيء في حياة المتنبي وشعره يذكر بسيف الدولة ، ويدعو الى

التفكير فيه والبحث عنه ، حتى لقد كان من أثر اتصال المتنبي

بسيف الدولة ما قاله ابو فراس الشاعر الحمداني : « ان هذا

المتنبي يريد المتنبي كثير الادلال عليك ، وانت تعطيه

كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاثة قصائد ، ويمكن ان تفرق

مانتي دينار على عشرةين شاعر يأتون باو خير من شعره »

٢

كان عمر المتنبي وسيف الدولة واحداً ، أعني أن ولادتهما

كانت في عام واحد ، وذلك حوالي عام ٣٠٣ هجري . ووحدة

السن بين المتنبي وسيف الدولة عامل كبير كان يجب ان يستدعي

ذهن المري وهو المفكر ذو العقيلة التحليلية النافذة . ولكن

شيئاً من هذا لم يحدث ، وهذا موقف من المري غريب . . .

٣

ان عروبة المتنبي وروحه القومية في ذلك العصر الذي يعج

بالشوعية أمر لا سبيل الى انكاره . وهذه الروح العربية تلامح

نفسية سيف الدولة الذي أخذ على عاتقه حماية الثغور الإسلامية من

عدوان الروم وهجمات الشعريين . وكل هذا من جانب المتنبي

وسيف الدولة يتفق مع نشأة المري ودمه القضاعي وأرومه البائية .

فتلاهم كما ترى عربيو القرة يسبون نحو اتجاه قومي واحد

فكان من الطبيعي ان تندع وحدة القرة في المري الى الحديث من

١

أنت تعلم يا صاحبي الادييب مدى حب المري لملنتني وشدة

كلفه به وتعبه له . تعلم ذلك مما يرويه المؤرخون عن ابني الملاييم

كان في بغداد من انه حضر مجلس الشريف المرتضي يوماً ، فخرى

ذكر المتنبي ، وكان المرتضي بمن يكرهه كرهاً شديداً ، فأخذ

يفض من قدره ويعد سقطاته ويذكر له مواضع ضعه ، فقال ابو

العلاء : لو لم يكن له الا قوله : « لك يا منازل في القلوب منازل »

لكفاه . فنضب المرتضي وافر بأخراجه من مجلسه فمسح برجله

حتى أخرج . والتفت المرتضي الى أصحابه وقال : أتدرون لم اختار

الاعمى هذه القصيدة دون غيرها من شعر المتنبي ؟ قالوا : لا . قال :

إنما عرض بقوله :

وإذا أتتك مذني من ناصي فهي الشهادة لي باني كامل

لا ريب أنك تكبر هذا التريض الواضح حين تذكر مقالة

المرتضي الرفعة في بغداد وقرائنه من الرضي واتصاله بقصور الخلفاء ،

ولكن المري لم يأبه لهذه المآزل الكبرى فوخز المرتضي تصباً

للمتنبي ، وعادى أسرته على صمو عتدها . ويزيد في إكباره هذه

العداوة أن للمري قصيدة لا بأس بها في رثاء ابني احمد والد الشريف

المرتضي والشريف الرضي ، ولكن هذه القصيدة ان سألنا

أحب الى قلب المري من تحقير المتنبي على مبلغ منه لو كان حقيقياً

وقد كان هذا الحادث و « والله لم يلقها » و « ثناء عاد مسقوفاً عن

أم البوائل التي دفعت الي ترك بغداد عاصمة البلدان الإسلامية التي

رحل اليها عام ٣٩٨ هجرية فبقي فيها ما يقرب من عامين .

بل أنت تعلم تعصب المري لملنتني حين تذكر ماجا . في رسالة

ابن القارح اذ يقول : « قال المتنبي : « أذم الى هذا الزمان أهيله »

صغرم تصدير تحقير ، وهو سائق في عجز الشعر ، وقائله غير مجموع

من النظم ، ولكنه وضع في غير موضعه وخاطب به غير مستحقة ،

وما يستحق زمان ساعده بقاء سيف الدولة أن يطلق على اهله التهمة

وكيف وهو القائل يخاطبه :

أسير الى أنفاسه في ثيابه على طرفه من داره بمساة

وقد كان من حقه ان يعلمه في خاترته ، اذ كانوا ملسوبين

اليه ومحسوبين عليه . ولم يرض المري عن هذا التريض لملنتني

يصدر عن رجل كائن القارح ، فكتب اليه من كلام كثير في

رسالة الثغران : « فأما ما ذكره من قول ابني الطيب : أذم الى

هذا الزمان أهيله ، فقد كان الرجل مولماً بالتصغير ، لا يفتن منه

بجلسة التمدد ، فقول :

سيف الدولة والثنا عليه ، ولكنه لم يقل ، وهذا وضع الشذوذ . .

٤

كانت المرة قبيل ولادة في العلاء بدة خاضعة لتفوذ سيف الدولة ، وكانت شئوننا الادارية ومصالحنا السياسية تسير على خير ما يجرى سكانها وأهلها ثم سادت الفوضى السياسية بعد وفاة سيف الدولة ، حتى قد حوصرت المرة من جانب صالح بن مرداس ، ولم يكف عن تجويعهم وفك الحصار عنها الا بعد ان كلفه ابو العلاء بالتساية عن قومه ، فأرضاه صالح لفضله وعله وادبه لا لتفوذه الشخصي في المرة ولادعائه في السياسة . وسبب حصار المرة كما يقول الدكتور طه حسين (\*) نقلاً عن الصفيدي : ان امرأة من اهل المرة صاحبت بسجدها الجائع ان صاحب المخور أراد ان يفضها وكان مسيحياً فأيقظتهم صيحبتها فتأولوا الى المخور فهدموه وهرقوا ما فيه من نبيذ وخمر ، وبلغ الخبر أحد كبار كتّاب صالح ، فقبض على سبعين رجلاً من سراة المرة ، ونهض شنع ابو العلاء الى صالح فقبلت شفاعة . ومن الديني ان تدعو هذه الفوضى القائمة ابا العلاء ان يترحم على نهم ناهي كانت بهيمة فيه ترتع في مجبوحة من الامن والطمأنينة ، وأعلن هذا الميثاق سيف الدولة ، ولكن ابا العلاء لم يذكر هذا العهد بكلمة من كلمات الخبر ، وهذا مما يزيد في غرابة موقفه من سيف الدولة .

ولم تسد الفوضى المرة وحدها بل سادت أنطاكية ايضاً ، هذه المدينة الزاهرة التي بقيت كتغر من التهور العربية الى عام ٣٥٣ هجري ثم وقعت في يد الروم وظلت كذلك الى عام ١٢٧ هجري ، حتى لقد كان المسلمون فيها طيلة هذه المدة أقلية خاضعة لكثرة الاروام الذين سكنوها ورحلوا اليها . وقد شاهد المري كل هذه الاحداث الحزنة التي انتكست فيها الفكرة العربية والسياسة العربية ، فلم يفر الأثرة الحرى التي تم عن هذا المصير الحزين . وكان ابو العلاء في المرة يوم نشبت الحروب بين الحمدانيين والفاطميين ، وذلك بين عام ٣٨٢ و ٣٨٦ هجري . والمري اذا ترك المرة الى بغداد من جراء تعرض صاحب حلب الى وقفه الذي كان يقل عليه سنوياً ثلاثين ديناراً بطلني نصفه لحاده ونصفه الآخر يقضي به حاجاته . ويضيف الدكتور طه حسين الى هذا الدرب سيباً آخر

حين قال (\*) : « لم كره ابو العلاء المرة ، وحرص على تركها ومغادرتها ، مع أنها أرفأ به وأرحم له ، وأحذب عليه ، وهو رجل ضرير ليس له في بغداد عون ولا نصير ؟ أليس يمكن ان يكون الاضطراب السياسي احد الاسباب التي أخرجته من بده بمودعات به الى بغداد في هذه السنة ؟ لا نشك في ذلك ، ولا بد عندنا من ان المرة في تلك السنة قد كانت على حال سياسي لم يرضها صاحبنا فتصرف عنها »

٥

كان جند أبي العلاء سليمان بن داود قاضي المرة وحص ، وكان عمه ابو بكر محمد بن سليمان قاضياً في نفس البلد ، وكان كذلك والده عبد الله بن سليمان . اما اخواه ابو محمد محمد بن عبد الله وأبو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله فكانا يقرضان الشعر عن سليقة شبه مواتية . وعلى الجملة كانت أسرة الى العلاء على جانب كبير من العلم والثقافة الادبية والسليقة ، وهذا الفضل الفكري قد تجرد الى أبي العلاء . ففر من افراد أسرته ، الكثير من شغوص عصره وان شئت فقل انه اتصل بمسامحه شتى الاحاديث عن الشغوص التاريخية في زينة وقل زمنة . ولا ريب أن شخص سيف الدولة في طائفة هذه الشغوص التي انصت أعقابها الى العلاء ، فكان من المهود ان يصدر عنه صدق هذه الشغوص الكبرى في نفسه ومكانها من قلبه ، ولكن الصدى لم يصدر على قلبه ، والامر لم يستل في آثاره ، فبقي سراً من اسرار القلب ، وعقدت من عقد التاريخ ا

٦

لم يكن الزمن ليفصل بين عهد سيف الدولة وبين حياة أبي العلاء . فقد كان بين موت الامير الحمداني وبين ولادة الفيلسوف المري مديس سنوات . وكان ابو العلاء ثابتاً منذ صغره بالكر ، حتى لقد قال عن نفسه انه لم يخرج بعد العشرين الى ان يأخذ العلم عن أحد في الشام ولا في العراق ، وحتى لقد رأى أباه وهو في الرابعة عشرة من عمره بقصيدة نونية ممدوجة في سقط الزند . وشوب الاحساس عند المري الصغير ممدوعة الى ان يتلقف أخبار امير هاتيك البلاد قرب أيلام الزاهرة ولوجرد من ينقل اليه مطلبه ذلك الازدهار من افراد أسرته . وكانت النهضة الادبية التي بدأت أيام

(\*) تعبد ذكرى أبي العلاء ، ص ٥٧

\* تعبد ذكرى أبي العلاء ، ص ٦١ و ١٧٥ -

سيف الدولة بقنوم العلماء الي الشهاب ما تزال على قوتها فما غلبا  
جوت نصيرها أي أثر من آثار الجود . وقد أخذ المري علوم البرية  
في حلب من محمد بن عبدالله بن سعد نليذ ابن خالو القوي المعروف  
وهو من تعلم من شدة اتصاله بسيف الدولة واختلافه الكثير على  
قصر « الحلب » . وكان حرياً بالمري ان يرجع الى هذه « المصادر »  
الصليبة فينبعونا عن حقيقتها وعن رأيه في « مؤلفها » الامير ا

•

سقول بلا ديب : ان المري لم يكن مؤرخاً ولم يعرف عنه  
اليل الى استقراء الماضي والحاضر ، وانما كان بطلعه فيلسوفاً  
يعني بفكرة كونية عامة هي مذهبه المعروف الذي درجه  
في عداد المفكرين ، فطالته بالحديث عن سيف الدولة لون جديد  
من ألوان التنطق ، وضرب من ضروب الاستكراه . وانا أقول ان  
هذا غير صحيح من كل الوجهة ، فقد تحدث المري في الزوايات  
عن محمود القزويني ملك أرمينية في ذلك العهد ، وكتب الى الوزير  
المري رسالتين : رسالة للفتح ورسالة الاغريض **الوزير المري**  
هذا هو امر الحسن الحسين بن علي المري كاتب مسجود الذي  
أمرى ابا الفضل على غزو حلب . ولا نستطيع ان نرى ان ذهن  
المري لم يلتفت الى شؤون السياسة ، فقد مر بنا انه كلم بابلية عن  
قومه صالح بن مرداس يوم حاصر المرة فقول هذا عند فضله وعلمه  
وقال له : قد وهبت لك . فكان من حق « عالم المرة » وقد  
اتصل بباب من ابواب السياسة ان يتتبع احوال عصره وان يتصل  
بشؤون عصره ثم يتابع المرفق حتى يصل الى عصر سيف الدولة  
الزاهر ، فيدلي لنا برأيه في هذا الاديء الحمداني الذي ملأ ربع قرن  
بالاحداث والحروب والثورات ...

ومن الادلة على ان ذهن المري التفت الى احداث السياسة  
وتزعات العصر فأرخها اروع تأريخ الايات الشهيرة التالية :

في اللاذية قنتة ما بين اعد والمبج  
هيدا سافوس يدق وذا بمأذنة يسبح  
كل يبرز دينة باليت شعري ما الصبح؟

وقد كنت أظن ان المري في حديثه لا بد ان يتخذ شخص  
وعصره أو أحداث زمنه موضوعاً للكتابة وسيلاً الى التمدن على

البيان ، شأنه في ذلك شأن اكثر الناشئين من الادباء . في كل بلد  
من بلدان العالم ، فرجعت الى الذين وصفوا سقط الزند فاذا هو خلو  
ما جوت واذا هو مجموعة من قصيدتي المري في رثاء أمه وقصيدته  
في رثاء ابيه ، وقصيدته في رثاء بن علي بن المهذب ، وقصيدته في  
رثاء علي ابي حمزة التي مطلعها :

غير يجد في ملي واعتادي نوح بك ولا ترم شاد

وقصيدته التي رثاها على ابي ابراهيم موسى بن اسحاق  
ومطلعها :

علائي فان يصير الاماني نيت والظالم ليس بجاني

وقصيدته التي مطلعها

الا في سيل المجد ما انا قاعل صفاء واقدام وحزم وتائل

وقصيدته الثانية التي بحث بها الى اني القاسم الترخي وقصيدته  
الطائفة التي بحث بها الى خاتن دار العلم ببغداد ، وقصيدته العينية  
التي بحث بها الى عبد السلام بن الحسن البصري ، وغير ذلك من  
القصاصد ، وكما - على انها مزيج من الشعر المنظوم في شتى أطوار  
سياحة ابي العلاء ، وعلى انها تشير الى بعض شخص عصره - ليس  
فيها الاشارة **للمريخية الى سيف الدولة** . وهذا الاغفال التام للامير  
الحمداني لا يعد ان يكون له سبب محقول أدى اليه ، فأمر العلاء  
رجل من اي النزاهي أتتبه كان فرضاً عليه ان يشقي على سيف  
الدولة اذا كان هذا الامير من قوة الشخصية وروعة الخصائص  
بالصورة الالعة التي وصفها المنبي في شعره الكثير :

خمس بشرق الارض والغرب زحفه وفي اذن الجوزاء منه زمازم  
وقت وما في الموت شك لوائف كأنت في جنن الردى وهونام  
تم بك الاصل كللى مزبدة ووجهك وضاح وثورك باسم

ان تخيلة المنبي المكبرة ، ومملكته المبهردة في المبالغة ، وقوة  
بيانه ، وحبه للقال والمجد والشهرة - كل ذلك عمل عمله الكبير في  
تصوير شخصية سيف الدولة ، فأضفى عليه هذا الثوب الزاهي  
الفضفاض الذي يرفل به في التاريخ الاسلامي الى ان بطوي ربك  
الارض والسماء .

محمد روجي فيض

دمشق





احمد الصافي بريشة مصطفى فروخ

## الله والعرسي

وعبر ذا ما اقتناه  
ارضاه ان لم يرضه الله  
خط يراعي فهو أملاه  
سواء ما بأباه آياه  
وان تكن بعض عطايه  
يقبل قدا ما اتوخاه  
ازيد بالفن زايه  
ومن هم ا لا شي، إلاه  
لقلت هم والوهم أشباه  
ما أنا ما العالم لولاه  
ألم يشاهد أين ميناه  
عنى فلم تصدقه رؤياه  
ان ترد النور لهم تلهوا  
فأوضح العالم أخفاه  
لا أشرك العين بمرآه  
فانصكر العقل ودعواه  
معتري فهمي آياه  
والكل لفظ هو مضاه  
فصاح في جيتي الله

بلغت ما يصوب اليه الورى  
أرضيت بالشعر البرايا وما  
الله استاذي وكل الذي  
لا مبدع إلاه لا ناقد  
أخجل من عرض فتوي له  
أبدلت بالنس خترعي فان  
شوت فن الله أذومت ان  
احقر الناس واعجابهم  
لولا تجليه على خلقه  
الله نور الارض نور السما  
أعنى الورى من لا يرى نوره  
أعنته ميناه وأغنى على  
تله من النور وكه مشر  
كم تكذب العين با تدعي  
أراه في الكون بعين الحصى  
اذا ادعى عقلك انك كاره  
معلمي كوني من فيضه  
عجبت من ساع الى غيه  
تأله البعض شعوراً به

ولو رآه لموى ملها  
أعرف بالله امرؤ شاعر  
أمنت. بعد الكفر مستخراً  
ياخذ مصروع على صانع  
وعدت للقاتل ادعوه ان  
تحدث نفسي على كل ما  
حق بدت للعين انواره  
حكيموتي بالله قد أمنت  
فان تجد ذا شية جاحداً

روح المري في قد أمنت  
عاشت بروحي روحه توثقي  
بدت تلهذا على عقله  
أنضجت روح الشعر في روجه  
واستبظ العقل بما قدرأى  
وضل اتباع المري اذ  
خالوه من جودهم جاهداً  
ما هو الا فكرة قتلي  
افكارنا افكار قوم مضوا  
مراحل الفكر يلهي الدني  
آخرة المره حكدياه  
كانت بذوراً وغدت دوحه  
ما نحن الا فكرة لم نزل  
رسالة القرآن لم تنفر  
وجئت في شعري مستخراً

فأبصرت في الموت عيناه  
فد ميت لاح لها الله  
ثم اعلى اعلى فاعلاه  
فاستيقظت في القتل رؤياه  
واتحد بالرائي ومرآه  
ظنوه قد ضل على ما هو  
لقد اساءوا لزياده  
حق ترى في السكون اعلاه  
يتصل الاعلى بأدناه  
مراحل السر بدنياه  
وهتمى الفكر كبداه  
تشر ما البذر خباياه  
ترقى الى ما قدر الله  
لشعرا كفراً به فاهوا  
عن المري وخطايه

احمد الصافي النجفي



العربية متصلة الحلقات ، متأسكة الأجزاء ، لا تقل روعة عن الاساطير العالمية التي كانت ولا تزال الى الوقت الحاضر منبأً أيضاً يستقي منه الشعراء . بل لعلوم يستجوبون ان هذه الاساطير العربية اللبقة لواقعية الى ما يقارب عشرة قرون قبل المسيح كانت البذرة الاظم لما عرف العالم العربي من نوعها .

الدراسات والمباحث التي خص بها المؤرخون والنقاد ابا الملأ ، ناجية لا تزال الى الآن على شي من النوض ، رغم اهميتها وشدة لصوقها بجوهر اخیال العربي ومبادئه . هذه الناحية هي مصدر رسالة الغفران ، والمنابع التي استقى منها العربي مآثره الفنية الكبرى . من المحدثين من مستشرقين وعرب من عني بأثر الرسالة في الغرب ، ولا سيما في الشاعر الايطالي المشهور دانتي أليغيري المولود

سنة الف وثمانين وخمس وستين مسيحية والمتوفى سنة الف وثلاثمائة واحد وعشرين ، أي بعد وفاة فيلسوف المرة جساتين وثلاث وستين سنة . أشهر هؤلاء العالم الاسباني

المعروف بأسمين بسلاميوس الذي فتح بدراسته باباً جديداً للدراسي للشاعر الايطالي خاصة ، ولؤرخي الآداب (الاروبية عامة . أما وقد قام هؤلاء الدارسون بقسطهم في جلاء بعض الآثار الذي كان رسالة الغفران ، أي للعربي ،

في العالم الغربي ، فلنمد نحن الى الشرق نفسه الى البلاد العربية ، وما زخرت به حضارتها ومدنيتها من خلق وابتداع ، علما نقبين المنابع التي استقى منها الشاعر والفيلسوف رسالة الغفران .

لم يتوصل شعرنا في أي طور من أطواره الى ان يجاري الإبداع الذي انتهى اليه خيال العربي ، وجماعات المتصوفين وحلقات القصاصين . ومن الظلم ان نقس ، بل ان نتاج العرب الشعري بمساجيزه في البحور والنوافي . انما علينا اذا اردنا ان نصف هذه الامة ، ان نعود الى رسالة الغفران ، وإلى اقاصيص الجن ، وإلى اساطير الرواة ، ولا سيما القسم الذي كان منتشراً في البينات العربية قبل نسب خرافات الشعوب المجاورة ، لتحكم حكماً صادقاً لا اجحاف فيه ولا محاباة ، على مدى الخلق في خيال العرب . ولعل الدارسين بعد استبطاق الآثار القديمة ، والوقوف على ما كتبه شايخ التاريخ من اغرب ولاتين ، وجمع المعلومات المتفرقة ، والشوارد المتناثرة ، واصلون الى اكتشاف مجموعة من الاساطير

بمث ابن القارح<sup>(١)</sup> الى العربي بكتاب يذكر فيه الاطوار

التي مر بها ، والادوار التي تعاقبت عليه ، ويسرف في نقد جماعة من الشعراء المتشائمين ، وفي حمله على الزنادقة والمحدثين الذين يتلاعبون بالدين ، ويرومون ادخال الشبه والشكوك

على المسلمين ويستغيثون القدح في نوبة الدين ، ويظرفون ويتذنون ، اصحاباً بذلك المذهب : تيه ممن ، وظرف زنديق<sup>(٢)</sup> . ويستعرض جماعة من الذين كسروا ، فكشفت النار لهم عقاباً ، ككشاش بن برد ، والصناديبي<sup>(٣)</sup> ، والوليد بن

زيد<sup>(٤)</sup> ، والجناسي<sup>(٥)</sup> ، والحلاج<sup>(٦)</sup> ، وابن الروندي<sup>(٧)</sup> ، وسوامم كتيون .

يستشف المطالع من كتاب ابن القارح انه كان في شبابه منصرفاً الى الجون ، يكرع الحجر ، ويهبط التواني ، على ان التوبة لحقت قلبه فعمرت صدره بالحرف من الحساب والايان بالحقائق .

(١) ولد في حلب عام ٣٥١ . درس على ابي عذاف بن غايويه . وعندما مات استأذنه سافر الى بغداد ، ورل على ابي علي الغباري . وتردد على كثيرين من علماء ادينية . وكتب حديث الرسول ، ثم سافر الى مصر . سنة ٣٩٧ حج خمسة اعمام . ورجع الى مصر ، فاذا عواذات سياسية داخلية تزعجه على الغرب . فتقل في الغواصر الشامية ، حتى جاء حاب ومنها رده رسالته الى ابي البلاد ، المرى وقد تجاوز عمره الحادية والسبعين . قال بالقوت في وصفه : وشده بري عري شر المدين ، قبل الخلاوة خالياً من السلاوة . ( بالقوت : معجم الادباء ج ١٥ ص ٨٤ )

(٢) راجع : رسالة الغفران ج ٣ ص ٦ - طبعة كلال كزلائي ١٩٢٥ - اعتمدنا في كتابة بحثنا على هذه الطبعة .

تتمت شرح الحواش ٣ ٥ ٤ ٦ ٧ ص ٧ في الصفحة التالية

## رسالة الغفران منابعمها

بفهم جبر عر بنو

استاذ الفلسفة العربية  
في الكلية العلمية

★

وصل الكتاب الى المري حوالي عام ٤٢٣<sup>(١)</sup> ، وكان في عامه الستين<sup>(٢)</sup> ، وامامه فسحة من الاجل تريد على تسع عشرة سنة لانتاج النصيح والادب الرفيع . وقد وصل الى النهاية من العلم وفنونه والتأمل ونزاجه . وخبر الناس وأحوالهم ، وعرف الاصل الذي عنه يصيدون ، والنتج الذي منه يستقون . فأعجبه أمر هذا الشيخ السبعيني ، يتقى بالهدوء والزهدين ، والتي والصالحين ، بعد ان افنى المنتج من احواله في ما لا يصلح نفسه . استقطقت نفس المري الساخرة لهذا العالم الضارب في الارض شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، يقيم الحوف من مكان الى آخر ، ويتعقب هزؤ الناس . فالرفيق يسرق له رسالة كُتف بجملاً ، وابنة الاخت تهب له «الأجد» في له . والذاكرة تحونه فتسني ما قطع المسافات الشاسعة في جمه ، وامضى الليالي الطوال في حفظه . فشا ان يهر به بعض حين ، وان يكون لوه به عيقاً شاقاً ، يحشمه فيه ما لا

(٣) ظهر سنة ٨٧٧هـ . اقام برهة داليس . حوط «أروبة» ، وعم شيوخ المرأة . وفي زمانه كانت الغياض يابس بالدف وعلل :

خذي الدف يا هذه والعي  
وتبي صالاً مـدا الذي  
تولى لي بني هاشم  
وقام بي في حرب  
فاً فتني السبي عند الصفا  
ولا وروعة امير بي يرب  
اذا القوم صلوا فلا تنهني  
وانصروا اكني وانثري . . .  
ولا تحرمي نفسك المؤمنين  
من افريخ ومن احبي  
فكيف حلت لذاك الغرب  
وصنعت هجرة «الأي  
أليس الفراس لمن ربه  
ورواه في عامه المنصب ؟  
وما احمر الاكواء السحاب طلق ، ففتست من مذهب  
( رسالة الطران ج ٢ ص ٣٩ - ٤١ )

(٤) خليفة أموي ، اقام في الملك سنة وشهرين . نسب اليه بعض الأعمال الشاذة كرمية المصنف بالشباب ، واقتاده الى مكة بناء مجوساً ليبي له على الكمية شرية ، وأنه كان يدين للاله ملاني .

(٥) سليمان بن ابي سيد الحسن بن جهم الهرمطي الملقب بالجنائي ( ٢٨٩ - ٤٣١ ) ولد في فارس . ظهر بالبحرين عام ٢٨٩ ، وعاش في تلك النواحي فساداً . دخل بغداد ثم الشام عام ٢٨٩ هـ . قتل خادمه عام ٣٣١ هـ . قتل الرقا من الناس ، واستعك ما لا يحس من الفناء والظلم . (٦) مصنف مشهور ، كثير الشطح والاحاديث الدنية . يقول بالخلول ويذهب ان الالوية قد حلت فيه ، كان مثله سنة ٣٠٩ هـ . وكان في بغداد قوم يتفرون رجوعه . (٧) من اصحاب ، حمود الاصل . سترى المذهب ، كثير التمل ، توفي سنة ٢٤٥ هـ .

(٨) يذكر ابن الفارح في رسالته ( رسالة الطران ج ٣ ص ٣١ ) انه ينف على السبعين . وإذا سلمنا انه ولد عام ٣٥٠ فتكون الرسالة قد كتبت حوالي عام ٤٢٣ هـ .

(٩) ولد الفيلسوف عام ٣٦٣ هـ وتوفي عام ٤٤٩ هـ .

يعليق الشيوخ القيام به الا في العالم الآخر . وشاء ان يتهنز فرصته هذه فيفرغ ما جمه في ذاكرته المسجبة من عويس الانفاط ، وغريب التركيب وبعيد المتنازي ، وقصبي المساني . فاجاب على رسالة ابن الفارح برسالة طالت وتشتعت حتى غدت كتاباً ضخماً ، عرف باسم رسالة الطران<sup>(١)</sup> . برزت فكرتها في ذهن شاعر العرب وفيلسوفها برورةً مفاجئة . سبها عرض من الاعراض ، كما كان ابن الفارح في نظر المؤلف عرضاً بين الملأ . تصنع ما كتبه اليه وجأت في خاطره فكرة ما زال الاعي يحيلها في خياله كل يوم منذ تفتت فهمه على الاديان ، وادرك من آية طينة قد جبل مخاطبه ، وبأي لسان تحلو اجابته . فاستهل المري الجواب بانشاء . على الشيخ ابن الفارح ، قائلاً انه قد غرس له من اجل كلماته الطيبة شجر في الجنة لذيد اجتناء . كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق الى المغرب . والولدان المخلدون في ظلالها قيام وقعود يقولون : « نحن وهذه الشجر صلتمن الله ليلي بن منصور نجاً ادا لي نفع الصور » ، وتحري في اصول ذلك الشجر انهار من الحياة والكورث ، يمد اليها المنقوش بكؤوس من المسجد والبريق خلقت من الزرج . . . ودفعه هذا المدخل الخيالي الى قتل ابن الفارح سائر في الجنان منتقلاً من مكان الى مكان ، متصالحاً بغيره في المكان . ثم اعاده الى الحشر ، فوفد كيف توصل بعد الله الشديد بالشفاعات الكثيرة الى اجتياز الصراط ، ونقله الى المسجد فؤاداً من فيه وتعرف الى احوالهم . . . وبعد ذلك انصرف الى الاجابة على النقاط التي مرض لها السائل في رسالته .

لستا في معرض تفصيل واطلا ، وانما نحن في موقف اختصار وإيجاز ، غير انه من المستحب ان نلم للمامة خاطفة ببعض ما حوته صفحات مؤلفه ، فحشر من نافذته اشرافه متفرج ، لا اشرافه ناقده .

دفع المري الستار كاريئاتاً على غابة من يواسق الاشجار ، حولها الولدان ، وانهار يفرق منها بالكؤوس التالية . وفي تلك السواقى لوان على هيئة الطليد الساجدة ، ينبع من افواهها شراب لا يدانيه ما ذكره الشراب . وهناك انهار من عمل مصفى ، ما كبسته النحل القصادة الى التوار ، بل قال له الخائق : كن فكان !! . يجتمع ابن الفارح هناك بزيارته من علماء اللغة كالبرد وابن دريد وسيدوه والكساني وابي عبيدة والاحمسي وهم على سرور متقابلون

(١) بلاطه ان اشهر الصفات الفلسفية الاسلامية وضمت بشكل رسائل كالتخذ من الضلال للترازي وحبي ي يظان لايين قليل ، ورسالة الطران هذه .

حازن الجنان عملها على وزن : « قفا نيك »  
من ذكرى حبيب وعرفان . . » وجعل  
القافية وضوان ، وزاحم الناس حتى وقب  
منه بحيث يسمع ويرى ، فساخله به ولا  
آبه بما يقول ، ثم نظم سواها ، ولم يزل  
يتتبع الاوزان حتى أفناها ورضوان ما فهم  
مسا يقول ، ولا أذن له بالسخول . فشنع  
بالمك ' زفر ' ، ثم بحجة بن عبد المطلب ،  
فارسه الى علي بن ابي طالب . وفيها هو  
يسير صادق استاذ ابا علي الفارسي (١) ،  
وقد تعرض له قوم يبادلونه ويأخذون عليه  
تأويل ما قالوه في العالم الارضي على غير ما  
يريدون . فتدخل ابن القارح في الجدل  
دفاعاً عن استاذه . لكن المسكين شغل  
في خطابه فسقط منه كتاب التوبة



الاستاذ جبريل عبد النور

الذي لا يمكن دخول الجنة بدونه .  
لم يأس ابن القارح ، بل طاف على الفتوة المشتهين ، وتوسل  
هم لرفع طلبه الى فاطمة ، عندما تم جمعهم . فلما حوت بالمرض تعلق  
بركابه اخيه ابراهيم ، حتى وقف عند النبي . وكان لا يزال عليه  
عبر الصراط ، فلم يشكن لضعفه ، فارسلت اليه فاطمة جارية  
لتساعده على اجتيازه . فخلته وجازت به كالمركب الحافل . فلما  
جاز قالت الزهراء : قد وهبنا لك هذه الجارية ، فخذها لكي تحمدك  
في الجنان !!

بطول بنا الكلام اذا استقصينا المشاهد الساخرة في الرسالة .  
ولكن هذه النظرة السريعة تكون لنا فكرة عن الاسلوب  
البارع في الغز ، الذي تميز به فيلسوف المعرفة . كانت نفسه تتبرم  
بالناس ، وخياله يضيق بالارض ، فجمع الناس بين القارح ، ونقل  
الارض الى السماء . وجاء ظنه ماصروه تقى وإيماناً ، ورأى فيه  
محاصروه شكاً وكفراً .

عدّ القرييون وصف العالم الثاني ، من جنة وجعيم أمراً معجزاً  
لا يبلغه الا الخيال المبدع ، الذي لم يكشف بجزج ما يقع تحت حسه  
من الاعراض والصور واستخراج تشابه جديدة مبتكرة ، ولم

(١) ابر علي الفارسي ( ٢٨٨ - ٣٧٧ هـ ) اشتهر بلم الشحو . اقام مجلس  
ايام سيف الدولة ، توفي في بغداد عام ٣٧٧ هـ .

لا عدواة بينهم ولا خصومة ، والملائكة  
يدخلون عليهم من كل باب . وابو عبيدة  
يحدث الصبح بألم العرب ، وهم يقولون  
من انهار الرقيق .

وغير في خاطر الشيخ ابن القارح ان  
يقوم بازعة ، فيركب نجياً من غيب الجنة  
خلق من بالقوت ودر . يصادف في زهته  
الاعشى وزهير ابن ابي سلمى ، وعدي بن  
زيد . ويضي في زهته تلك قلمي شيابين  
يتحدان ، كل منهما على باب قصر من  
در ، ويعرف اليها فاذا بها ثابته بني جمدة  
وثابته بني ذيبان . ويرسب من اوز  
الجنة ، فلا يلبث ان يقذف على تلك الروضة  
ويقف وقوف منظر لاسر . ومن شأن  
طير الجنة ان يتكلم ، فيقول الشيخ :

ما شأنكن ؟ فيقلن : ألهنا ان نسقط في هذه الروضة فنغني لمن  
فيها من شرب . ويتغنض فيصرن جوارى كواب يران في وشي  
الجنة وبأبدين المزاخر والواع ما تلتص به للملاهي ، فيتغنن  
ويرقصن . ويرقن الهم في احاديث الهم والهم . فيشع للمناجاة  
بشجرة تنشب بين الجدي والاعشى . فيقول ثابته بني جمدة :  
« أقدم ان دخولك الجنة من المنكرات . . . ولو جاز الطل على  
رب العزة قلنا انه غلط بك » ويبث عليه فيضه بكوز من  
ذهب . فيصلح الشيخ بينهما ، ويقترح على الحاضرين ان يختار كل  
واحد منهم واحدة من الاوز فيذهب بها الى منزله . ولكن احدهم  
بأى ذلك خوفاً من ان يعبروا فيها بعد بأزواج الاوز ، فتضرب  
الجماعة عن اقتسام القيان .

ويبتل ابو العلا بطله من مشهد الى آخر ، ومن مأزق الى  
ثان بدعابة وسخرية ، ويرويه مشاهد الجنان واعايبها ، ويضحك عن  
جمع به من مشاهير الامة والشعر . كل ذلك بما امتاز به من خيال  
خصب ونقد لاذع .

ولعل من أعجب المشاهد ، وابرع الفصول في الرسالة ، ذلك  
الذي يجل الشيخ ابن القارح يوم الحساب ، وقد حشر مع الناس ،  
ووجد ملك اخير ان حسنة قليلة كالرياض في العام الارمل -  
التليل المطر - على ان توبته عرضت عليه ما خسر . واقام في  
الموقف زهاء شهرين ، وزيت له نفسه ان ينظم ابياتاً في رضاء

تخلب القلب - لاننا اذا طالعنا الكتاب بشي من التدقيق والتحقق وجعنا الآيات التي تعرض للعالم الثاني ، وحاولنا ان نؤلف منها وحدة وصفية لوحدة مكانية ، تتجلى لنا صورة واضحة مرتبطة الاجزاء والاقسام ، تمود الى ثلاثة ابواب : القيامة والنعيم والنار .

ليس من يعرف الساعة التي تزحف فيها الكائنات من الحياة الدنيوية سوى الله . فقد جعل لها ، كما جاء في الكتاب ، وقتاً لا يدركه سواه . فتأتي الناس بفتة ، وهم عنها غافلون (١) . يبدأ الحشر فينتفخ في الصور (٢) ، لا يقاط الاوقات . فاذا مسا تعالت الاوصاف يأخذ الناس بالانسال من اجدانهم ليندوا على ربهم . ويمتري الكواكب والسيارات شحوب ، فيضف القمر ، وتجتمع الشمس به (٣) . غير ان العالم يكون بنفي عن انوارها لان نور الله يشع عليه . ثم ينفذ الانبياء والشهداء (٤) ليشهد لهم الله بصدق ما جاؤوا به . وامسا المشغورون فانهم يملحون الى الحساب كتبهم ، لان اعمال كل نفس سجلت في كتاب خاص (٥) ، فتجازى على الاعمال التي قامت بها في الحياة الدنيا (٦) ، فان خيراً ارسلت الى الجنة ، وان شراً اتحدت بها الشياطين الى النار .

امسا الجنة القرآنية في السماء او السموات السبع (٧) ، في القبة الزرقاء . جعل الله لها بروجاً وزينها للناظرين ، وحفظ من كل شيطان رجيم . ناد استرق السمع اليها احدهم اتبعه بشباب ميين (٨) . جعل الله الجنة للزومين والمؤمنات ومن صلح من آباءهم وازواجهم وذرياتهم (٩) . تجري من تحتي الانهار (١٠) وفيها جنات وعيون (١١) وانهار من لبن لا يتغير طعمه ، وانهار من خر ومن عمل مصفى (١٢) وفيها قصور شاهقة (١٣) ، ومساكن طيبة (١٤) يجتد المؤمنون فيها قرب ازواج مطهرة (١٥) يخالسون في ظل ظليل (١٦) . يدخل عليهم الملائكة من كل باب . يقولون لهم : سلام عليكم بما صبرتم ، فغمم عيني الدار (١٧) . وقد تزح الله القل من صدورهم ، فيجلسون متقابلين (١٨) لا يسمعون ثلوا الا

يرتو باستقائه من المتابع المعنوة ، بل غادر دنيا الاحياء وصحا الى العالم الثاني حيث هو واجد منبجاً أنفأ يأخذ منه بدون حساب . والواقع ان النصرانية لم تكن بالحياة الثانية عناية كبرى . او يقول آخر لم تمثل تلك الحياة بصورة مادية ، تمجدها الابداد الثلاثة ، ويجيا فيها الناس من صالحين وصالحين على ما يستحقون من ثواب وعقاب . وانما مثلتها عقلية روحية . وما يرويه الكهنة للزومين ، وما تمثله لهم الرسوم في الكنائس من نعيم او عذاب حسين ليس الا رموزاً ، ترمي الى التأثير في خيالهم . فهي صادرة عن مبدأ نفساني اكثر منها عن اصل مسيحي . فقد جاء في انجيل متى : «... وفي ذلك اليوم ذنا اليه الصلوقيون الذين يقولون بسلام القيامة وسألوه قائلين : يا معلم قل موسى ان مات اجد . وليس له ولد فليزوج اخوه امرأته ويقيم نسلاً لاختيه ، وكان عندنا سبعة اخوة تزوج اولهم امرأة ومات ولم يكن له نسل ، فترك امرأته لاختيه . وكذلك الثاني والثالث الى السابع . وفي آخر الكل ماتت المرأة . ففي القيامة لمن من السبعة تكون المرأة لان الجميع اتخذوها » . فاجاب يسوع وقال لهم : « قد ضلتم لانكم لم تعرفوا الكتب ولا قوة الله لانهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، ولكن يكونون كملأكة الله في السموات » . ذلك اعجب المسيحيون الثريون بالشعراء الذين جميع خيالهم للحياة الدنيا الثانية ، وجعلوا لها . والجميع ابتعاداً ، واليهجورين اوثاناً من الفة والغذاب لا تختلف عما يقع تحت ابصارنا الا من حيث النظم والانساع .

أما الاسلام فعلى نقيض المسيحية ، أسرف اسرافاً كبيراً في الكلام عن مادية الحياة الثانية . فاستقى ابو العلاء . من المتابع الاسلامية الصافية القدم الارفر من مواد تسميه وجعيه . استقى من القرآن والحديث والمراجع بنوع خاص . وما كان ينفقه المؤرخون انفسهم عن التابعين وتابعي التابعين ، وما كان يتحدث به اصحاب المواجد والافواق . فالجنة والنار أمران مطلوبان ، يعرف المسلم جغرافيتهما عام المعرفة . لانه وقف على تفصيل خريطةها بما طالعته في الكتاب والاحاديث والمراجع . ويوسعا ان نقول بشي من التاكيد ان المواد البنائية الاولى التي شيد بها المري ساحة الحشر والنعيم والجميع موجودة في الكتب الاسلامية التي سبقته . فلا سبيل الى الشك في ان القرآن اوحى اليه الاوصاف الرائعة التي

(١) انجيل متى ، انجيل الحادي والعشرون ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦

سلاماً<sup>(١)</sup>، وقد يجلسون وازواجهن في ظلال على الارائك. يطعمون الفاكة<sup>(٢)</sup>، او على سرر متقابلين. يطوف عليهم غلمان لهم كأهم لؤلؤ مكنون<sup>(٣)</sup> يكسل من معين بيضا، لذينة للشاربين<sup>(٤)</sup> او بصاف من ذهب واكواب فيها ما تشتهي النفس، لذالعين، وفيها فاكة كثيرة يأكلون منها<sup>(٥)</sup>، او يقدمون لهم لحم طير مما يشتهون<sup>(٦)</sup>، وعندهم قاصرات الطرف عين سكانهن بيض مكنون<sup>(٧)</sup> او ياقوت ومرجان مقصورات في الحيام<sup>(٨)</sup>، تحلين بأساور من ذهب ولؤلؤ. ولباسهن من الخمر<sup>(٩)</sup>، وثياب المؤمنين سندس خضراء، واستبرق<sup>(١٠)</sup>.

١٠٠٠ الجميع التي تشعر لها الابدان، وتشيب لها الولدان، فلها سبعة ابواب. يدخل من كل واحد منها جماعة من الملائكة<sup>(١١)</sup>، وهم من الجن والانس<sup>(١٢)</sup>، كلما دخل جنس لمن المجلس الآخر، واتهم به سبب ما يحل به من الذنب الايام<sup>(١٣)</sup>، ويأخذ المذنبون بالشيق والزفير<sup>(١٤)</sup>، يرددون تسابيحاً قطعت من نار. ويصوبون رؤوسهم الحميم، يصبر به ما في بطونهم والجلود<sup>(١٥)</sup>، كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها<sup>(١٦)</sup>، فاذا ما عطشوا سقوا حياً يقطع احشاهم<sup>(١٧)</sup>، او يصطرون: ربنا اخرجنا نعمل صالحاً، أو ينادون اصحاب الجنة ان اخرجوا علينا من الماء، وما نحن بذيقرهم الله، فيقولون: ان الله حرم على الكافرين<sup>(١٨)</sup>. ولا يؤذنون في عذابهم الى آخر الدهر.

هذه هي الصورة التي رسمها الكتاب للعالم الثاني. وهي على ما رأينا لا تختلف كثيراً عن الصورة التي جلاها المري في رسالة الغفران. على ان الفيلسوف قد ادخل في الجر القرآني ابن القارح المعجوز وسخر به مسأله. بل ربما كان من غايته المكتونة ان يبرز بأمر عديده، فترضى نفسه عنه لانه قال ما تريد، وترضى العامة عنه لانه قال ما ارادت. وبين الامرين تناقض واختلاف لم يوفق الى الجمع بين الامرين سوى ذلك الاسلوب البارع،

العويس الغفط، المتقطع الفترات الموشى بالآيات. والدليل على استقائه الموضوع من الكتاب هو انه عندما يصف منظرًا من الجنان او مشهداً من النار، يستشهد على ذلك بأية قرآنية، كأنه يريد ان يؤكد انه لا لا يخترع اختراعاً، او كأنه يريد ان يجعلنا اكثر ايماناً بما يقول.

والواقع ان هذا الموضوع كان مقرباً الى قلوب المؤمنين. فهم يريدون ان يعرفوا على تفاصيل المنزل الذي يسرون اليه. ويريدون ان يعرفوا بما يتألف. وكيف طريقة الوصول اليه. وما هو نوع الحياة فيه. وما هم ملائكة من الملائكة اذا ضروا بعض شهراتهم وميولهم؟ وما هم ملائكة من انواع العذابات اذا تركوا لاهلهم العنان؟ يريدون المقابلة والموازنة. فاذا كان ما يوعدون به يفوق كثيراً ما يتركون يرضون ويؤمنون. لذلك كثرت الاحاديث والروايات التي فصلت العالم الثاني، وتحدث الناس عنه كما يتحدثون عن شؤونهم اليهودية. ورووا النوادر، وهزأوا كما هزأ المصري من بعد. ولم تنحصر معرفة جغرافيته في العلماء، وانما انتشرت بين الجميع. وكان اكثر الناس تقبلاً لها الفقراء والمساكين. فشاول في الحياة فلا اقل من ان يتعزوا بالثانية. حرموا طيبات المال كل والمشارب فلا اقل من ان يفرقوا في احلامهم، ويتمثلوا انفسهم وقد زعت عنهم الاحمال وارتدوا الوشي المنعم، وطهروا من الاقدار والاوزاخ، ووضوا بالطيوب، وجاءتهم اطوار العين بما يرغبون. وكثيراً ما كان السائل يقف بباب احدهم فيقول: «أطعمونا عما تأكلون، أطعمكم الله من طعام الجنة<sup>(١)</sup>».

وجاء في الحديث «ان النبي كان يوماً يحدث - وهذه رجل من اهل البادية - ان رجلاً من اهل الجنة استأذن ربه في الزرع. فقال له: اولست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب ان ازرع. فاسرع وبذر، فتباد الطرف نيباته واستراؤه واستحصاده وتكويده امثال احيال. فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم، فانه لا يشبك شي. فقال الاعرابي: يا رسول الله لا تجهد هذا الا قرضاً او انصارياً. فانهم اصحاب زرع. اما نحن فلنا صاحب زرع فضحك رسول الله<sup>(٢)</sup>». فان هذا القرشي او الانصاري الذي لم يلمس ما كان يعمل في حياته الدنيا، واحب ان يتابع عمله في الجنة يكاد يشبه ابن القارح الذي اضاع عمره في التفتيش

(١) الجليلي: كتاب البخلاء ص ١٩٢ - طبعة مكتب النشر العربي دمشق ١٩٣٨

(٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٨٥

عن عويس الكلام ، وغريب الشعر ، فثله المعري يتابع بهته منه في العالم الثاني، ويضيع كتاب توبته لشدة انشغاله بقضايا الآلة . وكان حديث الاسراء ، منبأ آخر للمعري . وهو انه في ليلة الاثنين في السابع والعشرين من رجب سنة ثمان من البعثة الى جبريل النبي ببدء دون البقل وفوق الحمار ، تسمى البراق . لحبل عليه ، وانطلق به جبريل حتى الى بيت المقدس فصلى فيه ركعتين وعرج به الى السموات السبع ، فرأى في الاولى آدم ، وفي الثانية عيسى ابن مريم ، وفي الثالثة يوسف ، وفي الرابعة ادریس ، وفي الخامسة هرون ، وفي السادسة موسى ، وفي السابعة ابراهيم ، حتى وصل الى سدرة المنتهى (١) .

اولع الناس بمحدث الاسراء ، هذا ، كما اولع به المحدثون . لحكوه على روايات متعددة وتاويلات مختلفة . وكان من نتيجة تحس المحدثين ان ظهر بشكل دوائي يارع لا يقل روعة عن رسالة الغفران . هذا اذا لم نقل ان وصف النار واتواع المذاب هو اكثر دقة في المراجع منه عند ابى العلاء . واليك مثالا على ذلك عندنا يعرض صاحب المراج لآثار فيصيح بقوله مختصراً : « رأيت سبعين ألف بحر من غسيل ، وسبعين ألف بحر من سحابة ، وسبعين ألف بحر من رصاص مذوب . على ساحل كل بحر ثلاث مدن . مدينة من نار . في كل مدينة ألف قصر من نار . في كل قصر سبعون ألف تالوت من نار . في كل تالوت سبعون ألف صف من المذاب . ورأيت فيها حيأت كامثال النخل الطويل . وعقارب كامثال الخيل . هو اكثر من في النار - كما يقول صاحب المراج - من النساء . على بعض ثياب من قطران . في اماكن السلاسل والاغلال . بعض قد احترقت وجوههم . وألسنتهم سائلات على صدورهم . واخرى معلقات من شعورهم . ينلي دماغ رؤوسهن كغليان القدور ، هن اللواتي لا ينظفين شعورهم من الرجال الاجانب . وفي تنور من نار نساء ، معلقات بأرجلهم ، كن مسلمات اللسان ، يشتمن ازواجهن . ورأى امرأة رأسها كرأس الخنزير ، وبدنها كبذل الحمار . وعليها ألف ألف نوع من المذاب ، كانت في حياتها الاولى غلام توقع العداوة بين زوجها والخيوان (٢) .

على ان الصعوبة التي تمارضنا في جلاء هذه النقطة من التداخل في الاخيلة الشرية الخائفة ، هي في توقيت وضع المراج . ولعله لم يوضع في وقت معين ، وان نسب الى ابن عباس الصحافي المشهور الذي جمع في صدره القسم الاوفر من احاديث النبي واهله ، وحياة المقربين اليه وخصائصهم . . . . . ولما اشتركت الاجيال الاسلامية في تأليف هذه الرسالة المحبة المدهشة حقاً من حيث براعة خيالها . فتتلقاها الرواة المتدينون وحديثوا بها الناس وهم يرمون من وراء زخرف الوصف الى تحميس المؤمنين المداينين ، وتثبيت للقرءدين ، بأن يبينوا لهم المقام الرفيع الذي يحتله الاسلام بين الاديان السالوية والرتبة السامية التي يترق الله فيها الرسول ، والحياة الماتمة الشرقية التي تمد لاصحاب الكتب عامة والسليين خاصة ، والمذاب المرعب الذي يتقلب فيه الكافرون والمخاطرون . ولعل السامعين كانوا يصفون الى وصف المراج باعجاب عظيم ، واطراق اعظم . فيتشوقون الى ما يعدون به ، ويرتسمون عند ذكر التيران ، ويتلسون اجسامهم برعب وعلع . . . . .

من الثابت ان المعري عاش في مثل هذا الجو . وسمع مثل معراج ابن عباس واصحاب رواية الوصف . وجهد فكره الباطن في ترويض خياله . حتى اذا ظهر ابن الفارح في حياة الفيلسوف ادرك ان الفرصة قد حانت لاخراج ما تفضج في خياله من صور ، وفكره من آراء . الى حيز الوجود ، فكانت رسالة الغفران .

لا زائد الموازنة . ولست في معرض الحكم على ما نسب الى ابن عباس . وان ما يمكن قوله دون مبالغة ، هو ان المراج يبلغ الذروة العليا من الابتداء الخيالي . فيه بعض ما قاله ابو العلاء ، وفيه اكثر مما ذكره . ففي صفاته قصور الزلزال والبرجد والمسك الاذفر ، وافرلس من نور (ص ٦) . وفيه فساديل من جواهر (ص ٢١) . ورفارف خضر كمثل المقعد يحمل كل واحد اربعة من الملائكة (ص ٢٢) . ومن حصيا . جثته لذر الالبيض والرمرد الاخضر والمسك والبنبر . ومن نسجها الاستبرق والسندس (ص ٢٦) . وفيها الانهار السبعة : نهر من ماء ، ونان من لبن ، وثالث من خر ، ورابع من عسل ، وخامس من سلسيل ، وسادس من رحيق ، وسابع من كوتر (ص ٣٧) . وفيها من الجوارى العين ما لم يبلغ خيال المعري يمثل اشباههن . كذلك الجارية الكعلا .

(١) راجع : صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٦ - ٦٧ . وجميع الطيف في فضل مكة . . . . . لجمال الدين القرني ص ١٨٢ - ١٨٣ .  
(٢) معراج ابن عباس ص ١٦ - ١٥ - ١٦ طبعة دمشق



النجماء ، أجل من الشمس والقمر - خلقها الله من قديمها المديكتيا  
من الكافور الأبيض - ومن ركبتيها إلى صدرها من المسك الأذفر  
ومن صدرها إلى وجهها من التور الأذهر - لو اشرفت على أهل  
الأرض لاضاء من خصرها المشرق والغرب - ولو بصقت في البحر  
المالح لاصبح عذبا ( ص ٣٦ - ٣٧ ) . وفي المراج فوق ذلك ،  
ما لا يحده في رسالة الغفران وحلة قصصية وارتباط درائي .  
ومواقف حرجية ، وفيه استعراض تفصيلي لمسا في الجنان والنار ،  
ولاحوال الانبياء ، والرسل ، ووصف دقيق للمخلوقات التي تتمر  
الدالم الثاني . وفيه بداية ونهاية ، ودليل يقود الرسل في رحلته ،  
ويشبعه في شدته .

■

لا بد لنا في سياق بحثنا من الإشارة إلى ما ذكره بعض الدارسين  
من قرابة بين رسالة الغفران ورسالة التواضع والذوايع التي وضعا  
الكتاب الشاعر ابو عامر ابن شهيد الاندلسي ، يصف فيها نفسه ،  
وقد سار برفقة فارس جني إلى بلاد الجان ، حيث اتصل بهم ،  
وتحدث اليهم بامور اللغة والشعر ، وحادلهم وتامهم . ولم يعد  
الا بعد ان اجازته نفر منهم ، واعتفروا له بالبراقة والخيال .

ذكر الأستاذ احمد ضيف في محاضراته بالجامعة المصرية عام  
١٩٢٢ ان رسالة التواضع والذوايع هذه ليست سوى محاكاة لرسالة  
الغفران . وان ابن شهيد يقلد ابا العلاء ، لانه ادرك عصره ، وكانت  
شهرة قد ذاعت في المشرق والمغرب . وعلق الأستاذ زكي مبارك  
في النثر الفني ( ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٧١ ) على رأي استاذك ، بعد تحقيق  
بسيط ان ابن شهيد كتب رسالته ما بين عامي ٤٠٣ و ٤٠٧ ، وان  
ابا العلاء كتب رسالته عام ٤٢٤ . وفي رأيه « انه صار من المرجح  
ان يكون ابو العلاء هو الذي قد ابن ابي شهيد . وكما كان  
الاندلسيون يقدرون أهل المشرق في كل شيء . كان أهل المشرق  
يحرصون اشد الحرص على متابعة الحركة الادبية في الاندلس .  
بذليل ان رسائل ابن شهيد ذاعت في المشرق ودوتها الشرقيون  
قبل ان يموت ، وقبل ان توضع رسالة الغفران . »

لا زبد ان نعيد التحقيق في تاريخ رسالة « التواضع والذوايع »

لان مثل هذا الامر لا يتسع له مثل هذا المكان . وانما يمكننا ان  
ان نقول شيء من التأكيد ، دون ان نعني بسبق إحدى الرسالتين  
لثانية ، ان في حكم الاستاذين كثيرا من الاطلاق ، عندما  
يؤكدان صلة القرابة بينهما . فرسالة الغفران هي غير رسالة التواضع  
والذوايع - المعري يرمي في ما كتبه إلى ان يسفر بالصورة التي تشتملها  
العامية عن الحياة الثانية . وابن شهيد ، ادب من الطبقة الثالثة  
او الرابعة يكتب فلا يجب . وينظم فلا يلحق . كثير ناقده ،  
وقل يحذره . فتخيل ما تخيل ، لينقد خصومه . وبين لمعاصره  
مقامه الرفيع في النثر والنظم بين جماعة الجنب انفسهم . وموضوع  
الرسالة يشبه ما يروي الشيوخ من احلام يرونها في منامهم ، يفتنون  
فيها امرأ قد اختلفوا فيه . واحاديث الجن والانس ، واختلاط  
بعضهم بالآخر ليس جديدا في الادب العربي . ولم يكن  
مختصا في عصر ابن شهيد . فاما علينا الا ان نقف نظرة على فهرست  
ابن اللطيم نطلع « مئات التناوين لكتب وضعت في السنين التي  
سبقتها ، تعرض لملاقة الجن بالانس ، ولعالمات النورين ، كل في  
بلاد الآخرة . فعمل ابن شهيد قد اصاب بعض هذه الكتب الكثيرة  
الذرية أو ألغيت أو قمت على محل رحلته إلى بلاد الجن ، قام بها سابقوه  
من الرواة المحققين . فساد على خطاهم ، يحاول ان يفجر هناك  
، يثور في نفسه من طموح وامل .

●

وبعد فاما ابقينا من رسالة الغفران . وقد اعدنا الحجة على  
مقالها ، والاخية إلى مساربها ، والفكر إلى مغاويرها ؟ مسا كان  
المعري تاسعا ولا ثالثا . ولما كان كجميع شعراء العالم وفلاسفته  
يقوم صرحه الشاهق للترقع بجبال الفن على الحجة الصغرة  
والنفساء والخراف والمعن المكف والتبيعان والقرنصات  
التي جدد العالم البسيطون من قبل في تدويرها وتكويرها وتشذيبها  
وتقشها وصلها . جاء المهندس الاكبر ابو العلاء فأثب منها ما نسيه  
رسالة الغفران .

مور عبد المور

# فصل من كتاب «الأيك والفصون»

من آثار أبي العلاء النيسية كتاب «الأيك والفصون» المفقود، ويدعى أيضاً «المهزلة والردف». وقد ذكر المرحوم أحمد تيمور بلشا في كتابه عن أبي العلاء، نقلاً عن باقوت في كتابه «ارشاد الإديب» أن هذا الكتاب يقع في ألف ومائتي كراسة تبلغ اثنين وتسعين جزءاً ويبلغ عدد فصوله ثلاثاً وثلاثين فصل ومائتين.

ويتناول أبو العلاء في «الأيك والفصون» ذكر الدنيا بما يراها جديرة به من ذم وقبح، ويقدم لقرائه عظات ونصائحاً هي آية في البلاغة والإيجاز. وينهج أبو العلاء في الأيكة نهجه المعروف في «الفصول والفتايات» فيها في الأسلوب والإدراك، صنون لا يختلفان. والطريف أن أبا العلاء لم يتهم في «الأيك والفصون» بما اتهم به في «الفصول والفتايات» من «ممارسة القرآن». وربما كان السبب في ذلك، ما اشتمل الكتاب عليه من تمجيد لله، وثناء عليه، وتوبييح بجمده.

والكتاب مفقود الاثر، لا يعلم أحد قمره ولا شواهده، ولكن الدكتور إسعد طلس استطاع بحكم عمله في معهد الدراسات الشرقية أن يطلع على شذرات فصل من هذا الكتاب، أورده يوسف البديعي في كتابه المخطوط «أوج التحري» أثناء كلامه عن أبي العلاء. وأدبه يوسف البديعي هذا من أدب القرن الحادي عشر للمؤرخين. وقد ذكره محمد المحي في كتابه «خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر» وذكر من مؤلفاته «الحقائق في الأدب» و«الصبح المبني في حبيبة النبي» وقال أنه توفي سنة ٥١٠٣هـ.

وكتاب أوج التحري للبديعي من المؤلفات التي قد الآن تلهم في معهد الدراسات الشرقية في دمشق. على أن النسخة المخطوطة التي تعد للطبع مصابة بنحزم اتلف قسماً كبيراً من الكتاب.

وها نحن نطرف قراء «الاديب» بهذا العصل المتع بعد أن اشد إلى بعض الملاحظات عليه الأستاذ عبد الله العلايلي. كما لاحظ أن المعري ابتكر به فناً جديداً في النثر يشبه التيسيط في الشعر أي الذي تتنوع فيه القوافي ويلتزم قافية بعضها في نهايات مقاطعه.

لولما أصفق المتعبون عليه<sup>(١)</sup> من تمجيد الله؟  
لوجب أن لا يذكر اسم الله تعالى إلا بالاحكام والهيبة  
وأن لا ترفع ألقاباً إلى السماء، إعطاءً، وتأنياً.  
المخصة للفصل وجا. (٢)  
لا يستقيم غضبك ههنا،  
للاقدار النظرة والفتيا. (٣)

إذا نزل قدرك فلا راق<sup>(٤)</sup>،

(١) ساقطة في الأصل وزادها ضرورة،  
واسق اجمع (٢) المخصة المروج والوجاهة  
الفتح. (٣) أي الإلهال والمباينة.  
(٤) المراد بالراق هنا الوافي

كأنت الحسن من صفتك،  
نؤمن بك ونثق بمرتك،  
ونسألك أن توسعنا من رحمتك،  
كتب المادح سوى مادحك<sup>(١)</sup>،  
سبحانك - رب المملكة - ما لها انقضاء.  
●  
أحذر صديقك وصاحبك،  
مثلاً تحذر عدوك ومحاربك،  
إذا انتوت<sup>(٢)</sup> بصديقك نوى فلا تنسه،  
والذكر ملاطفتك إياه وأنسه.

وإذا هلك عبادك فأنت ملق،  
أين المتأسف على قومه؟  
أقد شغل بقاء يومه.  
افرح بالحسنة إذا صنعتها،  
واندم على صلاتك متى أضعتها.  
الامل والحرص متواخيان،  
والزهد والعبادة نسيان.  
خير ما تنطق به ثناؤك على خالقك،  
وكيف ثناؤك على ما لا تعرفه؟  
أنا ذلك عليه الصنم،  
فمررتك وقت بالأفقال دون من فعل،  
والله حكيم والمعرفة يربنا عرواه.

(١) في الأصل مادحك والتعبير بالمراد أكثر مناسبة. (٢) أي بد به اليد.

كأشف صاحبك المعصية وازعجه ،

وأكرم الناسك ولا تجه ،

وأحسن الى فقيرك وابجه .

من أراد من الدنيا حظاً منهم نفسه في خدمتها ،

ومن أدرى بها من غير ذهب فذلك جرى

مجرى الشاذ لا يحشل قياساً عليه .

كم قوم في حب العاجلة قد أضلوا ،

أو خلفوها بعد ذلك وظنوا .

قل ما بدا لك أو أصحت ،

كلنا صحت الآخرة يسمت<sup>(١)</sup> ،

أقبح من التي الأغواء .

إذا سقيت عافك<sup>(٢)</sup> فاسقه محضا ،

وإذا سألت ربك ميثاكا فاسأله خفضا ،

ولا تدم صاحبك شقا<sup>(٣)</sup> وبضا ،

واغفر له أجركم تقضالا وغضا .

كيف لا أحذر وأنتي ،

هل خلد أحد وبقي ،

يارب من سعد وشقي ،

لقنا برحمتك خير ما لي ،

فإن الهوة اكول فروها<sup>(٤)</sup> .

اشجع فإن أقدار الله لا تعجل الى الشجاع

ولا تنكسر من لقاء الجبان ،

فلا تكن من قوم غيا<sup>(٥)</sup> .

إذا رزقت الظفر فأحسن ،

وقيد فرسك وأرسن<sup>(٦)</sup> .

وخاصم نفسك فإنها عدوة ،

وأصبر على أقاربك فإن الصبر عليهم مروءة ،

وأعلم إن عبادة ربك جنة مجفوة .

(١) أي وجهة الآخرة يجه . (٢) العافي

الطالب للفضل . (٣) أهلاكا . (٤) وإسدة

القم . (٥) غيباء جمع غيب وهو الجبان

الذاهب القلب . (٦) الارسان شد الارسن .

لا تعين احدا بأمر ،

فقطا على مثل الجر .

أصبر على أحكم ربك وإياك وليت الكاذبة

ولو الثارة<sup>(١)</sup> وعسى الخلفة ولعل الخالبة ،

وابك على خطيئتك ولا تكون كالرجل

يكي الدما<sup>(٢)</sup> .

لا تغن من استغفارك ،

وواصل التذكرة ودارك<sup>(٣)</sup> ،

واخف الكلمة في إصمراك ،

ولا تریدن جوارقك باعتذارك .

أعد سنة بعد سنة ،

فر الثمان وثاني سنة .

إن الله يرفع المتواضع ويصينه ،

ويذل المتجبر ويبيته .

إذا كان جليس الرجل يمينه على طاعة الله ،

فالخالسة أفضل من التوحيد ،

وإذا كان الخليس يفسدك في المعصية فبادر

بالإخلا<sup>(٤)</sup> .

المؤمن بليغ وكأنه عبي ،

ومحسن في الباطن وكأنه مسي .

في كل نفس معجوبة ،

والخائف من البشر معجوبة .

من كفر فلا تلاحه<sup>(٥)</sup> ،

حسبه سيء صباحه ،

في منده ورواحه ،

فكان مثل الكلب الأخرق جازي المطعم

ينباحه ،

لا تقبل الثمل براحه ،

وراث له من اجتراحه ،

(١) في الاصل التزارة وجينة الناعل أكثر

منسبة . (٢) الشلل يصرفك من قصد .

(٣) أمر من المداركة . (٤) مطاوع بمعنى

الاختلاء . (٥) للملاحة السباب .

لو رضي بيارد من قراحه ،

لرجوت أن يظفر بفلاحه<sup>(١)</sup> ،

على أن الملك عمن في كل الانحاء .

يا نحو يا نحو ،

حق لما كتب منك المحر ،

ما أنت وما الحاجة إليك ،

انما يفتر الى تقوى الله ،

ما اشغلتني اذا نودي بي عن احكام النداء .

ما ترخم وضم ،

وكلام ضم وجمع .

جر بالإضافة ونصب على الاغراء .

استغفر ربك وتب ،

هل تنفك هذه الكتب ؟

انظر الى من شئت من اهل الزمن ،

تجده في عنا . ومحن .

قضى بالجليل المتكبر ،

فاذا هو بالجليل تله .

كلنا يظلم ويكوب ،

والرجل الى الهلكة يجوب .

يندم الثمل اذا صبا ،

ويعلم انه جهل فيا انتحى .

اذا لاقيت جارك خفيه ،

وان ترج به الزمن عن حيه .

لو وجدنا غير لقناعة لاخذناه ،

أبى علينا الحسن لما جذبتناه .

من يذكر الله بلسان ،

ويضل فعلا غير حسان ،

فدعد ذلك من انسان .

الزمن كر وفر ،

خير يطرقت شر .

قد ما أبشكر وأروح ،

(١) في الاصل ببلاجه .

# القرامطة والزعم في الإعراب المعري



المري والمنبي هما الشاعران العريان اللذان لم يكتب عن شاعر عربي مثل ما كتب عنها. أما أبو الطيب فقد كتب عنه القدماء والمحدثون، وحفظ أكثر ما كتب عنه. وأما أبو العلاء فقد كتب هو عن نفسه

وكتب عنه كثير من القدماء، ولكن كثيراً من هذه الآثار فقد. وأما المحدثون الذين كتبوا عنه من عرب ومشرقيين فكم يكون جداً. وقد كان لكل منهم على كثرتهم وجهات نظر مختلفة.

وكثير مما كتبه المحدثون عنه قد اختاره النقص والطمع، بعد أن اكتشفت آثار جديدة لأبي العلاء، أزاحت الستار عن كثير من نواحي أدبه. وبعد أن توضحت أسس كثير من المذاهب الفلسفية الإسلامية كبحاث ذي خوه في القراءات والبحوث السبعين في القرامطة والاسماعيلية ومباحث برنارد لوس في الاسماعيلية وآخرون

## بقلم الدكتور أسعد

الصفاء. فقد أزاحت هذه الدراسات كثيراً من الحجب عن بعض النواحي الفلسفية العلامية. وأنا مؤمن أننا حين نقرأ على كتاب المحيى للزعم في الدين أبي النصر ابن أبي عمران داعي الدعاة القاطمي الذي ذكر المؤيد فيه أسس المذهب القاطمي وأسس

الفلسفة التي قامت دعوتهم عليها. أنا مؤمن بكل الإيمان بأن ظهور هذه الآثار سيكشف لنا نواحي جديدة كانت غامضة أو مجهولة من أبي العلاء. فليس طبعياً أن يعيش أبو العلاء في

قرن سكتته. دأب واسعة عميقة كدأب القرامطة والاسماعيلية وغيرهم من الفرق الإسلامية ولا يفيد من فلسفتهم. ولا يعترض على معترض بأن المري قد هبنا بعض رجال الباطنيين والقراءات بالهم لا يكونون في حركتهم هذه الا الشهرة والا الوصول الى المراكز العالية. وان هذه المذاهب منذ ان قامت حركة الزنج

استمع من ربك ومن البشر ،  
واقفل في حثك من الاشر .  
ثم نفسك احسن من الصنع ،  
فأبنا تألف العادة وتدع الثمار .

وهب نفسك من المعلومات فالى العدم عن  
قليل تصير .  
كلنا يبدو لما قضي ،  
هذا سخط وهذا رضي .  
لا تقل الا ما ينطق ،  
ولا تسبح الا ما يردك .  
من مت الى اهل الخادعة بتركها احبوه ،  
ومن دافهم في طلبها سبهوه .

ولا تأمن غضب خالقك فإنه بنيس (١) .  
على انك اقل في ملك الله من ان يتالك  
غضبه او رضاه ،  
لولا تفاضل نفوس البشر وجدوا أكفأ .

•  
اذا كتم عنك شيء فدعه ،  
وصد عما قبح ولا تصدعه .  
لا إله الا الله كم اجمل وكم أهل .  
اذا عرضت على فائيتك صدأ ،  
ظننت انك فعلت زهداً .  
لو انك وجدت المسالك الى قبيلها ،  
لكنت المشتبك بذيلها .

(١) في الاصل من ولكنه يورد ميل أكثر  
مناسبة .

ان ل. الحاد (١) قروح .  
التائب خير من غيره ،  
رجع عن شر العمل الى خيره .  
ان أسر الصمد لمضي ،  
وكل ما فطه لمضي .  
أعلم وعلمي قليل ،  
ان ظل الرحمة هو الغليل .  
ان السائل اذا حرمته ،  
فقد أهنت نفسك وأكرمت  
أطو صاحبك على غرة ،  
واحذر من عدوك شره .  
لا تياس من دعة ربك فإنه كريم ،

(١) البقاء الطويل .

أبو العلاء المعري

الى ان قويت حركة القرامطة لا يواد بها الا الفتنة وجنب الناس  
الى رأس ماريون:

اقدموا على انياب لجذب الدنيا الى الرؤساء  
عرض القوم سنة لا يرفقون لسمع الشاهد والخصاء  
كلدي قدم يجمع الزنج بالبصرة والدمعطي بالاحساء  
ورد ما استلمت فالغائل الصادق يضعي لغدا على الجلاء

فأبو الملا في هذه القطعة وفي قطع كثيرة غيرها تجدوا مشرة  
في ديوان الزوميات يحمل على رؤساء هذه المذاهب لانهم قوم  
يستعانون مذاهبهم لجذب الناس اليهم وأكل الدنيا بالدين كما يقول  
ابو حيان التوحيدي:

فالمرى يتخذ سيرة هؤلاء القوم ولا يتخذ المذاهب نفسها - وهو  
يترجم على اولئك الأعداء لانهم لا يريدون من وراء مذاهبهم هذه  
الا الدنيا فلا يقرن للموع النساء ولا يرحمونهم.

وفرق بين المذهب نفسه وبين الرؤساء فقد يكون المذهب  
رفيعاً سامياً وزعماءه وقائده حركته من شر الناس عملاً وخلقاً  
ويوضح هذه الفكرة بأمر يحده عند أبي الملا. وهو ان ابا الملا  
حمل كثيراً على الصالحين كما حل على الصائين والزكّين ولم يحمل  
على الصلاة والصيام والزكاة بل انه اتى عليها ومدها فحمة آبي  
الملا انما هي على الصالحين السامين في صلاحهم وحملته على الزكّين  
انما هي حمة على الذين يزكون وهم مكروهة وحمة على الصائين  
انما هي حمة على الصائين المرأين الكاذبين.

فحمة أبي الملا على القرامطة والباطنية وصاحب ثورة الزنج  
وغيرهم لانهم كانوا يدعون الى فكرة مينة بل لان نواياهم  
كانت سنية ولان الريل التي كانوا يسلكونها الى الوصول الى  
اهدافهم كانت سبيلاً عوجاً.

وهنا نطيل أقول في هذا وهناك سبيل نستطيع به ان  
نبرهن على ما ذهبنا اليه بهائناً قد لا يأتيه الباطل، وذلك ان ندوس  
مذاهب القوم وما وصل اليان آمن آرائهم على قلة ذلك، وتبين ما بين  
فلسفتهم من صلة وما بين الفلسفة اللائحة. نبدأ بحركة الزنج وهي  
ثورة قوية عامّة قام بها الزنج والعبيد عامة في البصرة وما اليها لمحاربة  
الظلم الذي كانوا يقاسون من مواليتهم في البصرة ومن كبار  
الدولة في بغداد وقد دامت هذه الفتنة نحواً من خمسة عشر عاماً  
اي من سنة ٢٥٥ هـ - سنة ٢٧٠ هـ.

ول هذه الثورة فيها الكثير من الوجهة الاجتماعية وقد شبهها  
المسيو ماسينيون بثورة أتوس Eunus التي قام العبيد ضد مواليتهم  
من اهل روما سنة ١٤٠ ق.م. ومثلها ثورة سبارتوكوس

Spartacus التي قام بها العبيد ضد مواليتهم روما ايضاً من سنة  
٧٣ ق.م. الى سنة ٧١ ق.م. وهو يحى الى امسك بيد في هذا  
التشبيه. فان فتنة الزنج هذه قام بها العبيد الذين كانوا يستخدمون  
في حراثة اراضي البصرة وما اليها والقيام على امرها بقيادة زعيم  
اسمه علي بن محمد الطوسي ونسبته الى علي موضع طعن حتى من مؤرخي  
الشيعه كآبى أبي الحديد فقد رأى علي هذا ما كان يقاسيه هؤلاء  
الموالي المساكين من عنث الطاعة وخشونتها «فدعاهم وحرضهم على  
الخلاص من الرق والتعب فاجتمع عنده منهم خلق كثير فخطبهم  
ووعدهم ان يقدمهم وعلمهم الاموال - وحلف لهم بالايان القليلة  
ان لا يشدد بهم ولا يظلمهم ولا يدع شيئاً من الاحسان الا ان به  
اليهم فآله مواليتهم وبذلوا له عن كل عبد خمسة دنانير فطلع  
اصحابهم وأسر كل من عنده من العبيد فضرىوا مواليتهم او وكلامهم  
ثم اطلقهم فضا نحو البصرة واخذ يجمع السودان فلما كان يوم  
المنظر خطبهم وصلى فيهم وذكرهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء  
الحال بان الله تعالى أبعدهم من ذلك وانه يريد ان يرفع اقدارهم  
ثم أمر الذين فيهم انه قوله ان يفهموا من لا فهم له من عجمتهم  
لتطبيب بذلك انفسهم ففعلوا ذلك (١) وما زال امر الطوسي هذا  
يقوى وما زالت حركته تعظم وتنتشر والثورة قائمة على ساق  
وقدم في جزيرتي العراق وشرقه حتى استولى على البصرة وما اليها  
فلوقع فيها الحرائق والحرايب العظيمة ثم استولى على الاهواز  
ووسط ورا مبرز وكانت له وقائع كبيرة مع الحليفة العباسي  
الموفق حتى قتل سنة ٢٧٠ للهجرة.

ويظهر ان هؤلاء الارقاء البؤساء قد كانوا يملكون معاملة جد  
سيئة فقد حدثنا المؤرخون انهم كانوا يقتلون عليهم في المشرب  
والمطعم والمليس فكانوا يطرون الواحد منهم حفنة من طحين  
وقليلاً من التمر الردي في يومه. وكانوا يرون ثمر البصرة الزاهي  
الجميل المشهي امام اعينهم ولا تصل ايديهم اليه مع انهم هم الذين  
يغرسونه وهم الذين يعنون به وبساتينه وقد ضاقوا بذلك ضراً فلما  
ظهر هذا الطوسي ودعاهم الى الخروج جهاداً بالله ويقول السيد  
ماسينيون (٢) ان المصادر التي بين ايدينا لا تحدثنا شيئاً عن كيفية  
ادارة صاحب الزنج هذا، ولكنها على أي حال ايدارة اشتراكية  
تجلى ظاهرة بتلك الحركة الحربية الطائفة التي شنها صاحب

(١) انظر الطبري وابن الاثير في حوادث سنة ٢٥٥ وابتدأ الى الحديدي في  
شرح الترح ٢ - ٣١٠

(٢) دائرة المعارف الاسلامية النسخة الفرنسية ٦ - ١٢٨٢

الزنج على الخليفة العباسي، ولولا ان الخليفة وقف موقفاً حاسماً بنتمه امام هذه الفتنة لكان لها شأن آخر.

هذه الثورة، وان كان التاريخ لم يحفظ لنا الا وجهها السياسي وحوادثها الدامية المؤلمة. وان كان الشعراء، ايضاً كابن الرومي والبحتري لم يصفوا منها الا لاثبيتها التخريبية، اقول ان هذه الثورة كانت تعتمد على نزعة طيبة يراد بها تخليص عدد ضخم من البشر يحكمه نفر قليل من السادات ولئن نقد الميري صاحب الزنج وتهجم عليه بما تهجم فانه كان ينقد ما صدر عنه من افعال وحشية من تزييق وتخريب واستباحة حرم. ولكنه كان فيما يظهر مبعياً بالفكرة التي كان يحملها صاحب الزنج لانها فكرة تحريرية تدعو الى حياة حرة خالصة من كل ربقة سنها الظالمون الذين صيروا الناس قسسين، احراراً ومبيداً متذرفين باسم الدين، فيعالمونهم شرعاً ملة: اسأت ببدك في عسف وحلت حرك ما لم يلق وسوف يهازيك رب الهاء فشمرا لاحتلك واتطق

اذا كسر البند الاتان فعدّه اذا له ان الاتان الى كسر رفقت اسرى في يدك فلا تكن ظليفاً عليهم واتق الله في الاسر لا شك عندنا في ان الفكرة التي تدعو بها الماي قد اصعبت ابا العلا، فاعتنقها مذهباً ودعا اليها في جهوريته كما يروي القاري. فيا بعد.

امّا القرامطة او الطليعية كما يسمون ايضاً فقوم ظهروا في القرن الثالث للهجرة بعد ان قضى على حركة الزنج ولا نعرف عن حقيقة مذهبهم الاجتاعي شيئاً كثيراً لان اكثر آثارهم ابيدت ولم يبق بين ابيدينا شيء. فيه غناء. على ان فيا بقي مما كتبه خصوصهم من المؤرخين او رجال الملل والنحل ما يكشف لنا بعض الدرامي عن امرهم.

حركة القرامطة كما تجلّت لنا فيا قرأناه عنهم هي حركة اصلاحية واسعة تتنازع بنواح علمية واجتاعية وسياسية ودينية. اما من الناحية العلمية فقد بنيت عناية كبيرة بشتر الثقافة الهلنالية Hellenistique واما من الناحية الاجتاعية فقد نظمت المثل نقابات نقابات ووحدت صفوفهم، كما عمدت الى المتفقين فجعت امرهم وسارت بهم في سبيل ارادتها لهم واما من الناحية السياسية فتستاز بدعوة سرية واسعة ترمي الى اسحقاق حق البلويين والاصمائيين. واما من الناحية الدينية فتستاز بتلك الطرق الطليعية المنظمة والمكيفة بما يليق مع كل الطبقات وكل العناصر وكل المذاهب بأسلوب مبني على العقل والتسامح والمساواة. هذه نظرة

مجملة على الحركة القرامطية من نشأتها ونشاطها وأسلوبها في دعوتها. فأنت ترى ان القوم لم يكونوا كما صوهم لنا رجال التاربخ الموجود بين ابيدينا من انهم قوم سفاكون هدامون يقتلون الجميع ويهدمون المساجد، ويجزؤون بيوت الله. وما الى ذلك من الصور البشعة التي نجدها في الطبري وابن الاثير ومن بعدهم من المؤرخين الاسلاميين. وانما هم قوم لهم عقائد اجتاعية ومارق اصلاحية كانوا يعملون على نشرها. فهم قوم ضاقوا ذرعاً بالحالة التي صار اليها الاسلام في القرن الثالث من تطور عجيب وانقلاب واسع فذلك ثاروا على هذه النظم وأرادوا ان يبدلوها تبديلاً يلائم العصر الجديد والروح الجديدة. هؤلاء هم القرامطة والاصمائيون الاول في رأينا. ولو اتبع لنا ان نظفر ببعض المصادر القديمة عنهم انظروا بشيء ذي خطورة.

هذه نظرة مجملة القيناها على القرامطة وتاريخهم. واما عقيدتهم ومذهبهم الغامض فياكثر غوضاً ايضاً. وقد استطعنا بعد مراجعة كثير من كتب العقائد والفرق الاسلامية ان نتهدي الى بعض النقاط من حقيقة عقيدتهم. وما نحن اولاً نعرض على القاري. الكرم بعض ما نتقد ان ابا العلا قد استفاد من طريقتين في بناء قسريته الملائية

ان العقل هو الحكم الفصل في كل الادور من اعتقادات واحوال مذهب فمن جاهد العقل فهو على صواب ومن خالفه فهو على ضلال. وان (الآله) هو آله القول أي هو ما هدى اليه عقل كل عاقل.

ان القرآن والحديث ليسا عند ظاهر الفاظهما وان وراء هذه الالفاظ حقائق ينبغي على الانسان ان يفكش عنها.

ان اجل المار. ونشرها واماها معرفة الله سبحانه وما عدا ذلك فلا طر. ا. ب.د الله سبحانه لا يبعد حتى عبادته الا بنفي الحرد والصفات والتموت عنه سبحانه.

ان النبوات كلها نوع من السياسة المصادلة وضمت لمصلحة الملبش وامور الدنيا

ان اكثر الناس شرير خبيث مقتون بالخرافة والامور الباطلة ولكن قد يهدي الى السبيل المستقيم اذا اراد.

وهذه نظرة اخرى على المذهب القرامطي الذي لا نشك من ان ابا العلا قد افاد منه كثيراً في فسنته الملائية.

# أبو العلاء شاعر عربي عظيم



نقش سليم الخبيز

عن المجلد الثاني لمرعي  
في دمشق

وفي لزوم ما لا يلزم صور بديعة تتسل  
في قصيدة الديك والحمامة وفي سقط الزند  
آيت رائدة من هذا النوع في الدرديات وغيرها  
ومن كانت رسالة الغفران ورسالة الملائكة  
من آثار خياله لا يكفر عليه ان يأتي بالحقائق  
الرائعة من صور الخيال في شعره.

فايو الملا، شاعر واسع الخيال في شعره  
صور بديعة وامثلة رائدة منه واذا لم تكن في  
الشاعر قدرة على اختراع المعاني المبتكرة  
وتوليد معنى من معنى وكان لا يقوى على  
التصرف في المعاني الموروثة عن تقدمه زيادة  
وتحداً وكان عاجزاً عن صرف معنى من وجه  
الى وجه آخر فهذا وزن وليس بشاعر لانه  
لا يستطيع الا المحافظة على الوزن:

ومن نقب في شعر المرعي وجد فيه كثيراً من المعاني التي لم  
يسبق اليها كقولوه:

والحسن يظهر في شئين دونه بيت من الشعر او بيت من الشعر  
وقوله:

والحل كلاله يدي في ضائه مع السنا، ويخبرنا مع الكدر  
انني قواها قليل السير تمنه والعمر ينتبه طول العرف بالعمر

وقوله:

ولو يرجى مع الشركاء غير لا كفن الاله بلا شريك

وقوله:

قداه من كالبت اضيفه ان يشرب للماء ولا يطعم

وقوله:

وكذلك المرأة تصدق في الذي تحكي واثت الصادم المصقول  
واليس اقل ما يكون لها الهدى والماء فوق ظهورها محمول

وقوله:

ارى الارادي تشاء الخطوب فيكبي عمرا قبل اجبرت من مقر محلو

ذهب بعض العلماء الى ان الشعر علم يشترك  
فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون التربة  
مادة له وقوة لكل واحد من اسبابه.

وقد اوتي ابو الملا من حدة الذهن  
وجودة الطبع والذكاء النادر والرواية الواسعة  
والدربة البعيدة المادي والبراعة في صوغ الكلام  
وتسيقه ما هو غني عن الالبانة والابضاح.  
فقد توفر لديه من هذه الاسباب ما جعل  
في نفسه ملكة قوية يستطيع ان يكون بها  
من المجددين المبرزين في الشعر. وذهب فريق  
من الادباء المحققين الى ان الشعر كلام موزون  
يشتمل على شيء من الصور الخيالية. وايضا  
اوسع الشعراء خيالاً وفي شعره من الصبر  
الخيالية الرائعة ما يقصر عن ادراكه المتطاول

وقد يشعري ذلك في مثل قوله يصف نهلاً وما يكتنفه من الاهوال:  
سكان العبا فيه ترابك كائنات ذود البيا من خلال اكلمه  
ير به راد الضحى تنكراً خلفه ان يتاله بقسامه

وقد دل على شدة ظلمته لا يمكن ان يدل عليه بأحسن من قوله:  
بلاد يضل النجم فيها سيله وتشي دجاءاً طيفها عن لسانه  
خادس تشي الموت لولا اغنيابها عن المرء ما هم الردي ياخترابه  
رجا الليل فيها ان يدوم شبابه فلا راحة شاب قبل احتلابه

وقوله يصف خرقة (فلاة واسعة):

ولو نشدت نمشاً هناك بنائه لانت ولم تسع له صوت منشد  
ونكم في الماصفات نفوسها فلو صفت بالبيت لم يتأود  
ولم يبت الهطيان فيه تحميراً وما تلك الا وقفة من تباد

وقوله يصف طايلاً قطعت مفازاً بعيدة صعبة:

فكم جاوزن من بلد تبعد وسائر نطقنا جيد وعاد  
ومن ظل تحيد الريح عنه مخافة ان يغرقها الفتاد  
وكن يرين ناز الزند فيه فلم يبحرن اذ وردت الزناد  
لو ان ياض عين المرء صبح هنالك ما اصاب به السواد

وقوله:

صاح هندي قبرونا غلا الرب فأين القبور من عهد عاد  
خفف الوطء ما اظن الارض الا من هذه الاحساد  
وفتح بنا وان قدم العهد هوان الابهاء والاحداد  
سران اسلمت في العوا، رويداً لا اختياراً على رفات البهادر

الى غير ذلك مما تراه في اضافة شعره . فابو الملا، شاعر  
مختار مشكور وفي كلامه كثير من الماني التي سبق اليها  
ولكنه تصرف فيها فكسبها جالاً حتى فضل اليباق اليها قال  
البحراني:

احسنتي بندي يدك فسودت ما يننا تلك اليد البيضاء  
صلة غدت في الناس وهي قتيمة عجب وير داح وهو جفاء  
وقال ابو الملا:

لو اختصرتم من الاحسان زدتكم والمذهب يجر للانراف في الحسر  
وقد استوفى في الشطر الاول جميع معنى البحراني وسلم كلامه  
بما يوهه كلام البحراني بحسب الظاهر من اطلال التسويد على اليد  
البيضاء، وللطبيعة على الصلة والجفاء، على البر.

واخرج الشطر الثاني مخرج المثل البديع وبنت المري في جلته  
اوجز لفظاً واكثر معنى واحكم تأليفاً واصفى ديباجة واعم فائدة  
واطيب نعمة في السمع وقال المتنبي يصف سيفاً بالضاء:  
لو كان صافد رأس ماز سيفه في يوم سكر لا لاجل اللون

وقال ابو الملا، في ذلك:  
بكاء عين لا في الماني سبب لا يكون له معاد  
وبنت ابى الملا، اشد اسراً واكثر مبالغة واجزل معنى واروح  
خيالاً واطرف واظرف . فابو الملا، معتد على التصرف في الماني  
تصرفاً يورثنا رونقاً وطلاوة وقد وقع في كلام قوم . انه كان يقاد  
المتنبي ولم ار من اوضح نواحي هذا التقليد ولا من بين مواطنه .  
ونحن اذا تأملنا شعر المري تراءى لنا انه اخذ من كلام غيره لفرس  
ما . وهو ثمة يصرح باسم من اخذ منه قوله:

من قال صافد لثام الناس قلت له قول ابن اسلم قد ابلت اسامي

فان آخر البيت من قول ابى قيس الاسلم:  
قالت ولم تصعد لثام الحسا صلاً فقد ابلت اسامي  
وتارة يتصرف بالانفاظ ولا يصرح باسم صاحبها كقوله:  
كان الصبا التت المي صاخاً تحب برجي مرة وتناقل  
والشطر الاخير من قول النابغة:

فسليت ما هندي بروحة عرس تحب برجلي تارة وتناقل  
وقد ابدل فيه رحلي وتارة برجي مرة . ولم يصرح باسم  
صاحبه وهذا نادراً في شعره وابو الملا، شارك المتنبي وغيره في بعض  
اغراض الشعر ولكنه لم يسلخ معنى تأساً لشاعر قط وانما كان

يتصرف بالماني فيزيد وينقص وهذا سبيل الشعراء، قديماً وحديثاً .  
ألا ترى ان امرأ القيس وصف الجسم بالطراوة والمين حتى انه  
ليتأثر بها لا يتأثر بشده عادة فقال:

من القاضرات الطرف لورده حول من الذر فوق الاتب منها لاثرا  
فألم هذا المعنى جمهور من الشعراء كحسان وعمر بن ابي ربيعة  
والمتنبي وغيرهم .

ووصف الافوة الاودي الطير التي تتبع القزاة فاقتنى اثره فيها  
عدد كبير من الشعراء منهم النابغة وابو نواس ومسلم وابو تمام  
والمتنبي والمري وغيرهم وقد يوافق المتأخر منهم المتقدم في جهة  
ومثاله في المري ولم يقل احد من العلماء ان واحداً من هؤلاء  
الشعراء كان يقاد امرأ القيس او الافوة الاودي ، لان المساني  
مطروحة في الطريق كما قال الجاحظ وفي وسع كل احد ان يتناول  
منها ما اراد . وانما يتفاوت الشعر بحسب التأليف وكمال المعنى  
والاخيلة البديعة والسلامة بما يحل بانفساحة .

وكان ابو الملا، يحفظ الشيء الكثير من شعر الجاهليين  
والاسلاميين حتى تأثر به فكان يطبع على غرامهم في كثير من  
اغراض الشعر لاسيما الملح والنثر ولذلك يكثر في قصائده ذكر  
التيث والوح والبرق والقرس والسهم والفلوز والارودة والعام  
والزور والوجو ذلك حتى يحيل الى قاري، شعره انه اعرابي عريق  
في اعرابه . وكان يجهل في وصف المحسوس منها اكثر من البصر  
مع انه لم يوشك ما يصنفه .

وكان ابو الطيب مغري بوصف الحروب وما يتصل بها  
وبأماكنها فتصدى ابو الملا، في شعره الى شيء من هذا لاجل بعض  
الصور مقارباً لما في كلام المتنبي لان صور الحروب كانت في ذلك  
العهد محدودة متقاربة فربما ظان ان ابى الملا، قد صاحبه فيه  
وهذا وهم لان كلا الشاعرين يجري في شعره على منساج القصور  
المتقدمين وان كان يختلف في تعميق التفكير ودقة التصوير  
وروعة الخيال وارسال المثل والحكمة والنوص على الماني الدقيقة .  
وهذا مثال ما تلاقى فيه المري والمتنبي من الاغراض واختلفا  
فيه اختلافاً جعلهما كأنهما لم يتلاقيا . وصف المتنبي الشبار الذي تروية  
سنايك الحبل فقال:

هدت سنايكها عليها حذيرا لو تبنتي حقا عليه لامكنا  
ووصفها ابو الملا، فقال:  
وينت حوافرها قتلاً ساملاً لود اعبياد هداك لم يندم  
باض القصور به وشيم حملاً حتى ترمع فيه فرخ القسم  
وما الى حوض النام ذاروه كدر جهنم - الشبار الاقم



فكلامهما وصف التباد ولكن إيا الطيب جعله كثيراً .  
تستطيع الخيل ان تمتد عليه ولكنه لم يتجاوز الارض الا قليلا .  
وابو العلاء شارك المتنبي في وصفه وزاد عليه في بقاءه حتى باضت  
فيه السمود وترعرت افراها وزاد عليه ارتفاعاً حتى خالط السحاب  
وكند ما به وليس على هذا مسحة التقليد وانما اشترك في الموصوف  
وفي بعض الصفات واختلفا في الالفاظ وجهات الوصف .

وقد وصف كل منهما الخيل بحمد السمع فقال المتنبي :

وتصب للجرس اخني سواك بمن ساجدة الضمير ناديا

وقال ابو العلاء :

كان اذني اعطت قلبه خيراً من الساء بما يلقى من التبر  
يس وطء الرزايا وهي نازلة فينب الجري نفس الحادث المكر  
فقد جعلها ابو الطيب تسمع ما يتاجي به الانسان فبيعه كما  
تسمع الاصوات العالية لفرط حسها وشدة سمها وهو معنى بديع  
وفيه مبالغة شديدة وابو العلاء رفعها عن الضمير وجعلها تسمع ما  
يحدث في الساء وتحس وطء المهابت حين تزولها ، وانها لشدة  
جريا تنجي صاحبها عما يقع من الساء . وكلا الشاعرين محمود مبدع  
ولكن بيتي المرمي اكثر طرافة واغرب . وقال في موضع آخر في  
جواد .

يس اذا الخيال دعا اليها فيسبح من تهدي الخيال

فقد جعله يس بالخيال وهو مبالغة لطيفة ووصف المتنبي الخيل  
بحمد البصر فقال :

وتنظر من سود صوافد في الدجى يرين بعيادات الشخوص كرامها

ووصف العربي المطايا بذلك فقال :

وكن برين نادر الزند فيه فلم يشرن إذ دوت الزناد

فقد جعلها تبصر النار وهي كائمة في الزند قبل ان يورى وهو  
اوجز تمظاً واشد مبالغة من قول المتنبي ولا يظهر أثر التقليد في شيء .  
بما ذكرنا وهذا سبيله في اكثر ما تلاقى فيه هو المتنبي . واذا  
كان الاشتراك في الفرض او الوصف يعد تقليداً فكل الشعراء  
مقلدون الا اولهم في الوجود . فابو العلاء شاعر غير مقدر والشاعر  
اذا لم يكن في آثانه واهل بيته شاعر قبله يقل له شاعر فاذا كان  
ابوه شاعراً فقط قيل له الثنيان . فان كان ابوه وجده شاعرين قيل  
له مرق فاذا عم الامر جميع اهل بيته او اكثرهم قيل لهم بيت شعر .  
وابو العلاء وابوه وجده وجد ابويه . واخوانه واولادهم  
واحفادهم كلهم شعراء . ولو سألنا التاريخ لوجدنا في اهل بيته  
مئات من الشعراء . فابو العلاء شاعر مرق ومن بيت شعر واذا

تصفينا تاريخ الشعراء منذ نشأة الشعر في العرب الى هذا اليوم ثمين  
لنا ان الشعراء اربعة شاعر قصر شعره على اغراض نفسه واهوائها  
فهو شاعر فردي ومن هذا النوع عمر بن ابي ربيعة من شعراء النزل  
وعمر بن القارظ من شعراء التصوف . ومن طبع على غرائبها  
وشاعر اضاف الى اغراض نفسه ما يتلق بقليله فهو شاعر قبلي  
او شاعر قبيلة كالابستين الذبياني والجلدي والاخلط وجري .  
ومن اتحدى على مثاهم .

وشاعر تجاوز ذلك الى ما يتلق بأتمه كالفرزدق فانه تصدى الى  
غير قبيلة والى اعمال الخلفاء . والولاة والمال ولكن لم يتعرض الى  
غير العرب فهو شاعر عامة . وشاعر تناول في شعره امته وامتاً مختلفة  
وبحث من عاداتها وعقائدها واخلاقها وسياستها ولبقصر شعره على  
ما جرت به عادة الشعراء بل تمدى ذلك حتى تناول ما في الطبيعة  
وما وراءها فهذا شاعر عالمي ولا اعلم احداً حتى بهذا القرب من ابي  
العلاء . بل لا اعرف من يشاركه في هذه الميزة فابو العلاء شاعر  
عالمي .

وكانت العرب لا تمد الشاعر فخلاً حتى يأتي بشيء من الحكمة  
في شعره . فها هو عدو النابغة فخلاً بقوله :

قلت كذا انا قاتل اعدائي ولا قرار على زائر الاسد

وعدوا الاعشى فخلاً بقوله :

قد كنت الشعر يسلالة اذا فاش والشيء حبالاً جمل

ولا اعلم ماذا بعد ابو العلاء . وفي شعره مئات من أبيات الحكمة  
الرائعة ولا اقل من ان يكون فضلاً فهو شاعر فعل .

وتصدي ابو تمام والمتنبي في شعرهما الى شيء من مسائل  
الحكمة وآراء الحكماء بما يشبه اقوال الحكماء عند التكلم في  
الاخلاق والمواضع فضلاً من الحكماء . وابو العلاء تناول في شعره  
انواع الفلسفة وان تفاوتت بقدار ما لم به من كل نوع وله آراء  
يؤيدها ونظرات يقوم الدليل عليها وسبيله في ذلك سبيل الحكم اذا  
حاول ان يقرر مذهباً او يؤيد رأياً وما في كلامه اضعاف مسا في  
كلام ابي تمام وابي الطيب مما فهو شاعر حكيم ، وحكيم  
شاعر .

ويظهر للسامع اذا انتم النظر في شعر ابي العلاء انه شارك  
الشعراء في جميع الاغراض التي نظروا فيها الشعر ( ما عدا الهجاء  
فاذا لم نجد له ايئناً مستقلة هجاءاً انساناً مبيتاً ) ، وانه زاد عليهم بما  
ادخله على الشعر من مسائل العلم والفلسفة ونقد العادات والاخلاق

والزاعم . وقد وقع شيء من هذا في كلام غيره الا انه قليل تظهر عليه مسحة التكلف .

اما ابو الللاء فقد استطاع بلباقته وحذقه ان يروض الشعر حتى اخضعه لقبول الحكمة والعلم واستبد من مائله ومصطلحاته معاني بلديعة وحكما رائحة وتشبيهات محكمة بأسلوب تهوي اليه افئدة الادباء . ويتجدر الى قرارات النخوس بسهولة فانظار الى قوله :

بت كالواو بين ياء وكسر لا يلام الرجال ان اسقطوني

وقوله :

وجردني للجنين او الثريا وتصغير المعسر لا يجوز

وقوله :

سنتهم تحطف الفناء ليست بجسل او كم على الترامني

وقوله :

واكرسني على عبي رجال كما بني الفريش على الزحاف

وقوله :

كأليت الفرد لا إبطاء بدوكم ولا سداد ولا في اللقط اقواء

وقوله :

لا تنيد علي لفظي غالي مثل غيري تكلمي بالمجاز

وقوله :

نظمت السن الحام وبالا يحاز بهذات وكثرت الاطليب

وقوله :

والحر يزي بالصنمية مثلاً فكان قلبها نكاح شدار

وقوله :

قرن حج حرة وقربنا غراماً فآه من قوار قوادن

وقوله :

هي الدنيا اذا طلبت اعانت وعالت والفرصة ذات حزل

وقوله :

وان سافرا من مذهي فهو غشية من الله لا طوقا ابت ولا جيرا

وقوله :

ان كان من فعل الكبار جيرا فعليه ظم على ما ينل

وقوله :

ما فخر ضرب اثنين ولم ازل بمعدنك الكسر يضرب في الكسر

وقوله :

ظارا كدائرة تحول بضها من بضها فجيها مكسوس

وقوله :

جرت الفضايا في الاتام وانجيت صدقا بأسوار ولا اسوار

وقوله :

والمرصص على الاكواب با جزاء الاقل وليس بالاعشار

وقوله :

وايسر كون نخذ كل عالم ولاندرك الاكوان جرد صلام

وقوله :

ومواك حدي كالنشا لانه حسن لدي ثديله وخفيه

فقد ذكر في هذه الايات شيئاً مما يتعلق بعلم الصرف والنحو والعروض والترواني والمطاني والبيان واللفظ والفرائض والترجييد والحساب والهندسة والمنطق والفلسفة والموسيقى ولا تكاد تجد علما معروفاً في عصره الا وفي كلامه شيء من الاشارة اليه . ولقد اختلف في نقد السياسة والاخلاق والمجتمع والعائدات ولعله اول من وضع قنابل مدرسة في قنابل يتهافت عليها الناس فتنبه النافل وتوقف النائم وتعلم الجاهل . فهو اول شاعر اثار الرعية على الرعاية ونهجمهم الي ان الامراء اجراء لهم فقال :

بل لتمام حكم اعشار امة امرت بنهر صلاحها امراؤها

ظلموا الرعية واستعدوا كيدها فسدوا صلاحها دم اجراءها

واول من نهى الالاء الى ان آياهم جنوا عليهم لانهم القوم في هذه الحياة الاولى من اول انشأتهم فقال :

على الولد يعني ووالد احم ولاة على اسرارهم عبا

واول من صرح بان بعض المذاهب لم تتخذ اسباباً للتعوب من الله بل :

اذا هذه المذاهب اسيا ب لجذب الدنيا الى الرضا

وامثال هذه القنابل المشيرة كثيرة في شعره لا يساعد هذا المقام على استيعابها وقد اتي من كل نوع منها بالعجب العجيب حتى كاد يكون ابا عذرتا ولا يغالي من يقول ان هذا النمط بديع بالي اللاء . وختم به .

فهو في هذه النواحي مجدد في الشعر وقد ملام زاوية منه كانت خالية .

ويتجصل من مجموع ما تقدم ان ابا العلاء شاعر عميد واسم الخيال مخترع متقدم على التصرف في المطاني غير معاد مرق من بيت شعر عالمي فعل حكيم مجدد جدير بكل ما في هذه النعمت من معنى .

سليم الجبري

دمشقي

# أمر حصن في فتيان القوافي

بقلم رفيف خوري

أذكر في الحكايات أن بدوياً قد وجماعة يرتجوان الرجز ، وقد أخذوا على أنفسهم أن لا يقول واحد منهم أكثر من شطر ، شرط أن يلتزم في آخر الشطر القافية التي بني عليها القصيد ، دون ما تكرير للفظه سبق بها . وبدأ بأدبهم فإذا به تضيق الدنيا عليه ، فلا يختار للقافية الا كلمة على حرف الثاء ، من الحروف كلها . فلما دار الدور الى صاحبنا الاعرابي كانت الدنيا قد ازدادت عليه ضيقاً وأوشكت أن تحرقه فلم يجد له متنفساً في ما بقي له على القافية الا اللفظة « ثلاث » فأنشد :  
ضطراً : وإمرائي طالفة ثلاث

ثم انفجر صائحاً وفي صوته مثل البكاء : ويحيى طلقت امرأتى بقافية . ومن يدري ، فربما كان الامر مؤامرة على الاعرابي لقطعه عن زوجته . ولكن الذي لا ريب فيه أن بين القافية والشاعر خصومة مبدئية هي المهرة المرح التي لا بد له من ترويضها وركوبها . وقد ينجح في هذا الترويض فتسلل له القياد ، وقد لا ينجح فتكون هي قائدة ، بل ربما انجر لها المخبرار ، ودفعته من اضطرابه اليها كما دفعت الاعرابي أن يطبق روحه الاسانة يتزوجها ويقم معها في بيت - بيت شعر ! وقليل من الشر . من يهدم بيته من اساسه ويستعني عنه وعن العيشة مع مثل هذه الزوجة الشرسة . وما اتصور ان شاعر - لا سيما عربياً - كان اندماً موقفاً في كل بيت من بيوتهم مع زوجاته القوافي . ولذلك جعل البصرا في فن القريض من صفات الشاعر ان القوافي تطيعه . فكأنهم جاوروا الشاعر زوجاً متعدد الزوجات يحترمه ولا تحدثن النفس بصيانه والاضطراب خوفاً البيوت عليهن ، فربما عاد منى في بيتها حديدة او طردهن وترك البيوت انقاضاً . ولذلك ايضاً استخف النقاد بالشاعر الذي قلقت عليه قوافيه ، فكأنهم اولوه منزلة أزواج الذي تركه زوجاته .

وبعد فإين نحن ؟ فالفروض اننا نتحدث عن أبي العلاء المرعي . بين يدي « رسالة الغفران » عدت اليها بعد مغارقة ليست باليسيرة ، ووقفت طويلاً كما وقفت المرة الاولى عند النمر بن ثوب المكي ، وبيتيه الشهيرين :  
ألم يصحني وممّ هجوع خيال طارد من أم حصن  
فأما تشتهي صلا صفى إذا شامت وحواري تسمن

فقد ذكر أبو العلاء ان الراوية خلفاً الاحمر - والظاهر انه كان رجل مشاكل - خطر له ان يوقع المسكين النمر بن ثوب في ورطة ، فتصور ان المرأة التي يتنزل بها ليست ام حصن بل ام حصص ، فإذا كان الشاعر يستطيع ان يطعمها مع العسل المصفى والحواري ( أي : الخبز ) ؟ ان ام حصن هذه لذات دلال لا تتسائل في ما يقدم لها وفي ما تتناول من طعام . والشاعر حين يسقط لها مائدة عليها العسل المصفى والخبز والسمن حفظ لنفسه منسجاً ، فوسع مجالاً لرضاها ، بدليل قوله : « إذا شامت » . فلو ان امها انقلب من ام حصن الى ام حصص فهل تنقلب اخلاقها ، فترضى بما يقدم لها الشاعر او بما تضطوره القافية الى تقديمه من طعام ؟ وأي امرأة انقلب اخلاقها بانقلاب اسمها ؟ فيما لها من مجاذبة ، بل غيرة عيفة ، انزلها خلف الاحمر بين زوجة النمر بن ثوب الاولى وزوجته الثانية ، القافية ! ثم يا أزواج المسكين النمر بن ثوب !

على ان خلف الاحمر زعم ان الورطة ليست بالقدة التي يستحيل فكها . فاقترح على الشاعر ان يتقدم الى ام حصن بعد ان تصير ام حصص ، بالعسل المصفى والخبز واللص ( أي : الفالودج ) ولكن لعل ام حصص لا تحب معديتها اللص ، واعلمنا تصيح بالنمر بن ثوب : انك مجبر على اطعامي اللص بأمر من زوجتك الثانية القافية . فوافقه لا ذقته ، فإذا طال الجدال وتأزم ، فربما تسمرت ام حصص على زوجها النمر فقذفت في وجهه قصعة الفالودج ، فلم يبق له الا ان يطلقها او يطلقن ضرتها القافية .

واحبابو الملا، ان لا يلق عند حد خلف الامر في هذا الميث القاسي بالنمر بن تولب وهذا الاحراج له في موقفه بين زوجته. فتصور ان زوجة النمر، الانسانه، انما هي ام جز، لا ام حصن ولا ام حصن. واقترح على الشعر ان يطعمها الكشك مع العسل والحبز. والكشك هو اللحم الذي شوي حتى يرس. فاذا ابت لميطعها النور، وهو اللحم المشوي الذي لم يغرق في شيه. فاذا رفضت فليطعمها النور. وهو في الحقيقة ليس طعاماً بل التأجيل في الموت، أي: العمر الطويل. فاذا اصرت على الرفض فليقل لها: النور. ايضاً اللبن الكثير الماء، فان احبت جئتكم بقصعة منه؛ فاذا مضت في عنادها فليقل لها: والنور. ايضاً الحمر. فاذا صاحت به: ويحك اوهل نلت احداً يأكل العسل والحبز بالحمر؛ فليجيب: حدثت حديث انه رأى ملك الروم يغمس خبزاً في حمر ويصيب منه فاذا اوغلت في عنادها فليطعمها الزر. من قولهم لرا اذا اكل لما يؤد. ولنا ندرى أي صنف من اصناف الاكل هذا. فاذا بلغت الماية في عنادها دأب الملا. يكسب عن الاقتراحات ويرك الشاعر المسكين بعالم مصيبتيه بين زوجته ام وز. والتافية.

ثم يكرر الكرة من جديد، فيبدأ بتغيير اسم الزوجة الى ام حرب، ويقترح اطعامها: الحرب او الارب او الكشب، مع العسل المصفى والحبز. والحرب هو اللبن الحامض، والارب هو العسل المقدد او المشوي، والكشب هو اكل الشواء. ويستمر ابو الملا في تحويل اسم الزوجة من أم كدا الى أم كذا، وهو ابتداء فانتع اعجب بحادن الاعاشه واعجب المطامع، اعني القاموس. فلا يمتأجل بل الشاعر هذا الصنف او ذاك من المأكول لضعفه بين يدي زوجته، الى جانب العسل المصفى والحبز. وكأنني بانى الملا، يتمثل في سره ويضعك من هذا الشاعر المسكين الذي تقدره احدى زوجته التافية، على ان لا يطعم زوجته الاخرى الا طعاماً مقررأ. وكأنني بانى الملا، ايضاً يتمثل في سره ويضحك من سقط زوجة الشاعر أم كذا، او أم كذا، لانها لا تستطيع ان تأكل الا حسب اعادة، وسواء أكانت هذه التافية امها او اسم صنف من الطعام فهي: أي: الزوجة الانسانية ضحية «وأمة ميثية الحبك دورتها ونفقتها الامعاء». فاذا كانت تدعى ام حرب، مثلاً، اتفق عليها الحرب والارب والكشب، اذ اعتنقت من اكل اللبن الحامض الحمر المشوي او المقدد، واذا اعتنقت من اكل العسل المشوي او المقدد، صدى لها اكل الشواء ايضاً، والا فهو النور امها من جديد. فلياكيد ولياكتفاء وما الزوج ان يدعى انسان - لا سي امرة مدابة - الى بيت - بيت شعر - وتجلس الى المائدة في ضيافة التافية المستبعدة، والتافية من تعشا وشبها بار دتها حديرة من يطعم ضيفاً كل شيء، حتى ذلك الذي لا يسمى في كلام مكتوب.

وما اشك لحظة في ان ابى الملا. لم يكن جاداً حين زعم عن عبثه ببيت النمر بن تولب العكلي انه «عرض في قول تام كخيال حارق في المنام». فاقدم احس ابو الملا. احساساً قوياً بذلك الكيد - بل القاذب - الذي يتعرض له الشاعر من زوجاته القوافي، فلا يرى له بداً من ان يطبق ويداري ويذعن ويثتل. وهذا هو في رأيي معنى عبثه ببيت النمر بن تولب العكلي. فمصحح انه اعجبه ان يلهو بجل يوقب النمر بن تولب. واقف حرة بين يدي زوجته على المائدة. وصحيح انه اعجبه ان يشاهد زوجة النمر في تقمطها على التافية، ويعرتها من هذه الضرة التي تساد بها وبزوجها. ولكنه مع ذلك اراد بالتبعية ان يابه القوافي الى مجامعها احياناً.

كان ابو الملا، فيما ارجح، يعرف قصة صاحبنا الاعرابي، الذي ذكرنا حديثه في مطلع هذا المقال، وكان يعلم كيف اضطر المسكين الى طلاق زوجته بقضاء من التافية. وكذلك كان ابو الملا. يشق على النمر بن تولب دغم لوه وعبثه به. ولم تكن لابي الملا، زوجة من الناس، فيمتشي وقوع الغيرة بينها وبين التافية. غير ان هذه كان «وغراً على القوافي قبل اراد ان يثار لصاحبنا الاعرابي، أم هل اراد ان يعرض فاننا على النمر بن تولب لما اخذ نفسه بلزوم ما لا يلزم؟

كأنني بأبي الملا. يقبض كفه ويهرم في الهواء، مهدداً التولبي: انك من زوجات عاديات. واتا ادري كيف اؤدبكن! سأحس الواحدة منكن في البيت حبساً شديداً، وسأكلفها لا شرعاً واحداً من شروط الزوجية، بل شرطين!

ربيف خوري



أهم ميزة يجب أن يجازها الشاعر  
هي الوقوف على بعض الحالات  
النفسية ومحاولة وصفها والتعبير

عنها . وقد استطاع كبار الشعراء أن يقدموا

للإنسانية أعنف الواطف التي تصادف كل نفس وتهز كل قلب  
وتدمر كل شعور . وقدموها لنا في صورة الفاظ وزونة تارة ،  
ومثورة تارة أخرى . وكثيراً ما يركن الناس على اختلاف  
طبقاتهم إلى عبارات شعرية ليستوضحوا شعوراً كان غامضاً لديهم ،  
أو ليتلذذوا بمشاهدة التعبير لهم في شعور كانوا يظنون أنهم انفردوا  
به . غير أن الشعر الحقيقي قد اختلط بالشعر المزيف ، إذ استطاع  
بعض الملتطفين على الشعر أن عاينوا وصف حالات نفسية لم يشعروا  
بها ، ولم يعرفوها قط ، وجأوا إلى استعمال اللفاظ التي استعملها  
كبار الشعراء ، الذين رجسوا إلى الشعور واضطهدت نفوسهم  
اصطدامات أحدثت ثورات نفسية نتجت عنها صيحات شعرية .  
وهكذا تكون لدينا وصف نفسي حقيقي ، ووصف نفسي

مزيف . وإن كان في استطاعة كل شخص  
أن يشعر بالحالات النفسية القوية والخفية ، غير  
أنه لا يستطيع تصويرها إلا الذين اجتهدوا في  
فرصة الرجوع إلى النفس وتبني نظراتها  
وقرجاتها التي هي شبيهة بالتصورات الدرسية

المنسجمة ، كما قد لاحظ ذلك أبو العلاء المري وغيره في قوله :  
وهواك هدي كالغناء لاله حسن لدي ثيلك وخفيته

لقد اشتهر أبو العلاء بالفلسفة والتفكير ، ولا أدري كيف  
يمكن الجمع بين الفلسفة والشعر اللهم إلا إذا اعتبرتهما كوسيلتين  
لوقوف على حقائق نفسية دقيقة تدركها الفلسفة ، معاني لطيفة ،  
ويراها الشعر عواطف دقيقة . وموضوع الفلسفة قوالب ثابتة ،  
وموضوع الشعر موجات متقلبة . وما خيل إلينا فاعلم عند أبي  
العلاء ، هو نفحات نفسية اوجتها انفصالات وقتية تتشابه تارة ،  
وتتعارض تارة أخرى ، وأشارة التي سارت سير الحكماء شعبة  
بروح عاطفية هي روح الحزن والتشاؤم فهي وليدة انفعال وشعور ،  
لا نتيجة تفكير وتأمل . واعتزاله الناس وتشغفه لم يكبراً شيبين  
بحالة الفلاسفة الرواقين ، وإنما كان نتيجة حالة نفسية تدل على  
الضعف والحرف من الحياة .

وبقدر ما كان المري بعيداً عن الفلسفة ، كان قريباً من الشعر

# الوصف النفسي عند أبي العلاء

فكنا أننا لا نجد عنده أية نزعة إيجابية ، وإن كل مظاهر عليه من  
ابتعاد عن الحياة لم يكن عن إرادة ، وإنما كان من ضعف في الإرادة ،  
فكذلك نجد المري يطلق لنفسه العنان في الانتقال من عاطفة إلى  
أخرى ، وقد نجد في القصيدة الواحدة يصف حسنتين نفسيتين  
فأكثر . كما نلاحظ ذلك في قصيدته :

طرب لنمو البارق التلالي يبداد وعنا ما لن ومالي

ففي هذه القصيدة لا نجد المري يتجلى لنا كشاعر فحسب ،  
بل أننا نجد في هذه القصيدة مثلاً عالياً للشعر الكامل الذي يصف  
بشكل إخلاص وبشكل دقة تطور الحالات النفسية وتقلباتها ، فهو  
يتشبه بكل أمانة وكل ساذجة دون أن يدخل فيها أي تنظيم  
أو توجيه . قال هذه القصيدة وهو راجع من بغداد إلى وطنه بعد

مرات شعر فيه بالحزن إلى الوطن . يذكر أنه  
ظهر في برق الانقي ، فكان ذلك محرراً لنفسه  
المكادنة ، كما أحدث البرق اضطراباً عند  
الأبل ، وكان ذلك كافياً لبث الشاعر على  
الدخول إلى نفسه ومراقبة شاعره وإحساساته ،

وتدال ما هن ( للابل ) ومالي . وذهب يؤول ما يرا ، في الأبل  
من حر كات يجعلها ترمي إلى الغاية التي كانت تشغل ذهنه كما يؤول  
النائم الأصوات والمنبهات الخارجية تأويلاً يشغل باله ، بل أنه  
يرى أن الأبل التي صارت تسرع في سيرها خوفاً من البرق إنما تريد  
أن تطير لتصل في أقرب وقت إلى وطنها . ونزعة الفرح والشعور  
براحة الرجوع ، وقرب الوصول ، كل ذلك جعله يفكر في تهديد  
هذه الأبل رغم أنها تقوم بعمل يرتاح له وهو سرعة السير للوصول  
إلى الوطن فيقول :

وكم نضو أن يلزم مع العبا إلى الشام فلاحسه بقلال  
ولولا حفاظي قلت للسر صاحبي بيفك قيديها فلت ابالي

نجد في هذين البيتين يصف حالة نفسية خفية نشعر بها عندما  
نكون في حالة السرور ، وحالة التمتع بشيء نختص به أن نحسد عليه  
فلا زبد أن نظهر ذلك السرور . ولهذا يبتل الإنسان غالباً إلى أن  
يخلص السرور المطلق بشيء من الألم ، فكثيراً ما تتلذذ الأم بتداعية

بقلم أبو حسن السنجي

ابنها عن طريق اغضابه ، كما ان الحب قد يلجأ الى اثاره غير  
حبيه شاعراً بلذته من تضايقه . وفي الحال تغمر الشاعر عاطفة اخرى  
هي عاطفة الشفقة على الحيوان ، ويسترب كيف جاءت هذه الفكرة  
التربوية ، فكرة ضرب هذه الابل التي تنقله الى وطنه :

أبني لها شرا ولم اد شئها      سائر ليل او سنان كل

ويطيل التأمل في حال هذه الابل التي ينسب اليها شعوره  
وعواطفه ، اذ يستوحيا عطفه وحنينه ، شوقه وغرامه :

وان دخلت عما ابن مدروها      فقد الهبت وجداً نوس رجال

ولا يمكنه ان يقول اكثر من هذا في الشعور الغريب الذي  
يعمرنا دائماً في حالة انفعال شديد سواء كان انفعال خوف او انفعال  
شوق وحب فانهما نشر بضيق في النفس ، وكان الصدر يكون  
محتوياً على لمب ييل الى الخروج ، ولا يمكن الصبر معه :

نورن زودا في الخبز متلا      مله فيه الصبر غير حلال

ويستمر طويلاً في وصف شوقه وألم فراق الوطن ، ورجع  
بتذكيره الى خروجه من وطنه معللاً ذلك بأن الاقدار هي التي  
سأته الى بغداد مبرراً عمله دفعاً للندم :

فيا رب ليس الكرخ داري دانا      دانا ايها النهر بعد ليل

غير انه لم يفلح في محاولته طرد الشعور بالندم ، اذ إنه يجد  
حالات شعورية جديدة مرت عليه يصح :

ندمت على ارض العواصم بهذا      عدوت بما في السوم غير مثال

وهذه اصدق صورة لنفسية شاعر يساير شعوره واحساسه ،  
ويظهر في ذلك موقفه سلبياً محضاً لا فاعلية فيه ، بل كله انفعال  
ومجد ذلك يتجلى في انتقاله من حالة الشوق القوي نحو الوطن  
المتمثل في قوله :

فيل فيك من ماء المرة قطرة      تبت بما طمان ليس بسال  
دعا رجب جيش الغرام فأقبلت      دعال تروذ المم بعد دعال  
يترن علي الليل اذ كل غارة      يكون لها عدد الصباح توال

نجدته ينتقل الى حالة عاطفية اخرى مثاليه تماماً الاولى ، فان  
رؤية تحيل اللال ترتبط في ذهنه بجنى الجبل والمرأة ، ويقول في  
هذا :

لذكركي بدد السواة بادا      شفا لاج من بدر السواة بال  
وقد دبت خمس لها حنية      بادامنا في الازم شوك سيال

واستمر في وصف عواطف حبيه نحوه ، وقد يجيل للقاري  
انه لا توجد صلة معقولة بين موضوع العاطفة الوطنية وعاطفة الشوق

الترامية واطبقته انه توجد هناك علاقة نفسية اذا تأملنا حالة الشعور  
بالقربة والافتراق ، فانه يرى من المتوكل ان يشعر الشخص في مثل  
هذه الظروف بحاجة ماسة الى المرأة وعطفها . وزواه يصور لنا  
حبيه حزناً باكياً على فراقه ، وزواه هنا يجد من انبل شعور عرفته  
الانسانية وهو الاحتراز لعلطف المرأة على الرجل ، ومشاركته له في  
الشعور بالحزن او بالنوح فلم يذكر اي صفة جسمية لحبيه ، ولذا  
صوره باكياً :

فان صلحت للناظرين دموعنا      فانت منا والكثير حواني  
جبالن ان الزوايا الذوب عدنا      دغيس وان الجامدات غواني

وبينا هو يتكلم عن عاطفته الترامية ، زواه ينتقل الى عاطفة  
اخرى هي الشعور بالثرة والكرامة ، وليس هناك اية علاقة  
منطقية تبين تسلسل التفكير ، وان كانت هناك علاقة  
سيكولوجية ، فالتسلسل قائم على الصلة التي تربط الحب بالشعور  
بالقوة والرجولة . ان لغة الحب لا تتم لرجل ، ألم يرف نفسه مدافعاً  
عن المرأة ، فادار على حبيبها في الحس والمعن . وهذه العلاقة هي  
التي جعلته بدون شعور ينتقل فجأة من موضوع الحب الى الغضب  
والهجمة :

أأعولها بن الفركت وجن      يد الله لا غيركم بحال  
أزواجكم كحل ليل الهد سام      ووجهي لا يندل بسوال

ويزد في الهجمة ، وقد عرف بهذا في قصيدة مشهورة ،  
ويتهيأ بآيات قوية يظهر فيها عزه وحماسته .

أروح فلا أعش الناي وأناقي      تدنس عرض او ذم فعال  
اذا ما حبال من خليل نصرت      خلعت بخل غيره بحال  
ولو اتني في هالة البدر قاعد      لا حاب يوم رقتي وجلال

وبهذا تم الدورة النفسية التي انشاها يرق فظهرت عواطف  
متضاربة كانت كاملة وظهرت بصورة طيمنية لا تكلف فيها .  
واذا استثنينا آيات الهجمة ، والبيت الذي يقول فيه ( فهل فيك  
من ماء المرة قطرة ... ) نلاحظ ان الاسلوب فيه شيء من  
التشديد ، وفي اللغة شيء من التفتؤ وهذا دليل آخر على سلبية  
الشاعر الذي لم يحاول ان يبحث او يناقش ، فاني ارى في هذه  
القصيدة صورة صادقة للشاعر الحمي كمرأة للنفس البشرية تنعكس  
عليها كل حركاتها الطبيعية ومختلف الموجات الانفعالية ...

الجزائر

ابومریمه الناصبي

لناسيه في الفلسفة من جاحة فواد الاول

# بين يدي أبي العلّاء

بنم واصف البارودي

ماتش عام التعلّم الثانوي بوزارة التربية الوطنية اللبنانية



فضيحة غير مصافاة» جعلت نفسي في حياتي رهين المحبين ، بل ورهين الخائب الثلاثة :

لفقدي ظاهري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الحيث

ولم يبق في ذلك كله من الظلم والاذى ا

عذري من الدنيا عرتي طلبها فتسبني قولي لتأخذ قولي

وقد أخذت قوتي حبيها ، وكانت ضجعة الموت التي استراح

جسمي فيها ، وانطلقت روحي في الأفاق ، فقلت : عسى تسريح

هذه الروح استراحة ذلك الجسم المضى . . . فما بالي « كلما رغبت

في الجول ، قدر لي غير المأل » وها أنا أشعر وكأن الدنيا قد

أقيست على الاستمرار في ابديتي ، وبعد أن انتقلت الى الدار

الآخرة ، وما انتفض ، الب عام على جناية أبي علي . فما معنى هذه

المهرجانات التي تقام سكري ، اذا كنتم في القرن الشرير تنظرون

الى بالعين التي كان يرمقني يا ابننا عصري وخاصة الاشخاص

والحاسدون ؟ فكأنني بهذه الدنيا تنعم علي ابتغاني لذلك الجسد الحثيث

في احضانها . بل وكأنني بها على ما يتراءى لي ، تريد ان لا تعترف

بانصالي عن سلطنتها . فهي ترى اننا لا نزال حاجبة الحق في ظلي

مادامت تحتفظ بالحيلة الحثيثة ، وحيداً لحرقة وذورها في الهواء . .

انها تقري ابنائها في وبدي وظلمي ، ومنهم من يستكين

دون ان يعلم ان باستكائته هذه يهبها ذاتيته وكرامته لتصرف

بها لتصرف كل خادعة مأكرة . ولا تستولي الدنيا على احد الا

بطريق التقليد الاعمي . فذلك تجد هؤلاء . يقدرون من سبقهم وليس

لذاتيتهم اثر ما في تفكيرهم وفي تصرفاتهم .

رما في اهل الحسد بالزندقة ، فما بال هؤلاء يتبعونهم وهم

يشخون بانوفهم مدعين الاصلاح في التفكير والاستقلال في الرأي ؟

حاول اعرابي قوم فاجابهم الا باعران

بحرشوي بسلايهم فهدروا نية اخواني

لو استطاعوا لوشوا لي الى الريح في الشب او كيبوا

احترار ، فخير العالم في حيرته . . . وهذا ادوع  
مظهر العبقرية الخالدة في الاجرا تلك العبقرية  
التي تقرض نفسها على الاحيا . فرضاً ، لا يتجلى  
في الطقوس والشكليات وحسب ، بل وفي تنقل آكارها الى طبقات  
الغلوب وتلافيف الادمغة وفي استيطانها اعماق الائندة ، حيث  
تعمل على توجيه الحياة وتكيفها .

أكان علماً لم فيلسوفاً ؟ ادبياً لم حكياً ؟ أم هؤلاء جيداً . . .

أكان ذا قلب كبير يفيض رحمة وحنان على الانسانية ، أم كان

ذلك القلب برحماً ينفذ حم الغض والحقة . أم كان ذا عينين . . .

هل آمن المري ايئاناً صادقاً ، أم المصروفين زنديقاً . . .

و . . . وصلت في هواجسي الى الحد الذي يلا . . . وردتني حتى

رأيتني أخجل عن نفسي لاجديني في المرة . . . اسم ضريح حكيمها .

وما تأملت الضريح برهة قصيرة حتى قتل امامي شيخ مهيب الطلعة

ينظر الي نظرات تدل على الألم والحزن . فارتعت مستوحاً تلك

النظرة الحادة تلبث عن معين ، يسراها غائرة كأنها حفرة ويمتصها

فأنته قد اختلط سوادها بياضاً وتلون في بعض نواحيها بالدم

فدعت يدي لاسك الشيخ مستغيثاً ، فأذا بها تنزع على لا شيء . .

واذا في ادرك انني امام شيخ الزوج . ولم يهدأ روعي الا عندما

صمت صريراً أجش حلو التبرأت بنشد :

عريت بسلمي امة وحيد خالفتها غربت

وعدت لي ما استعنت ومن برته برت

وفرقي للمبال حاسدة علي وما قريت

ثم يقول : ألا ترون تفرون بذي ؟ « (١) » ولو اني لا أشعر

بما يقال في ، لا وحت من انكاري وتلافني . وكنت كالوش ،

سواء عليه أن وفر من الوقاء ، وان اوفر من الاوقار . . . وكيف

اعتبط اذا تحرق علي ، وعزيت العرفة الي ، ولست أنا في العاقبة

(١) الكلام الموضع بين الاقواس هو من رسالة الغفران

فلا تكن ، يا بني ، من هؤلاء ، بل احترم نفسك ، واتبع ما يرشدك اليه عقلك فهو خير مشير والظن كاذب خادع .  
كذب اللحن ، لا امام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء .  
فاذا ما احسنت جلب الرحمة عند السير والاراء .  
فوالله ، يا بني ، لم اكن زنديقاً ولما هم :

تسروا بامور في ديانتهم ولما دينهم دين الزناديق  
نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل اولى باكرام وتصديق

«واني المكذوب عليه كما كذبت العرب على القول ، واني  
ما يؤثر لي شئول واذا نعمت الدنيا علي واغرث في بعض ابنائها  
فلأنني رايت حقيقتها بعين بصيرتي وكشفها للناس . فلما تنتقم  
بعد ان فضحتها واظهرت كرامتها ؟ ورايه ذوبها واهل الحظوة  
فيها . » واذا رجع الى الحلائق فطلق اللسان لا يني . من اعتماد  
الانسان لان العالم مجهول على الكذب والنفاق ، ويشتمل ان  
يظهر الرجل بالقول تديناً ، وانما يعمل ذلك تريباً . يريد ان يصل به  
الى ثناء او غرض من اغراض الخالصة ام الفناء ولله قد ذهب جماعة  
هم في الظاهر متبعون وفي باطن ملعونون . . . »

وكيف يراد مني السكوت ههنا ارى تظاهراً ببعض  
الطعوس التبعية يظلم جاره ، فلا اقول :

توهمت ، يا مغرور ، انك دين علي يبيت افعى حيا للذي حين  
تسير الى البيت اهرام تنسكا . ونسكوك اجار كرتي وعدلين  
وصدقي يا بني انه :

اذا دام كيداً بالصلاة عيسيا فادركها عند الله اله الرب  
فقلت صدقت يا سيدي ، فمتن لا نأخذ عليك اتواك هذه  
التي اصبت بها وبها مالها كبد الحقيقة ، على الرغم مما فيها من السخرة  
الكثيرة ، ولكننا نأخذ عليك نذك الاديان وسخرتلك منها .

فاحترم الشيخ غيظاً وقال : انا الذي نذ الاديان اتم الذين :  
يذم الاديان من غفلكم وليس من الحكمة ان تنبذ  
لا قاذي للسر الحظم ولا الجبر ولا القس ولا الوباء  
فقلت : اولست القائل يا مولاي :

في السلاطنة فتنة	ما بين احد والمسيح
قس يبالغ دينه	والشيخ من حق يصيح
كل يترز دينه	يا ليت شرعي بالصحيح

فاجاب : نعم ، واذاً تريد بذلك ؟

فقلت : ألم تسخر هنا بالمسيحية وبالاسلام وتشك بحقيقتها ،  
وخاصة عندما قلت : يا ليت شرعي ما الصحيح ؟

وهنا اهتم الشيخ مستخرباً وقال : أهكذا تجهلون اقوالي ؟  
ايس لاستغماي هذا ، ولا لسخرتي هنا اية علاقة مع الدين وحالاته  
والنا قصدي من يدعون تعزيده . أم يريدون تعزيدهم حقاً ؟

يعلمون ، ام هم يفتنون الفتنة ؟ فانا اشك هنا بنيات القوم لا بالدين ،  
واسخر منهم ، وحاشا ان اسخر بحقائق الدين وانا القائل :

امسا الجياد قارمه وتوقه واستخفريك من جوار المعبد  
ليس الذي جدد للملك وقد بدت آياته باخ لمن لم يحدد  
وارى التوحد في حياتك نعمة فان استطعت بلوغه ودرج

وهنا قلت : فاذا امكن ان نفسر هذه الابيات على هذا  
الوجه ، فكيف نفسر قول مولاي :

هنت الحينة والنصاري ما اعتدت وجود حارت والنجوس مضلة  
اثنان اهل الارض : ذو عقل بلا دين او أكثر دين ، لا عقل له

فاجاب : لا بد لتفسير هذين البيتين من ان اذكر لك ابيها :  
ان هملت الواهمك فطوبكم وتوسمك دون الملقوق مهلة  
لا تأمنوا برق الغمام فانما تلك السيوف من الفناء مسلة  
قال افكار في الموادث صادق جبل الصواب من الحذار مسلة  
هنت الحينة والنصاري ما اعتدت وجود حارت والنجوس مضلة  
اثنان اهل الارض : ذو عقل بلا دين ، وأكثر دين ، لا عقل له

فانت ترى انني اسخر في مطلع الابيات بين عقل له ولم يجشع  
قالبه . ثم تأمل عنده اقول : « قال فكنا في الموادث صادق » ،

فانا اصور اذن امرأ واقفاً اتلسمه واشعر به ، ولا اعرض لحقائق  
الاديان ونشأها السلب . بل انا ادافع عن هذه اذ اقول : « هنت

الحقيقة » والحقيقة هي دين التوحيد الذي كان عليه ابراهيم وموسى  
وعيسى ومحمد والارباب . وهو الدين المستقيم . وهذا الطائر اذا

خفق بجناحيه وحلار . فكأنني اقول : طارت حقائق الدين وشبه  
البيان من القلوب ، وبقى منها القناط ترددها الافواه عند المسلمين  
والنصارى واليهود والنجوس . فاصبح الدين بذلك تقليداً يذقه  
الجاهل التي ويتبرأ منه العاقل الفطن .

وهذا تصوير للواقع . وهل يقل ان اسفل هذه الظاهرة  
الاجتماعية كحقيقة ازيله لازمة لاشر ، وقد كنت من المجددين  
للشائقي ، جل اسمه ، ومن المتعبدين صرماً وصلابة ونسكاً . وهنا  
توقف الاستاذ ثم قال : يكتيك الآن يا صمت ، وادرج ان يسبح  
بوجد آخر فاجلي لك كثيراً من الحقائق . وحين ان تعلم انني لا  
ابري نفسي من الخطأ والخفوات ، فليست بصوم ، « الا ان التوبة  
كانها . صلب اصيل ، رفع لسالك السبيل . » والله هو التواب الرحيم .

وما انهي الشيخ حديثه حتى شرعت اني اعود لنفسي وان ارد قوله :  
اذكر انك ان هيت من الفكري واذا همت بجمعة ورفاد  
احذر بيمتك في المياء برفاه فله وبك عند التصاد  
تفتي جهنم دمة من تائب فتوبخ وهي شديدة الايقاد

وصف البارودي



كره المري الحياة منذ نعومة اظفاره ، عندما عرف مبلغ الكارثة التي حلت به في طفولته ، فأودت بياصريه ، وحرمته التمتع بجمل الوجود وقتة الحياة . ولكن ابا العلا حاول بالرغم من ذلك ، ان يرفقه عن نفسه ، وان يسكب على روحه وقلبه برد الطمانينة والسرور ، وان يعطو نفسه جهد المستطاع ، بمالم البهجة والفرح ، وان يسير في الحياة سيراً طبيعياً ، غير عاني . بالنقص الذي يحول بينه وبين الحياة العادية السكينة . وقد روى انه تحقياً لهذه الرغبة طلب العلم في سن الصبا



من بقداد صغر الينين من المال ، وعرف مبلغ مصابه بألمه ، وانه فارق بقداد التي استأثرت بقلبه ووجهه ، كي يودعها وهي في اواخر ايامها فكان ان خسر بقداد واقتد الام . لما احس بذلك كله تغلبت عليه غريزته الوحشية . وكانت حماسة الشباب قد فطرت في صدره ، والرغبة في التغلب على احداث الزمن قد اضمحلت في نفسه ، فاستسلم الى نزعة الجليدية الملحة في العزلة وكراهية الحياة والبشر .

واغلب الفن ان ثمة عوامل نفسية دفعت ابا العلا ، في طريق الاغراق بالتشاؤم وكره

الحياة . واول هذه العوامل ان ابا العلا كان حائراً متشككاً فقد لزمته الحياة في اكثر آرائه ، وربما في اعماله ايضاً . حمل على الديانات ونقد الانبياء . فذبح الديانات والتي على الانبياء . أطيب الثناء . وانكرو البعث ، ولكنه ، تعرف بوجوده ايضاً . ودعا الى محاربة البعث ، واحياناً يقول انه لم يعرض عنها الا عجزاً .

فهل نستطيع ان نجد تليلاً لهذه الآراء المتناقضة في الانبياء ، والديانات والمذاهب الخلقى سوى الحياة والشك ؟ يقول علماء النفس : ان الحياة والقلق في حياة

الانسان مدعاة للتشاؤم والامل . واغلب الفن ان الامر عند ابي العلا ، كذلك . وقد كان امر

البعث من اكثر الامور التي شغلت عقل ابي العلا . فهو لم يكن يدرى

هل بعد الموت نشور ، ام ان من مات مات ؟ ولكم غنى ان يبعث ميت من لحده لينتشر الاجياع . يا بعد الموت . وقد اكثر ابو العلا من ذكر البعث والتكهن عن حقيقته . وأحسب انه كان من اجله يقضي الامامي والاصباح في حياة ما بعدها حياة ، وعقاب ما بعده عذاب ، وقلق ما بعده قلق .

لنتصور ابا العلا ، وما يضطرب في نفسه من القلق والمذاب حين يقطع برأى ثم يعدل عنه الى غيره . لنتصور مثلاً حين يقول :

ايغرا ، ايغرا يا غيرة فانة دياتكم مكر من القدماء

ويقول :

ولا تحب ، قال الرب حناً ولكن قول زور سخروه  
وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالمحال فكسروه

واول الشباب ، ورحل من اجل ذلك الى حلب وانطاكية واللاذقية . ثم انه فجع بألمه وهو ما يزال في الرابعة عشرة ولكن فجيته بألمه - على فداحيته - لم تحل بينه وبين متابعة دروسه وحياته العادية التي عاشها . ويروي المترجمون لابي العلا ، انه - في ردها الى الشام واطلع على ما فيها من دور علم ومكتبات ، وعاد الى المرة وعاشر الناس كسابق عهده . ثم انه شد الرحال الى بقداد واقام فيها عاماً ونصف عام ، وحتى ان يقضي . في عرفة فيها ولكنه فوجئ ، ذات يوم ببن مروع اهتز له كيانه ، وارغفه على العودة الى مسقط رأسه دون مهل ولا ابطاء . ولما كان في الطريق علم بان امه التي ترك بقداد لرؤيتها وهي مريضة ، انتقلت الى دنيا الخلود .

فازداد كرهه للناس ، وشئت نفسه الحياة ، واجتوت صاحبة البشر . فوجه الى اهل الامة قبيل وصوله اليها ، رسالة بينهم فيها با عزم عليه من لزوم بيته ورغبته باغزال الناس . وكانت رسالته ثم عزله بهد المرحلة الثانية من تشاؤمه ونقصته على البشر وسرو ظنه بهم .

وقد رأينا في المرحلة الاولى ما عاينه ابو العلا . في التغلب على نوازل الدهر واحداث الزمان . فقد صبر على حماء صبراً جليلاً ، وقاوم طبيعته التي جعلت منه مخلوقاً « انسي الولادة وحشي العريضة »

- كما يقول عن نفسه - مدة ثلاثين عاماً ، واحتمل مصابه بألمه بنفس مطمئنة وصبر عجيب . وصبر عدا ذلك على فقره . ولما عاد

## تساؤم ابي العبد

يقدم عبد الغني العطرى

ولكنه لا يلبث ان يندم على ما قال : ويتدح الاسلام  
والانبياء ، ويأس بالصلاة والصيام وذكر الله :

اربع ربك في عارك واسجد وتس أعت عجباً فتجد

وانظر اليه كيف يبالغ في الندامة ، ويطلب الجاحد مبرئاً  
نفسه من الجحود :

إذا كنت من فرط السناه سطلا فبي جاحد أشد أنتي غير جاحد

هكذا تلازم الحيرة ابا الملا . وهكذا يتردد بين الاخلاق  
والايمان ، وشتم الانبياء ، والرسول والصفات وبين مدحها ، وانكار  
البعث والاعتراف به .

يقول « اميل فاكه » : ان الشك من مظاهر التشاؤم ، بينما  
الطائفة واليقين من دواعي التفاؤل . وهو رأي ينطبق على ابي  
الملا . أشد الانطباق . وينطبق عدا ذلك على الكتلة من المفكرين  
والعلماء . ولكننا زى في احوال قليلة ان الشك يدفع بصاحبه الى  
السخرية والغزل ، كما هو الحال عند اناطول فرانس . على ان الفرق  
بين شك ابي الملا ، وشك فرانس نظرة الاول الى الحياة نظرة جدية  
عريقة ، ونظرة فرانس اليها على نقض ذلك .

وعامل آخر له اثره في تشاؤم ابي الملا ، هو المرأة . فقد  
انفق ابو الملا الثمانين من عمره كلها ، دون ان يرقى قلبه فيها  
لموعد غرام . والبعد عن المرأة وحده ، يكفي ليلسكب التشاؤم  
والكآبة في قلب الرجل ذني الرجولة الكاملة .

فإذا أضفنا الى هذين العاملين من عوامل تشاؤمه غريزة التي  
اعترف بوحيثيتها ، هذه الغريزة التي دفعت به الى الغزلة ، بعد ان  
جهد في مقاومتها ثلاثين عاماً ، وأدركنا . بلغ حزنه على امه ،  
وقهره ، وفشله في بغداد ، وقدة باصريته ، وشوهره بالنقص والمذلة  
والانكسار ، وإذا نظرنا في هذه العوامل جميعاً ، وأمعنا فيها  
التصور والنظر ، أدركنا ان ابا الملا . لم يكن مسرفاً في كل ما  
صدر عنه ، من تشاؤم وسو- ظن بالبشر .

زعم الكثيرون من دارسي ابي الملا . ان السبب في تشاؤمه  
هو عماء . ولست من الذين يأخذون بهذا الرأي اذاني لا أرى ان  
يقتد البصر وحده مذعة للتشاؤم واليأس من الحياة . ولا ريب ان  
قد البصر بلا عظيم ، بل لعله اعظم بلا . يحزن بالانسان . ولكني  
مؤمن بأن البلا . يثقف وقته وآثره في النفس مع الزمن . فما بالك  
بالنسان لم يتدق النعمة كي يفتدحها ؟ وأنا أقول ، وأنتي مما أقول ، ان  
لحمة ابي الملا . في امه اشد وقماً وتأثيراً في نفسه من فجيعة بصره ،

لانه لم يتدق نعمة البصر ، ولم يند على التمتع بحال الوجود ،  
ولما نشأ وانفق عمره على تربية واحدة . أما فجيعة بأمه فكانت  
أشد وقماً عليه . من فقد بصره . وإذا ذكرنا اسراره في العودة من  
بغداد ليتود برؤياها قبل ان تموت ، وإذا قرأنا رثاءه لما بتصيدتين  
من حر شعره ، وإذا قرأنا قوله فيها : « وحزني لفتدحها كنعم  
أهل الجنة كلما نفد جدد » . إذا فطنا ذلك كله لم نرب بأن جميعه  
ابي الملا . بأمه كانت أعظم من فجيعة بصره .

ومن الجدير بالملاحظة ان فقد البصر ليس دوماً سبباً للتشاؤم ،  
ونحن زى في الزمن التابز كثيرين من العميان ، ومع ذلك كانوا  
يحيون حياة عادية مفرقة بالمباهج واللذات والافراح . ودلينا على  
ذلك بشار بن برد في الزمن القديم ، وببوع لوس وطه حسين في  
العصر الحاضر ، وكلمهم عيان عاشوا ، في سرور ولذة واطمئنان .  
وربما كان من الطرافة بكان الإشارة الى ان ابا الملا . كان  
يستلج الى تشاؤمه ، ويجد في هذا الاستسلام لذة ومثمة . واست  
الباغ اذا قلت انه كان يهد دوماً لتفذية تشاؤمه بأساليب شتى .  
أنظر قوله :

أبني في الآخرة من سحري فلا تسأل من الجبر التبعث  
مفاتيح الصلوة والروم ليني . وكون النفس في الجهم الحيث

تأمل الحسن الثالث الذي يدعيه ابو الملا ، وامن النظر في  
عجز البيت الثاني ، وفي احتقار ابي الملا . لجسم الانسان . الست  
تعرف بعد هذا بأنه يتكلف التشاؤم ، ويحاول تفذية هذا التشاؤم  
وإيجاد مادة صالحة او غير صالحة له ؟ .

وبعد . . . فقد كان من نتيجة هذا التشاؤم ان أسودت الدنيا  
في عين ابي الملا ، فيهاها وافقن في هجائها امتدناً عجباً ، حتى قيل  
ان ابا الملا . لم يعرف بمجدة كعارف في ذم الدنيا . وقد دعا  
مراراً وتكراراً الى تعطيل الحياة وقطع النسل ومخاربة الزواج .  
ثم اخذ ينظر الى الحياة والبشر نظرة هدامة ، فرأى ان الانسان  
شرير مفرق في الشر ، وانه لا أمل في صلاحه واستصلاه بذور الشر  
والاذى منه . تلك البذور التي توارثها جيلاً بعد جيل . ولم يدع  
ابو الملا . فرصة تعرض الا واعتنيتها وذكر . مساوى . البشر ولزم  
الانسان وغدوه . ولا يستتي احداً في ذلك ، بل يرى نفسه في  
طليعة البشر لزماً :

كلاب تتوارث او تتوارث لجنة . وأحسني أصبحت الا بها كلبا

وغنى لو كان آدم طلق زوجته او حرما على نفسه كيلا يكون على الارض انسان :

بأيت آدم كان طلق امهم او كان حرما عليه فبار

تغنى ابو العلاء ذلك . . . ولكن ما فائدة التني ؟ وهل تنفي الحسرة مما فات ؟ أغلب الظن ان أبا العلاء فكر في ذلك - بعد ان ايقن ان آدم لم يطلق عرسه ، وان الله رزقه منها اولاداً كثيرين من ذكور واثاث فزوج الاخ من اخته حتى كثر البشر ، وصار النسل كله فاجراً - فرأى ان الفساد متأصل في الانسان ، وان لا أمل ولا رجاء ، في صلاحه ، وكيف يصلح وقد سن ابو البشر الشر لبنته وبنيه ، ووضعوا ابن الاثم والعدو والاذى منذ ابعد الاجيال والصور ؟ :

لم يجد الله عذيباً لمن لا يدين فلا تروم للادواء عذيباً

وبلغ من سوء غلب الي العلاء . بالبشر انه لم يعد يؤمن بوجود الرجل الصالح الجيد :

قلوا فلان جيد لصديقه لا تكذبوا ما في البرية جيد

وكيف يؤمن بوجود الرجل الصالح فيها وهي في رأيه :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على بابها واجناسها

وكل حي بها ظالم ولا يحب ان ينظر في نفسه

وصار الحكم والولاية والامراء شياطين مسيطرة ، وصار في كل مصر من المصار «الوالين شيطان» ، فل ابو العلاء المتأم في امة «امرت بغير صلاحها امرأها» واصبح يوقب عليه الاكابر ، يوم رحل عن هذه الدنيا المنيئة بالشرور والآثام :

اذا صام طول الحياة وانما نظري الحام ، وبومذاك اعيد

ويشتد ابو العلاء في تشاؤمه من الحياة وكرهه لها ، وازدراءه ايها ، فما يستطعم بعد ان يرى هذه الدنيا ، وما يطيق ان يحتفل اذا غدر ساكنيها . فيصبح للناس ان يحتقروا الحياة وان يستجبروا لنصحه ، ويتغنى - ويا حبة ما تغنى ! - ان يعطل البشر هذه الحياة . ولكن كيف يعطلون الحياة ، وما الوسيلة الى ذلك ؟ هنا يعطل ابو العلاء ، ويتغنى ان يكف الناس عن الزواج . ولكن امن السهل ان يستجيب الناس الى هذه الدعوة ، والمرأة بهجة الحياة وزينتها ؟ هنا يقف ابو العلاء حائراً من جديد ، لا يدري اي سبيل يسلك للايقاع بين الرجل والمرأة . ففرا يقف في الكشف عن عيوب المرأة ، والحق كل نقیصة فيها ، كي يجنّبها الرجل ، ويكف عن التشكيد بها ، لانها لا تحفظ عهداً ، ولا تعرف شرفاً

ولا عنة الا فيا ندر والتادر لا حكم له . انظر اليه هنا كيف يصور رغبات المرأة وخاتمة قيمتها وجدواها في المجتمع . وانظر اليه كيف يصف احلام المرأة وامانيها في الحياة ، وانها لا تلب الا بما يشبع نفسها . . . وانظر اليه عدا ذلك ، كيف يتسول عليها قسوة جاهلية فيجمل ، احرم الله ويدعو الى وأدعاه حية ، لانها لا تصلح لشيء . وانما هي اداة فتنة وغى وضلال :

يردون بسولة ويردون حلياً وبقين المخطوب لموسات  
ولسن بداهات يوم حرب ولا في غارة منشآت  
فوارس فتنة اسلام غي لوتك بالاساور سلمات  
ودفن ، والحوادث قاجات ، لاحدا من احدى المكربات

ولكن كيف يتنازل الرجل عن غرامه بالمراة ، وفيها سر الحياة ؟ هنا قصد هذه الحقيقة ابا العلاء ، ويرى انه لا بد من ادخال بعض التعديل على رأيه ، فيتغنى - ويا حبة ما تغنى ! - ان يتزوج الرجل - اذا لم يجد بداً من الزواج - بامرأة عقيم لا تحمل ولا تد :

صحتك لا تصح فان غفت ما غف فأمرس ولا تنسل وذلك احزم

ولا يمكن بذلك ، بل يتجسّسونه الى الطعن على النسل ، والمخاطبة على الاولاد ، لانهم بحث شقاء للوالدين :

ولا تكن الليل يفسد الوالدان به فليت كان عن آياته دفعا

ويتغنى لو مسحت الوليد ساعة وضعه «ولم يترفع من امه النساء» ولكنه لا يلبث ان يحمل الوالد وزر جنائنه على ولده هذا جاءه الي علي وما جئت على احد

هذه طرق من تشاؤم الي العلاء . ودوافعه ، ولا شك انه تشاؤم هدام مبال لوانه . ولو اتج لهذه الآراء ان نخرج الى دنيا الحقيقة والتنفيذ ، لكان فيها القضاء العاجل على البسرة والوجود . ولا ريب انها صدرت عن نفس يائسة لم تر جمال الحياة ، ولم تنظر الى العالم الا بوجه متجهم يظن ما فيها من مواطن الجمال والفتنة والسحر . ولكن القريب في الامر ان فريقاً من كرام الباحثين يحاول ان يثبت ان ابا العلاء لم يكن متشاكاً ، ولستنا نحاول الرد على هذا الفريق وناقشة اقواله ، لانتنا لا نرى في هذه الاراء ، اكثر من «تظرف» ومحاولة فاشلة للشور على مادة جديدة في ادب العلاء .

عبد النبي المصري

دمشق



كانت العين للأنسان سبيلاً رئيسياً من سبل  
الاحساس بالجمال والاستمتاع به ، فانما عند  
الفنان خاصة اداة اولى للوصف .

فالن الجليل منه السعي كالموسيقى والآداب ، ومنه البصري  
كالنقش والرسم والتصوير الذي يبعد عن الجمال بالحطوط والظلال  
والألوان ، وقد يستعين الفن السعي بالبصري فيعرض الصور  
المرئية والادوار الحسية التي هي من صميم الفن البصري ، عرضاً  
صيحاً ، وتصحب عنصراً هاماً من عناصر الاسلوب في الادب . وقد  
تقصده هذه الصور ذاتها فتجتمع وتأنف موضوعاً مستقلاً له  
خصائصه من موضوعات الادب ، كما كانت اسلوباً من اساليبه .  
وابو العلا الذي اصبح منذ ستة الزاوية رهين هذا الحبس ،  
منذما اصابه الجدرى وشي غي عينيه يبايض وذهبت اليسرى جلة ،  
أغض عينيه دون جمال الطبيعة وهو لا يعرف ، كما قال ، من

الالوان الا  
الاحمر والابيض  
أبسموه حين  
جدر ثوباً  
معصراً .  
ويضيف ابو

العلاء : « ولا أعقل غير ذلك » . ويقول في احدى رسائله الى داعي  
الدمعة : « . . . وبصري عن الابصار كليل ، قضى عليّ وانا ابن

اربع لا افرق بين البازل والربيع » أي لا افرق  
بين الكبير من الجمال الذي بلغ قمع سنين  
والصغير الذي لا يزال في سنه الاولى .

وهكذا حيل بينه وبين وسائل الوصف  
واجادته ، ولكن هذه المأساة في ابني العلا ،  
جعلت منه رجلاً يحرص على الاتياف في نفس  
الميدان الذي ضاع منه سلاحه . . . تخاض موضوع  
الوصف ، وتناول ما يحتاج الى ابصار ، وردد  
ذكر الألوان كثيراً ، واسرف في ذلك اسرافاً  
جعل القارئ يشعر بمحاولة المري شعوراً قوياً .

وهو في تناوله للموضوعات المبصرة ، كثيره  
من الاكتفاء ، بقدر الشعراء السابقين في تصويرهم ،  
ويؤدي هذه الصور للبصرين من غير تجربة ولا

رؤية . فيستبد على الشعراء الذين اتقوا الوصف وبينوا خصائص  
الالوان . وجلالها وصلة كل منها بالمعاني . فقد يذكر النجوم او  
الحليل او الاشجار ، وغيرها بما سبق ان وصفها العرب او شهروا بها  
وليس يكون منه ذلك الا تقليداً ومماصاً ، فلم ينطبع في نفسه  
انطباعاً داخلياً ، فهذه التشبيهات والادوار اقرب الى ان تكون  
اسلوباً من اساليب اللغة او تشبيهاً من تشبيهات الشعراء منها الى  
أي شيء . آخر .

ويجدنا الدكتور طه حسين عن قصور الكفيف عن اعادة  
الوصف الشعري فيقول : ان اعادة الوصف الشعري شيء من الاشياء .  
تتخفى ان يمدق الشاعر فيما يريد تحديداً يظهره على دقاته في نفسه  
وصاً يس عواطفه وخياله حتى ينطلق لسانه بوصف هذا الشيء . نقلاً  
ما تركت صورته في خياله وقلبه ، من الشكل المفصل والتأثير  
الشديد ، ومن الواضح ان ضريراً كأي العلا ليس له الى ذلك من

سبل . فلا  
بد اخذ  
لاني الملا .  
من الاستماعة  
بجعبار  
الشعراء الذين

تقدمه . يقول ابنا في شعره : من صور ملونة ، ونحن نعلم انه  
انصرف في فترة من حياته الى شرح ديوان البحاري في كتابه

« عبث الوليد » ولعل اتقان البحاري بالصور المرئية  
وجمال وصفها عامل هام في اقبال المري على  
البحاري ، ولكن ابن الرومي قد وصف ايضاً . .

غير ان صوره كانت شديدة التعقيد ، يعني المبصر  
متابعها . . . وكذلك شرح ابو العلا . شعر ابني  
تمام في كتابه ذكرى حبيب ، وشعر ابني الطيب  
في « معجز احمد »

فهؤلاء الشعراء يتحدثون ، كما يتحدث  
الناس ، عن جمال الازهار والخضار الاشجار ،  
ونضرة الطبيعة ، في الزرع ، وعن السحاب  
يخفق فيه البرق ، والدمع ينثر في انحاء السماء ،  
وقطرات المطر تنثر وجبات البرد تساقط ، في  
الشتاء ، وعن الحسان الغائيات مودة خدودهن

## لغة المرئ في البحر العربي

بقلم بريح عثمان

سكرتير تحرير الاديب



لامعة تتوهج ، في كل حين ، وعن كل ما يكتنف حياتنا من جمال وبها ، وظلال واضوا ، يتحدثون حديث العارف الخبير ، يرى هذه المحسوسات امام عينيه فيصفا وهو يحس جمالها وازهارها في نفسه وما يسبق عليه من متعة ولذة ونعم . . .

يقرأ ابو الملا ، كل ذلك ، ويفيد منعماً شاء ان يفيد بمويدرك ما محبت له طبيعته ان يدرك ، ويثبت في شعره ما استطاع من تحديد الالوان الظاهرة ، ولكنه يفوته الشكل والهيئة ويتصر في دقة تمثيل الصور واثار كل ذلك في نفسه ، فهو ينقل عن ذاكرته التي حفظت . . . وليس عن العين التي ابصرت . . .

وهو ان سجل هذا القصور ، والتبويض عن هذا النقص ، اتبع ابو الملا طرقات شتى ، فأما ان يمد الله على العسى ، وأما ان يتسأل ما نفع ادراك هذه الالوان ، وله ان يتقدم بحمد متراحم من الالوان . . .

قال ابو الملا : « انما أحد الله على العسى كما يحده غيري على البصر » وهذه ليست اكثر من عزاء عن هذا الحرمان الذي اصاب به ، يتسلح به ابو الملا امام المصيرين ، ويحاول ان يظهر نفسه غير مسأل لهذه النكبة ولا مكثرت لها . وتذكرنا هذه الكلمة بكلمة اخرى تحمل المعنى نفسه ، قالها قبله **يحيى بن عمار** / **الله في الذي اذهب بصري ثلث ارضي من ابض** .

ويعلل ابو الملا ، بسبب حمد الله على العسى فيقول : **نألو العسى نضر فبح** . **قات عدى لكم بصون** . **والله ما في الاتمام شيء** . **تأسى على تقدم الميرون** . بل انه يعمل من هذه النكبة فائدة هي الذكاء ، وادراك الاشياء . فيقول :

**سواد العين زاد سواد قلبي ليتفان على فهم الامور** . وقد يسلك الطريق الشاسي فيسأل عن قيمة ادراك اللون الظاهر والصورة الخارجية فقد يتشابه الشيطان ولكنهما في الواقع متباينان كل التباين :

قد يبد الشيء من شيء يشابه ان الساء نظير الماء في الزرق " وكثيراً ما يكون البصر هو سبب الخداع والاشغاف عن الصواب ، فلا بد اذن من بصيرة باعثة تدرك المعاني فقال : **راوك بالعين فاستغصم فأن** . **ولم يروك بفكر صادق الخبر** . **والنجم تستغمر الاسار صوته** . **والذهب للطفلا لتجهم في الصغر** . فإذا كان ابو الملا قد حمد الله على هذه النكبة من ناحية ، ووضح قصور العين وخذاعها من ناحية اخرى ، فإنه وجد نفسه مضطراً ان يسأله الى ابعد مدى في القيام بما تقوم به العين الباصرة

عند زملاته الشعراء ، فاسرف في ترديد الالوان مها كانت المناسبة ضيقة تقية .

فإذا اقتبس معنى من شاعر سابق ، فاكثر مما يزيد عليه تشبيهاً مستدلاً على ذكر الالوان ، فيأخذ من المتنبي قوله : **وقد تغلرب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان** . ويقول :

قد يبد الشيء من شيء يشابه ان الساء نظير الماء في الزرق فيضيض على المعنى الذي قاله المتنبي توضيحاً يعقله من يرى زرق الماء وزرق الساء .

وإذا قال المتنبي : **وإذا غليت عن النبي فاذر ان لا ترائي ملة مياه** . **قال ابو الملا** : **وكم حين توشل ان ترائي** . **وتغدد عند رؤيتي السواد** . **فقد قلب هذا التركيب وادخل فيه ذكر السواد ، وكثيراً ما اكتفى المري من العين بذكر « سوادها » فقط .**

وربما بلغ بأبي الملا التكلف الى اقصام مجموعة من الالوان وايرادها دفعة واحدة كما يقول :

**كان الاغم السبعة في لبة بأشأ** . **خزاس ولقاصي وصفرار وشغارا** . **فهذه المجموعة من الازهار المختلفة الالوان ، المتعددة الاشكال ، كلها موصوفاً بميزة / ثم انظر الى هذا السيف الذي يتلون الواناً للآقراق في غوة الحروب فهو قلة يشبه الماء ، وتلته يشبه النار** . **يقراى للناظرين على الوان مختلفة كما يقال عن تلون التوف في القفر :** **تلون للآقراق في هيراته** . **تلون غول القفر للماجر المجمع** . **تلون بدا في سندس او مورد** . **من البس او مصب يروق اوضح** . **فتي ظهر هذا السيف قات ايس سندساً اخضر او ثوباً وردياً** . **او ابيض تاصلاً تجسم هذه الالوان كلها فيه . . .**

وليس من القريب ان يذكر المري في شعره الالوان المعروفة ، فان هذا طبيعي ، بل لعل الترابية في عدم ذكرها . ولكن يلاحظ من يتصفح شعره ، وخاصة الشعر الذي نظم في الطورين الاول والثاني من حياته ، انه يكثر ترددها كلمة مفعلة . ولن نبعث هنا عن كثرة ما ردد من سواد الليل ونضرة النهار وبياض الشب وبيض الاماني وحر المنايا وخضر الحري . . . انما نبعثنا ان ننوه بتعبيره بالالوان من معان شتى ، فإذا اراد ان يتحدث عن شجاعة رجل امهله الدهر اياماً وبسط له في الطمانينة ثم اهلكه كرا الايام واليابالي قال :

**أمله الدهر فاودى به** . **ميهنه** . **يحدى مسوده** . **واذا اراد ان يحكي من يتحدث عنها تحية محب ليس ماء الفرات**

بالطبيب منها مع انه صاف سائغ عبر عن صفاء الماء بالزرقه فقال :  
نحية ود ما الفرات وماؤه بأعذب منها وهو اذرق سلال  
اما شيب ابى العلاء فحكم يبدو جيلا من خلال هذه الصورة  
الملونة :

فمن الشباب صر السحاب فلم يبد ذا غمرة اذ كل ضمن انصر  
قد اورقت عمد الحياض وامشيت شمس الرجال فلون رأسي اخبر  
وقد يتكلف ذكر بعض الألوان، وهو حريص على ايرادها،  
فيبدو تشبيه غريباً عن الدقة بعيداً عن الاحكام، كما يقول :  
سوى ان السفين تحال فيها بيوت الشمر شكلا واسودادا  
فهر يصف بحر الروم ، ويشبهه كبير بلاده ، والسفن القاذية في  
مرض البحر تشبه بيوت الشمر على البر في شكلها ولونها الاسود . .  
فهل ينطبق المشبه به على المشبه ؟ وهل وجه الشبه قريب مقبول ؟  
ولما طرب مرة ، واعجب ، شرب الماء وكره شرب الخمر ،  
فلما اراد تسجيل ذلك ، ترك اسماء هذه الموصوفات الصريحة وذكر  
اوصافها اللونية فقال :

فأضيقنا بياض كالنفضة المحض وضنا حمر . كالارجوان  
وعندما اراد ان يقول : اسل عن بلادك فقد امسكتك مرعى  
وما فاشرب من الماء وارب في هذا المرعى طيب الناس ، قال :  
فأبك هذا اخضر الحلال سرشاً واررق فاشرب واربع فاعلم الليل  
ويقول :  
وقد اغتدي والليل يبكي كلسنا على لثته والتجمد في الفرب ساكل  
يرجع اجبرت حافراً من ذيرجد لثامه حرم واجين حلال  
اي انني اغتدي بغرس كالجرجير مسرعة وقد اعيرت هذه الغرس  
حافراً كانه الزبرجد صلابه وخضرة لون ، وان الغرس اشقر  
محجل ، فقصمه « تبر » وخالخله جين .

وعندما لا يعقل هذه الألوان ، والفروق الدقيقة التي تميز بعضها  
عن بعض فانه يظن ان سواد الليل كسواد السحب سواء بسواء ،  
وكالهما كسواد الزنج قاتماً . . .

لاني هذه حروس من الزنج طيا قلاص من جان  
ويصف ليلة اخرى :  
كانا في اذ لاحت كواكبها خرد من الزنج تجل وشعت خضفا  
فكلنا ليلتيه عروس ( او خرد ) من الزنج ، والتجمد التي  
تبثت في السما قلاص من جان على صدر تلك العروس ، او وشاح  
من خرد ابيض . . . وتشبيه الليل بالزنجي معروف لدى السابقين  
من الشعراء ، وقد زاد عليه ابو العلاء قلاص من النجوم او وشاحاً  
من الحفص . فهل لمبصر ان يلازم بين هذا الحيال الذي نقله أبو  
العلاء وبين الصورة الواقعية ؟ وكيف يتقن للنجوم ان تتجمع

تتكون قلاص على صدر حسناء ابى العلاء . . ؟  
وقد عرف ابو العلاء ان الناس يصغون السحاب بالسواد ايضاً ،  
كما يصغون الليل بالسواد ، وقد شبه الليل بالزنج ، فطبيعي ان ان  
يكون السحاب كالزنج في خيال ابى العلاء . . . فيتحدث من  
السحب يصفا بأوصاف شتى ويطف على هذه الاوصاف تشبيهاً  
آخر :

او نسوة الزنج بأياها الرقص قصب ذميئات  
فهذه السحب كأنها نسوة من الزنج ترقص ، وهذا العنان  
الذي يرافقه البرق مثل تلك القضايا الذهبية التي تحملها هؤلاء  
النسوة . . . والمبصر يدرك نبر هذه الصورة عن الحقيقة الواقعة . .  
ولعل عدم الاحكام في فهم الألوان وادراكها يبدو شديد  
الوضوح في هذا التماثل في تشبيه بياض شيء ، بهذه المجموعة التي  
يجمع بينها « بياض » ابى العلاء :  
اضياء التبار ام وضع اللؤلؤ ام كونه كسكر الحبيب  
فالتبار واللؤلؤ وتقر الحبيب يتساوى لونها في خيال ابى العلاء ،  
ولونها كلها كاللون الشيب . . .

واذا كانت الألوان تدل ، عادة ، على ذوق الوسام وهواه  
ومزاجه ، فان ابى العلاء كان مكثراً من الألوان القاتمة ، في حين اننا  
لا نكتفي بحسب المزاج بل نشعر اقرباً نحو الألوان الزاهية الفاحشة وما  
تحويها من « هوان مغرر » فتارة ، بل تتناول ، اذا مارسها ، الوصف  
الظاهر على نحو تقليدي مأثور ، وعلى التقيض من ذلك اذا تحدث  
عن الليل الملغع بطليسان اسود ، فلهذا اللون القاتم المنظم اثر يتجاوز  
اللون الى الشاعر « ذا ظلام ليس بفاني » ويرى ابو العلاء خيال من  
يرغب في قاتله ينتظروه :

يود ان ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب واليبر  
وقد يكون هذا اللون سبيلاً ينتقل منه الشاعر الى الوصف  
المعزى ، وفيه يجيد التكيف وصف اليلة والامم والفرح والترح  
والوان الاحواء النفسية التي لا تحتاج الى عين بقدر ما تحتاج الى شعور  
وبصيرة . . . فلا يكاد يصف ابو العلاء شئ صفاً حتى يقارن  
بينها وبينه ويستمر في الحديث عن آلام نفسه :

وصفاره لون التبر مثل جليدة على نوب الايام والبيئة الفنك  
ولعل حرص ابى العلاء على وصف الليل وتكرار هذا  
الوصف بألوان شتى ، الى جانب انه يقرب الى نفسه وانه يلازم هواه ،  
راجع الى شعوره بأن هذه الاداة التي يمتد بها عنه الناس تلقى  
عند اشتداد ظلام الليل ، ويكاد يفت عليها . . . فهو في ظلام  
الليل مثل غيره . . . او قل ان شئت انه يملك عيناً باصرة . . .

# لغز المعبري

بقلم جرجي سليم عطية

استاذ اللغة العربية في الكلية العلمية



الإجماع كانت تجري ألسنتهم وأقلامهم في الألفاظ والتعابير ، ولا يفتقر منهم إلا ما يودعه تلك التوالب من آراء وخواطر هي نتائج دروسه الفلسفية . وإننا إذا انعمنا للنظر في ميزات أبي العلاء المشوية نجدها تنحصر في ثلاث خصال : أولاها كثرة محفوظه من اللغة .

فإنه لم يور الرواة أن أحداً بلغ من استيعاب الألفاظ ما بلغه أبو العلاء . ولا شك أن لقوة ذاكرته الصعبة اليد الطولى في ذلك .

وحسبنا ما ذكره في هذا الصدد تلميذه أبو زكريا البرقي إذ قال : « ما لم يقرأ أبو العلاء نطق بكلمة ولم يعرفها أبو العلاء . ثم

استشهد على ذلك بأن جماعة ممن كانوا يقرأون عليه أرادوا أن يجربوا عليه ويجمعوا ثلثه فوضعوا حروفاً وأقروها كلمات . ثم

أضافوا إليها كلمات أخرى من غريب اللغة وسألوه عن جميع ذلك . فكان إذا مرت به كلمة مما وضعوه أنكرها واستعادها مراراً ثم

قال : دعوا هذه . وإذا مرت به كلمة لقوة شرحها واستشهد عليها . حتى إذا انتهوا اطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : كأني بكم

وقد وضعت هذه الكلمات لتختفيا بها معرفتي وثقته بروايتي . والله لئن لم تكشفوا لي الحال لأفارقنكم . فقالوا : والله إن الأمر كما

قلت وما علوت ما قصدناه . فقال : سبحان الله ، والله ما أقول إلا ما قالت العرب . وإلا نأى لا يكذب أهل » .

وإذا قيل : لعل في هذه الرواية شيئاً من المبالغة . قلنا : إن في ما وصل إلينا من آثار أبي العلاء شواهد عديدة مقنعة تدل على تفوقه

في استظهار الغريب من النفاذ اللغوي . من ذلك ما ورد في رسالة النفران حين ذكر بيتين للنمرين تولى بهما :

ألم يصحني وم جعوج خيال طارق من أم حسن  
لما تشبه صلا صفي إذا شامت وحواري بسن

لغة المعري ، أقرب إلى لغة الجاهليين والإسلاميين منها إلى لغة شعراء وأدباء العصر العباسي . فأننا نرى عنده من جزالة الألفاظ

ومثانة التراكيب ما لا نرى مثله عند معاصريه . ذلك لأن أبا العلاء كان - مع اشتغاله بالنظم والكتابة - منصرفاً في الوقت نفسه إلى اللغة درساً وتدريساً ، في حين أن أقرانه من الشعراء إنما كانوا

يظفرون الشعر في أغراضهم المتنوعة من مدح وديوان وصف وما أشبه ، دون أن ينهمكوا بمباحث اللغة ، أو بالبحث في أحوالهم

للاخذ عنهم ومناقشتهم في مواضعها . أما بعض المحبين فقد كان متفرغاً للبحث في أسرارها والوقوف على أساليب البلاغ . من رجالها

الأقدمين حتى بات كأنه انتقل إلى زمانهم ، فأصبح لا يجري قلبه

ولكن نقمها ؟ .

ومن الغريب أن حرص أبي العلاء في شبابه على ترديد الألوان في شعره أو تشبيه أوصافها ، وأسرافه في ذلك ، يجتني في شعره

المتأخر ويود طبعاً جداً . . . . . ولكن إذا عرفنا أن إلهامه بذلك

الألوان راجع إلى منافسته البصريين في الموضوع الذي يجيئون ، ندرك سريعاً سبب كفه عن اللونين ، فقد تشكلت منافسته أخيراً

في أنواع أخرى . يذ البصريين في لزومياته في اللغة ، وبذ البصريين في رسالة النفران في موضوع يستوي هو معهم فيه ، فهو أعمى لا

يرى العالم الآخر كما أنه لم ير الشعراء . الأقدمين الذين قابلهم فيه ، ولكن كل قراء رسالة النفران عيان عن هذا العالم الآخر فلم يروه

كما أنهم لم يروا الشعراء المتقدمين الذين فيه . . . . .

جرجي عطية

فقد ذكر عندئذ قصة كانت بين خلف الأحمر واصحابه ملخصها: ان خلفاً قال لاصحابه: لو انه وضع ام حصص وضع ام حصن ما كنتم تقولون في البيت الثاني فسكتوا. فقال خلف: «وحواري بلص». والصلح الفالوجج. قال ابو العلاء، ويُعرف على هذه الحكاية فيقال: لو كان مكان ام حصص ام جز، وآخره حمزة ما كان يقول في القافية. فانه يجمل ان يقول: وحواري بكش. من قولهم كسأت اللحم اذا شويته حتى يبس. ويقال كشاً الشواء اذا اكلك. او يقول: بوز، من قولهم وزلت اللحم اذا شويته، ولو قال حواري بئس، لجاز، واحسن ما يتأول فيه ان يكون من نسا الله في اجله اي لما خبز مع طول حياة. ثم قال والنس. اللين الكثير الماء، والحز ولو حمل على هذا المعنى لجاز. ثم انتقل الى حرف الباء، فألقى بثلاث كلمات صالحة لذلك ثم مضى الى آخر حروف الهجاء، مودداً لكل حرف عدة كلمات ومفسراً كل واحدة منها. وميزة ابي العلاء، الثانية، هي: ولله بالتحقيق. فان له من التعليلات الصرفية والنحوية والمروضية وغيرها ما قلنا نقتل له على مثل. ومن طالع رسالة الغفران يجده اذا اجتهد فيها يأن يطلع الشعراء، والمعلماء، في الدار الاخرى بما يرى انه الحق في ما يتعلق بشي. من كلامهم. كما في المحاوراة التي اجراها بين ابي القارح وعدي بن زيد في الجنة اذ قال الاول للثاني: قد هممت ان اسالك عن بيتك الذي استشهد به سيويه وهو قولك:

ادواح مودع ام بكور انت فانظر لأي حال صير

فانه يزعم ان (انت) يجوز ان ترفع بفعل مضمير يفسره قولك (فانظر) ، وانما استبعد هذا المذهب ولا اظنك ازدته. فيقول عدي بن زيد: ذهني من هذه الاباطيل.

وكذلك محاورته مع الثابتة الديلمي اذ قال له: كيف حسن لك لبك ان تقول للثمن بن المنذر:

زعم الهام بأن فاما يرد عجب اذا ما دقته قلت ازدد زعم الهام ولم اذقه انه يشق يرد لناغا السليبي الصدي

ثم استمر بك القول حتى انكره عليك خاصة وعامة، فيقول الثابتة: «قد ظلمني من عساب علي ولو اتصفتي لعل اني احترزت اشد احتراز وذلك ان الثمن كان مستهتراً بتلك المرأة، فأمرني ان اذكرها في شعري. فأذرت ذلك في خدي فقلت: ان وصفتها وصفاً مطلقاً جاز ان يكون بينها مقلداً وخشيت ان اذكر اسمها في النظم فلا يكون ذلك موافقاً للهلك لان الملوكة بأنثون من نسمة نسايمهم. فرأيت ان اسند الصفة اليه فانقل «زعم الهام»

اذ كنت لو تركت ذكره لظن السامع ان صفتي على المشاهدة. والايات التي جاءت بعد داخلة على وصف الهام. فن تأمل للمنى وجده غير مختل. وكيف يشدون: «واذا نظرت رأيت اقر مشرقاً» وما بعده. فيقول الشيخ: ينشد: «واذا نظرت. واذا لمست. واذا طعنت. واذا زعت» على الخطاب. فيقول الثابتة: قد يسوغ هذا ولكن الاجود ان تجمله اخباراً عن التشكك لان قولني: «زعم الهام» يؤدي معنى قولنا «قال الهام» فهذا اسلم. اما مئة ابي العلاء الثالثة فهي: التعمق في الاستقصاء. فانه كان اذا مرت به الكلمة لا يتعدها حتى يوفيا حقها من البحث ويحيط بكل ما له علاقة بها. يظهر ذلك من جوابه الى ابي الحسين النكتي البصري الذي كان قد كتب اليه كتاباً اخطأ فيه في اسمه وكنيته فسمه محمداً بدلاً من احمد وكتبه اليه بالحقصر بدلاً من ابي العلاء بللسد. فكتب اليه جواباً يشغل نحو خمسين صفحة من مجموعة رسائله التي طبعت في بيروت سنة ١٨٩٤ وقد شرحها المرحوم والده. ولم يترك ابي العلاء في هذا الجواب شيئاً من الاحكام التي تتعلق بتفسير الاسماء والنكت والتصرف بالانفاظ وما يعترضها من الضرورات الا ذكره وليده بالشواهد العديدة. ثم قال: «واهل سيد الشيخ ان اني مكنتي بلي التي هي من حروف الحذف ولو كان ذلك لوجب ان يقال ابو علي... وان كان تأول اني مكنتي بعلا الذي هو فعل ماضٍ فهو في الثمرة من الالف واللام مثل الاول» يتبين لنا مما تقدم ان انهك ابي العلاء الدائم بالثقة ومباحثها، وكثرة محفوظه من الفاظها، وولعه بالتدقيق والاستقصاء. فها، كل ذلك جعل الفاظها الترية غير غريبة لديه، فصار يستعملها في شعره ونثره ذهاباً مع سليقته، وارواء لذة يجدها في نفسه، دون ان يتميد اخذاً شي. في مطاوعها كما ذهب البعض. وهذا ما يجملنا نعارض الدكتور طه حسين في قوله:

«لم يرد ابي العلاء ان يظهر في كتابه «الزوميات» مقدرة القوة ويراعته في قرض الشعر كما كان طائفة من الناس. وانما سلك هذا المسلك في ما نقدت ليكون ادعى الى ايثار التريب والاستكثار منه حتى تحقق اغراض الكتاب على كثير من الناس لم يكن يجب ان يظهرها عليها، وهذا فيما زى علة حبه للرمز والاياء وايتار الانفاظ الجافية للعاني الترية. فما لا شك فيه ان الرجل كان يدور على امر كتابه على ناس من المشددين في الدين حتى لا يتخونوه وسيلة الى اهدار دمه واذاق نفسه. فلا جرم أثر من الانفاظ والاساليب ما يصعب فهمه على هؤلاء الناس».



قلنا : اننا لانوافق الدكتور على رأيه هذا . اولاً : لان ابا  
العلاء جاهر بما يعتقد ، وانتقد كل ما اراد ان يتقدمه بتعابير صريحة  
ليس فيها غرض ولا ايهام . فقله في الطعن بالاديين :  
« هت التصاري والنيقة ما اعتدت وجود حارت والمجوس خلة  
اثنان اهل الارض ذو عقل بلا دين وآثر دين لا عقل له  
وقوله في انكار البعث :  
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لكان البسطة ان يبكروا  
فطسنا الايام حتى سكنا حتى زجاج ولكن لا ياد لنا بك

ثانياً : لان اكثر ما رى فيه لابي العلاء تعابير غامضة والفاظاً  
غير مأنوسة انما هو في مواضيع ليس فيها كبير حرج ، ولا هي مما  
يحتاج معه الى التعمية والالغاز .

فضلاً عن ان ابا العلاء لم يلتزم ما لا يلزم ( أي يتقيد بحرف  
آخر قبل حرف الروي ) في ديوانه الزوميات الذي خصه بالمواضيع  
الفلسفية فقط بل انه قد لازم هذه الحيلة في اكثر نثره المسجع .  
وقد كان كثير التمسك بالسجع حتى لا يكاد يفارقه . وقد قال  
في رد له على داعي الدعاة بمصر الذي عاب عليه ذلك :

« ان للناس في الاسلام قد استحسنوا السجعات وكثرت في  
خطبهم ومراسلاتهم فقل ما يخطب بخطلة على منبر الا وهبها سجع »  
الى ان قال :

« ولو علمت اطلمام الساجنة ان الله سبحانه او نبيه يصكره  
سجعا على النصوص لحوست منه وقربأت منه » .

على انه لو اقتصر ابي العلاء على السجع فقط لمكان الامر ولكنه  
ضم اليه زوم ما لا يلزم . وهاك مثالا على ذلك قوله في رسالة المنيع :  
« لو ان شوقه الى حضرته اجالية مثل ، قتل ، وتجمد ، حتى  
يترسم ، ملأ ذات الطول والارض ، وشغل ما بين السماء والارض »  
ومنها : « ما خير عبده حتى اخبر ، ولا غير الا بصدما اعتبر .  
شاهدنا فيما ميمناه المعنى الحصيد ، في الوزن القصير ، ان تقول حنين  
الورد ، او تجرول فهدير الورد » .

ثم انه قد لا يكتفي بلزوم ما لا يلزم فيضيف اليه كثيراً من  
انواع البديع المتمثلة كالجناس والطباق والمقابلة والترصيع وغير  
ذلك .

ولكن شدة حرصه على السجع كثيراً ما أجلبته الى استعمال  
الفاظ غير مأنوسة وحملته على تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه  
التقديم لجاء نثره في كثير من الأحيان ملوئاً من التكلف والتوريب  
ان ابا العلاء نفسه ذم السجع في رسالة المنيع اذا جاء متكلفاً .

وقد فاته ما في كثير من كلامه من هذا التكلف .

ولم يتبع ابي العلاء طريقة ابن العميد في انشاءه بل اختط لنفسه  
طريقة جديدة هي وسط بين طريقتي الجلاظ وابن العميد . وله  
نثر لا يلتزم فيه السجع وخصوصاً اذا كان كلامه في موضوع علمي  
او قصص تاريخي فيجيء نثره اذ ذاك عذبا سهلاً يستسيغه السمع  
وترتخ الى النفس . نورد مثالا على ذلك بعض فقرات من رسالته  
الى اهل معرفة النعمان حين رجوعه من بغداد يخبرهم بعزمه على العزلة  
قال :

« وجدت اوفق ما اصنعه في ايام الحياة عزلة تجعلني من الناس  
كبارح الادوي من سائح النمام . وما ألوت نصيحة لمنشي ، ولا  
قصرت في اجتذاب المنفعة الى محيبي ، فاجبت على ذلك واستغرقت  
الله فيه ، بعد جلالاته على نثر يوثق بخصائهم ، فكلمهم رآه حزمأ  
وعده اذا تم رشدأ . وهو امر ليس بتييج الساعة ولا ريب الشهر  
والسنة ولكنه غذي الحسب القادمة وسليل الفكر الطويل ، وما  
صحت القرون (١) بالالايب حتى وعدتني اشياء ثلاثة : ثبذة كنيذة  
فتيق النجوم (٢) ، وانتضاباً من العالم كاتفضاب القافية من القوب (٣)  
وثباتاً في البدان حال امله من خوف الروم » .

وهذا شأنه ايضاً في شره . فان اجود منظومه ما ترك فيه  
التنويد التي خرجها على نفسه وعد الى جلاء افكاره بدون تكلف  
ولا تمل . وهو وان لم يكن بالامكان وضعه الى جانب المتوفيقين  
من خول الشعراء الذين تقدموه في الزمن حكاك في تمام والمتني .  
والبعدي وابن الرومي ممن لم تسمح له حالته وطريقته بميشته من  
الاتصراف الى المواضيع التي طرقرها ولا سيما ما يقتضي منها سعة  
في الحيسال فانه قد اخرج في ما عالج من المواضيع الاجتماعية  
والفكرية آيات بينات جعلته في منزلة الشاعر الفيلسوف المتفرد .

وخلاصة القول انه اذا كان بين الناس خلاف في ما يتعلق  
بشأرا ابي العلاء فمنهم من يخطئه ، ومنهم من يدافع عنه ، فان  
هناك امراً لا يختلف فيه اثنان وهو ان ابا العلاء علم من اعم اعلام  
اللغة ، وان لما تركه من الآثار مقاماً رفيعاً في عالم البلاغة .

محمدي ساعين عبط

(١) القرون النفس

(٢) النجوم ما دون الشجر من النباتات والنبات المشقوق وبذ الشجر  
طرحه .

(٣) الهابة البحة والقوب الفرخ والاعتضاب الاعتساع .

# حِكْمَةُ الْمَعْجِزَةِ

## مَدَى أَشْرِهِ فِي فِلَسْفَتِهِ

### وَمَدَى أَشْرِهِ فِي آدَابِ الْأَجَنِبَةِ

بِإِ

عَلَفَرَفَرَف

مُتَشَوِّرِي الْمَشْرِفَةِ



كبيرين: في رباعيات عمر الحيام الاديب الفارسي، وفي  
الكوميديا الالهية لشاعر ايطالية الاول دانتي البشيري.  
توفي عمر الحيام نحو عام ١٠١٧هـ (١١٢٣م) اي بعد وفاة  
المري بنحو خمسة وستين عاماً، وكان كالمري كثير  
التشاور معاً للنقد والتحكيم متدفقاً في التفكير الحر،  
ولكنه بدلاً من ان يتقوى في بيته ويذهب في الحياة  
انصرف الى اللهو وتطلب المرح وشرب الخمر خاصة. وقد  
تساهل عمر الحيام في الفروض الدينية اذا استطاع ان يغفل  
خبراً - كما يحب المري ايضاً - ونفطر الى جميع الناس  
نظرة واحدة لا يفضل سيداً على عبد ولا رجلاً على امرأة  
بما يطول تعدده، فاستكنى من آرائها المتشابهة بما يلي: قال  
المري في قصيدته التي يرثي بها صديقاً له:

خفف الموطء ما اظن ادعى الارض الا من هذه الاجساد  
وقبح نسا، وان قدم الهدى، هوان الآباء والاعداد  
سر ان اسلمت في الهواء رويداً لا اختيلاً على رفات المباد

فأخضع الحيام وقال (١):

\* طأ برق هذا التراب قدماً  
لا تظن ذلك النبات احتاراً  
وكذلك قال المري:  
فأجل جنة عن جدت بيت  
لو جاء من اهل الردى غير  
هل فاز بالجنة عافاً  
فأخضع الحيام وقال:

ما شهد النار والجنان فنى،  
وأخر ما اريد الاستشهاد به في هذا الباب قول المري:  
فألفت الهائم لا حول  
تعم لها الدليل ولا ضياء  
واخوان الظفانة في اعتيال  
فاما هؤلاء ظلم مكر  
فان كان التلى بها وياً  
فانظر كيف تطلق الحيام بهذا المعنى حرفاً حرفاً:

كن حماراً في ستر جهل  
فهم يحسون للجل من ليس حماراً خلواً من الايمان

\*

واذا كان الحيام قد غرق من شعر المري، فان دانتي قد  
اغترق من نثره وقد «رسالة الفنون».

(١) اشارة الى الحيام مأخوذة من ترجمة احمد الصافي النجفي، راجع  
حكيمة المعجزة للدكتور محمد فروغ (بيروت ١٩٩٥) ص ٨٩-٩٥

(٢) ابيات جمع جرد حمار

حيناً يقرأ احداً قول كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق م)  
حكيم الصين الكبير: «اذا كنا قليلي المعرفة بانفسنا او بما نحن  
عليه، فكيف نستطيع ان نصل الى معرفة ما كنا فيه او ما أصبح  
اليه»، ثم يجد في رؤى ميات المري:  
ارواحنا منا، وليس لنا بها، حلم، فكيف اذا حُرِّضنا الاقبر؟  
لا يتردد في القول بان الحكماء العربي ترسم الحكماء الصيني،  
وحيناً يرى ايضاً بان فلاسفة شرقيين من الصين والهند سبقوا ابا  
العلاء الى القول بفساد الطبيعة البشرية ویرحة الحيوان ويقطع التسلسل  
وبانكار البعث، ويرى ان الاتفاق شديد بين آراء فيلسوفنا وبين  
آراء الجينيين من الهند في الزهد، وآراء البوذيين في العدم وآراء  
البراهمة في انكار النبوة يجب لهذا التوافق القريب ويتساءل عن  
مدى الاثر الاجنبي في فلسفة الشاعر العربي. الا ان الآراء على  
كثيرها في شعر المري لا تتكلم في سلك يرجع الى منعب بعينه،  
وانما هي آراء من مذاهب مختلفة اخذها المري متفرقة لانه استعصمها  
في اوقات مختلفة. ذلك لان المري لم يعتنق مذعباً دينياً او فلسفياً  
مخصوصاً، بل كان يستعرض آراء اهل المذاهب ونظم اصحاب  
الفلسفات، فاذا استحسن فيها شيئاً اخذ. اضف الى ذلك ان  
عبارة المري كانت في التحليل والنقد لا في الانشاء والتلخيص.

واذا كان الاثر الاجنبي لم يظهر واضحاً متلبوراً في فلسفة  
المري، فان فلسفة المري ظهرت واضحة متلبورة في انتاج ادبيته



## هنا برقد ابو العواد

تقول الرواية التاريخية ان ابا العلا، دفن في ساحة من دور اهل ، وقد زار الفقهني المرة بعد قرنين من وفاته (٦٥٠ هـ) فوجد القبر « لا احتفال به وراى عليه خبازى يابسة والوضع على غاية من الشئمة والامال . » ويقول الذهبي « وقد رايت القبر بعد مائة سنة من روية الفقهني فرأيت غواً مما حكى . » وفي القبر هملاً الى ان عزمت الحكومة السورية منسنوات قبله على تشييد ضريح لائق بصاحبه . وقد تم البناء على الطراز العربي القديم . وفي الضريح مدسة لها مسجدها ومكتبتها وازقتها . وهي تتألف من صحن واسع فيه حديقة حسة التمشق في جنوبي

ايوان جبل حيث يوجد القبر ، والى جاني القبر بابان يؤديان الى مسجد ضخم في جانيه الايمن غرقان . وفي جانيه الايسر مكتبة واسعة . والرسم الذي تراه في أعلى هذه الصفحة هو القبر كما رسم اخيراً .

دانتني بنفسه في تلك الرحلة بينا المعري يبعث فيها صديقه ابن القارح - فان اوجه الشبه والتقليد كثيرة جداً وسأقتصر على اشهرها .

(أ) كلا الشاعرين اتخذ رسالته سبيلاً الى اقلبار مقدوته الادبية والفكرية ومعرفته بالتاريخ ، والى التعبير عن فلسفته الدينية . (ب) وكلا الشاعرين اتخذا الاشخاص الذين لقيهم هنالك من البشر المروفين في ايامه او قبل ايامه ، او من الخلق . . .

(ج) وكلاهما جعل اهل الجنة جماعات جماعات ، وجعل اهل النار افراداً افراداً .

(د) وكلاهما وقف على الاشخاص الذين لقيهم بمحادثهم وبنقاشهم في امور جرت لهم في الدنيا او صاروا اليها في الآخرة . ولقد قد دانتني في ذلك المعري تقليداً تلماً : كان يسأل عن نفس ما فيبدي الى مكانها او يرى امامه فجأة نفساً لا يعرفها فيسألها اسمها . وكثيراً ما تجد احاديث دانتني مع اصحابه احتذاً . تلماً للاحاديث التي يجريها المعري على لسان ابن القارح مع اهل الجنة والنار .

(هـ) ويدعشك ان ترى المطابقة التامة بين دانتني والي العلا . حيناً يأتيان الى قوم قد خفف الله عنهم العذاب او بعضه . ان المعري يضع في الجنة قوماً جاءوا قبل الاسلام كمعبد بن الابرص معاصر امري . القدس وكان أسن منه ، وكرهيز ابن ابي ساسي ، ويضع فيها ايضاً عدي بن زيد النصراني . وقد سأل المعري عبيد بن الابرص عن سبب غفران الله له فقال : « انني دخلت الهاوية ،

كتب المعري رسالة الغفران يصف فيها الجنة والنار واحوالها وضمنها شيئاً كثيراً من آرائه الفلسفية والدينية والادبية والتي عليها كثيراً من التهمك المضاف الى الملح . وبعد ثلاثة قرون يطلع الشاعر الايطالي دانتني « بالكوميديا الالهية » على العالم الادبي ويحملها في وصف الجنة والنار ووصف الحوالها واحوال من فيها ويضمنها آراءه كما فعل المعري . ولا ريب قطع عند الدارسين ان

دانتني تناول اسس رسالته من الاسلام : من القرآن الكريم في وصف الجنة والنار وفي اسراء الرسول من مكة الى القدس . ثم من قصة المراج التي تصف عروج محمد صلى الله عليه وسلم الى السماء ، ثم من الفتوحات المسكية لمحي الدين بن عربي حيث يصف

رحلة له الى الحضرة الالهية .

ومع ان ثمة فروقاً بين رسالة الغفران وبين الكوميديا الالهية - بدأ المعري رحلته بالجنة وبدأها دانتني من جهنم ، ثم ان رسالة دانتني اكثر تفصيلاً واشمل موضوعاً وكذلك ينذهب



الدكتور حمود فروق

وكننت قد قلت في الحياة :

من يسأل الناس يمسوه ، وسائل الله لا يغيب !

وسار هذا البيت في آفاق البلاد ، فلم يزل يشد ويخفف عني العذاب ... الى ان تلمتني الرحمة ... فاذا مع الشيخ ذلك ( يعني ابن القارح ) - طبع في سلامة كثير من اصناف الشراء .

ويجري ابو العلاء على لسان عدي بن زيد النصراني السبب الذي نجاه الله به من النار ويجعله يقول : اني كنت على دين المسيح ؛ ومن كان من اتباع الانبياء قبل ان يبعث محمد فلا بأس عليه ، وانما الشبهة على من سجد للاصنام . اما الاخطل فيضعه المعري في جهنم ويبين له سبب ذلك على لسان ابن القارح فيقول : جاء الاسلام فمجزت ان تدخل فيه وولمت اخلاق سفيه وعاشرت يزيد بن معاوية ... ( وقلت ) :

ولست بصائم رمضان طوعاً ولست بكل لحم الاضاحي  
ولست بجاهن كالدمر ادمي قيل الصبح : « حرم الله الفواحش »  
ولكني سأشربها شمولاً ولست بحد من صباح

ويقعد دانتي في ذلك المعري قائماً فيضع في « الاعراف » عن اطراف الجنة قوماً سبقوا ظهور النصرانية كسقراط واثلاطون وارسطو ويوليوس قيصر ، او قوما جاءوا بعد ظهورها ولكنهم اخذوا المدنية والعلم وكانوا اولي شهامة منهم ابن سينا وابن رشد وصالح الدين الايوبي ، بينما هو قد وضع في الجحيم رأساً لقرآن من الامراء النصاري .

ان هذا التساهل الديني ، وهذا الفكر الحر استحسنها دانتي في كتابه وقد فيها حكم المعرة .

وهناك امر آخر يجدر بالذكر وهو ان « الاعراف » فكرة

اسلامية بحت جاءها القرآن الكريم وعنى بها « سوراً بين الجنة والنار » يضع عليه النفر الذين لا يستحقون النار باعمالهم ولا يستأهلون الجنة . ولقد اتخذ المعري « الاعراف » في رسالة الغفران وجعلها باحة بين الجنة والنار وضع فيها الجن واسكن فيها الحطينة الشاعر المخضرم المجهل . اضف الى ذلك ان النعم والعذاب الجسديين هما من خصائص الخلود الاسلامي في الجنة والنار ، وقد تناولها دانتي من الاسلام .

ويدهشك ايضاً ان يكون دانتي قد لقي قبل ان يصل الى الجميع اسداً وذئبة وفهداً ، ثم اذا قرأت رسالة الغفران رأيت الاسد يلتقي ابن القارح قبل النار مباشرة .

وهناك مطابقة تامة ايضاً بين حديث المعري « على لسان ابن القارح » وحديث دانتي مع آدم كلاهما رأى أبا البشر في الجنة وحادثه وسأله عن الامة التي كان يتكلمها يوم خلقه الله .

هذه كلمة « حجة » في وجه الشبه العامة بين رسالة الغفران لشاعر المعرة وحكيها وبين الكوميديا الالهية لزعيم الشعر المحدث في الغرب حامل الادب الاوروني من العصور الوسطى الى العصور الحديثة .

اقفا تأملنا هذا اثر البالغ الذي تركه ابو العلاء في الشرق والغرب ، ادر سكتا قوة هذه البقعة التي تجلت في حكم المعرة وحق لنا ان نتفكر كما يفكر الغربيون بكبار شعرائهم وفوق ما يفكرون ، ذلك لان شاعرنا هو الذي أوحى الى شعرائهم هم ، ما استطاعوا ان يخلدوا به على وجه التاريخ .

عمر فروغ

## سينما الامبير

وايبدأ من الاثنين • حزيران

محمد عبد الوهاب وراقية

في القلم الغنائي المتنازع

مصاحبة في الساب

ايبدأ من الاثنين ٢٢ اذار

يوسف وهبي وراقية ابراهيم

في القلم الاجتماعي الخطير

بنت ذوات

# مكتبة الاديب



## حكم الحروف

للكدكتور عمر فروخ - ١٩٠٤ صفحات - مطبعة الكشاف - بيروت

لعل بعض القراء ينتظرون مني وصفاً خارجياً دقيقاً لهذا المؤلف الصغير الحجم ، كأن أذكر لون الغلاف وعدد الصفحات وقلمها ، وما إلى ذلك ...

ولعل قراء آخرين ينتظرون مني اختصاراً أميناً لهذا الكتاب ، أي شرحاً موجزاً لغيره ...

خاب إذن ظن أولئك وموتلأ ! فإنا أكرمهم ، ولهم ولو الحق في أن يكرهوني . . . إنا أكره القراء الذين لا يقرؤون . بل ينتظرون من ناقد مثلي أن يقتل لهم الكتاب اختصاراً ينتهم عن مطالبته . فقد شئت من الأدب المنقول . وإني لأفكر لك - لو كان هنا مجال لذلك - إسداء العشرات من « التآديين » يرفلون عنزيات الكتب كما يعرف الصيدلي عنزيات قواديرهم . . . من العناوين ! فإذا أجدها فيهم ، فمن طريق التفتد الخريش في الصفح الباردة . . .

لست إذن لأصف كتاب الدكتور فروخ وصفاً خارجياً دقيقاً كما يصف المستنطق جثة القتيل قبل الام بشرهها . ولست جاعلاً من هذا المثال خلاصة لذلك الكتاب ، يزدورها الهاري كما يبدع الحبوب الكيماوية : خلاصة الكبد والطحال والفند الكلوية . ولكني سأف في هذا الكتاب موقف منصف ، وموقف متطلع . . .

واقول انصافاً للمكتاب ان معظم النقاد الذين تناولوه قد ظالموه ظالماً مرعباً عندما قرروا انه كتب لطلاب البكالوريا . فإذا كانت لموتلأ الطلاب فائدة جمة بمطالعة « حكم الحروف » فالفائدة مضبوطة كذلك لكل مطالع ، ولكل متأدب ، بل لكل ادب نال من دروس المعري قسطاً وفيراً . وإذا كان الكتاب يستعرض آراء المعري في معجميات الفكر ، في الأيمان والملائكة والرسل والشرائع والمذاهب ، والتأويل ، والمعل والمجتمع ، والطبيعة البشرية ، والسياسة والادارة ، ورجل الدين والمامة والمرأة والزواج والنسل ، والحازم والجديد والروح ، والفلسفتين الاخلاقية والطبيعية - فإنه يستعرض كل ذلك بلإقة وقبحص ، مستوحياً جهد الانظمة ، فكرة رئيسية تسيطر على هذا الكتيب وتجعل منه خطوة جريئة ، لهذا الاول من نوعها في الادب العربي ، وعلى الاخص فيما كتب من المعري .

هذه الفكرة ، هي التي اوقنتني من الكتاب موقف متطلع . فقد حاول المؤلف ترتيب الزبويات ترتيباً تاريخياً ، ولعل من الصواب ان نستدرك فنقول انه اثار الى وجوب ترتيب الزبويات ترتيباً تاريخياً ، واعطي لمخطوط الرئيسية لهذه الطريقة ، وذكر فوائدها ، وتخلص من كل

ذلك الى القول « ان محاولة ترتيب الزبويات ترتيباً تاريخياً ، والفصل بين آراء المعري الاصيلة وبين آراء المتخلفين والمتكلمين التي استعرضها المعري في زبوياته » ثم فهم معنى الشك الفلسفي ، كل هذه تفني التناقض الذي يثم به بعضهم حكم المعري .

إنا لا نعتقد مع المؤلف ان التناقض الظاهر في اقوال المعري يزول قائماً بتم الزبويات فيها صحيحاً ، مبنياً على ترتيبها التاريخي ، وعلى الفصل بين آرائه الاصيلة وبين آراء المتخلفين والمتكلمين ، وكل فهم معنى الشك الفلسفي ، حق لو تركنا الى جانب ذلك نسبة معلومة لتطور الافكار ، ليعي تناقض في بعض اقوال المعري . فليس كل ما قال المعري وولد الفكر ، بل فيه ما هو وليد الحس والملاحظة ، التي تستطيع بلون الساعة ، ساعة الفرح الذي يوحى الايمان ، وساعة الحزن الذي يودي الى الكفر ! ولكن التناقض في اقوال المعري ، اذا لم يزل قائماً بفضل درس الزبويات درساً تاريخياً ، فلا شك انه زائل الا الله ، وأن المعري يظهر بعد ذلك وجباً مستقراً سريعاً واضح القصات بين الملامح ، أي مبدأ كل التبدل ما يسوره بعض المرجعين !

والواضح ان ابا العلاء لم ينظم الزبويات ترتيباً حسب الحروف المحيائية ، كما هي مرتبة في الطبعة التي بين يدينا . ولا يعل ، ما افترضنا من الالتزام والعت عند معين المحاييس الثلاثة ، ان يكون حاك لنفسه محباً رابياً ، هو النظم المنطق على قافية واحدة - ( الصخرة مثلا - الى ان يح له ما جاء منها . ثم الانتقال الى الحرف الذي يلي ، وهكذا دواليك . ولما كان ابي العلاء ينظم بترتيب ما لا يلزم ، فثاني القافية كما تأتي ، ثم بعد ان تم له ما اراد على كل ردي ، في حالته الاربع ( الضم والفتح والمخفص والكسرة ) عاد فجمع زبوياته بسلك القافية غير آبه لتاريخ نظم كل منها .

وقد ذكر الدكتور فروخ ادلة منطقية وادلة حسية تؤيد هذا الرأي ، منها ما يتعلق بجاية المعري ، ومنها ما يتعلق بجوالات تاريخية عميقة التاريخ ذكرها المعري في زبوياته . . . قبلد اليها الفاردي . العائمة في كتاب الأستاذ فروخ . وليكتف الفاردي ، الذي لا يريد ان يقرأ با القدم له من الفشور . . .

ولعل في بشكل خاص ان امتدح لغة الكتاب الصبيحية السلسة ، وذوق المؤلف بامتلاء الاشعار ، واختيار المواضع واختصارها دون بترها وكل من تاه يوماً في دعاويل المعري المتشابكة ، يعرف ان عمل المؤلف لم يكن بلاس اليسير !

وهنا ارتك الفاردي ، او اسرفه على طاعة للمكتاب ، واتوجه للمؤلف ملقياً على عاتقه عيبن ثنيتين : الاول ان يسد الى ترتيب الزبويات على النحو الذي دعا اليه ، ترتيباً تاريخياً كاملاً ما استطاع الكمال ، فقدف على المخطوطات المختلفة ، وطمع علينا بعد ذلك بطبعة خاصة للزبويات . والثاني ، ولا يمكن القيام به الا بعد الفراغ من الاول ، هو كتاب ضم في « فلسفة ابي العلاء » . وبعد ذلك - وبعد ذلك فقط - يمكن المؤلف ان يطالبني بكتابت موضوعه « ابر العلاء ، الاديب العالي » !

سلج حيدر

## رجعة إلى العلاء

للتأستاذ عباس العقاد - طيبة جديدة في دار إحياء الكتب العربية

لعل من مظاهر الطرافة في دراستنا الأدبية الحديثة أن كتابنا ومبحثنا إلى اتخاذ المنهج العلمي أساساً لمبحثهم ، لم يفلحوا عند ترون واحد من الزان الدرسية يمكنون فيه دون سواء . بل ظهرت ترعة إلى التفتن في اساليب دراستهم لشخصياتهم .

والثقة لتلمس في هذا التفتن الذي لا بد منه ليكون للدرس الادبي روح وحياء ، تلمس فيه رغبة صادقة بأن يقرب الباحث ما بين الادب العربي القديم وبين الذوق الحديث . فكثيراً ما تشفق بيض المختصين للحدثين بأن تراثنا الفكري يستلحق على النظم وأنه اثر قد طواه الزمن إذ طوى الحيل الذي اتجه والذي قرأه من العرب الاوائل .

والواقع أن امراضهم عن تراثنا أن هو الأثرة جهلهم لروايتهم . وأن هذا الجهل هو الذي يسوقهم إلى هذا القول الزور . . . واحسن ما يدحض مثل هذه الآراء . وما يبرز تلك الخصائص الانسانية التي يتم بها تراثنا الفكري وادبنا العربي هو تفتن الباحثين في بحث شخصياته المبدعة في صور حية تجلهم يعيشون معنا بفكرهم وادبهم مثلاً عاشوا مع من سبقنا من الاجيال العربية .

وهذا ما صنه العقاد في كتاب « رجعة إلى العلاء » .

فإن إبا العلاء يرحب مع العقاد صرعه الثابت يدخل بشخصيته الشاهرة المتكسفة بإتارات مصرنا عن . . . فيبحث جاك مطوّفاً يتجول في عالمنا الحديث : متسلطاً بمقار الحياة فيه : متنبهاً لآثار ما أوجده من مذاهب الفكر والسياسة : ويبعث منه أفكاره حياً لأب . وكأننا صيغ لتتابع مشكلات القرن العشرين ! وكأننا الحياة الانسانية وان تفرقت أشكالها وتجددت مقارها بصورة الجور في نفس العقاد وفي فكر إبي العلاء . . .

وكان هذه الورثة الزمنية المخارقة التي قد يغف الناقد شذوفاً إيمانها إن أرادها العقاد ليرزنا للعصر الانساني المتجدد مع الدهر في عبقريته إلى العلاء . . .

فلذلك هو المنصر الذي يلاص جوهر الحياة وينفذ إلى اغوارها : فتفتت الانسانية إليه لتري نفسها ماثلة فيه ما تداولها الزمان وإيمانها حل بها للمكان . . .

وإن إضاح هذا المنصر في فكرنا العربي : الذي لن ينشأ ينذري حولنا وظول البشرية جماء هو الذي غشاج إليه في شخصاته الحديثة لانه يزيد إيماننا بانفسنا ويعوي ثقتنا باننا نستطيع اليوم وفي القصد أن نتجج للانسانية مثلاً انتج لها العربي بالاس . . .

ونحيل إلى أن هذا هو المني الاول الذي نستوحيه من كتابنا العقاد . ويؤكد لدينا هذا المني أن العربي وقد دعي للطواف حول العالم على « بساط الریح » يأتي أن يحور شيئاً من شخصيته : ويقل « إبي العلاء » هو إبي العلاء . « ويرى من كل افراد من تشبهه بان ينير شيئاً من شخصيته القديمة بد أن ترجع إلى الدنيا جديدة ولا يلبس مثل الاكثرة الطواف حول هذا العالم الحديث .

ويأتى أن يقول كلمته في « حكم السيف » وفي « المستشرقين » وأن يزود « بلاد الشمال » وأن يشاهد في الاندلس الوالي كتب عليين « جر

الذيول » وقد أصبح بحارات ؛ وإن يكون « تلاق » بين وبين شوجنور في بلاد الجرماني ؛ وبينه وبين « خليفة داني » في إسبانيا ؛ وإن يشد « حكماً وعصية » في بلاد الانكايز ؛ وإن يدلي بـ « لب العبقرية » ليوثر الفلسفة والاديان الذي دمي إليه إثناء جولته ؛ وإن يسخر من « الاختراع » في أوروبا الذي صير الانسان كلاً له التي اخترعها ؛ وإن يذهب إلى « أقصى الغرب » ليشاهد آثار سياسة روزفلت في امريكا ؛ وإن يقصد من مثالك إلى « أقصى الشرق » وبلاد الهند وفارس والراق حيث يراود ذهنه « زهدان » زهد الهند وزهد نجد وإن يعود بعدها إلى « مصر »

لعم أنه يأتي هذا الطواف الطويل الا وهو يحفظ بشخصيته الاولى التي كوتها في رأي العقاد اسباب خاصة من « تربية اسره » ومن « خليفته العربية » ومن « قدود مصر » ومن « كبرياته وهزة نفسه » و « ضعف بنيته » فوسمها بشيعة عزيزة غلبت حياتها هي « السبت والوقار او هي كما تقول في لغة العصر لحاضر ادب البيت واصول البياقة » ص ٢٢ ولولا هذه البياقة لكان إبي العلاء شخصية غير التي عرفها التاريخ وملحق للانسانية غوجباً جديداً في الفكر والحياة بين « النولية » و « الحياوية » .

ولولا حبرتنا في بعض المواطن في تقيص الرأى لولف القرن العشرين أو ليحكم القرون الوسطى لا اعتقدنا مع العقاد أن العربي قد رجع إلىنا حقاً بعد قياه الطويل .

واشيراً نذكر لدار إحياء الكتب العربية في القاهرة فضلها في طبع الكتاب - طبعة جديدة - رحمت به إلى الحياة الادبية مثلاً رجع العقاد إلى الدنيا إلى العلاء . . .

حسن صعب  
ليسانسي في الآداب

## البانصيب الوطني

جرى سحب الاصدار الرابع للبانصيب الوطني ، فرائنا لخطه هذه المرة يسم ايضاً لطباعت المستخدمين والمال ، فبناك : السيد عبد الحميد بن احمد خلع من حوسار في مرة الثمان سوريا . يحمل الورقة ذات الرقم ٧٨٢٧٠٠ ربح ٥٠٠٠٠ ليرة .

السيد جورج سليم الدهان بروت . موظف في ادارة المصرف الوطني للتجارة والصناعة . يحمل الورقة ذات الرقم ٥٧٠٩٤ ربح

٥٠٠٠ ليرة لبنانية . السيد ميشال

خطوس . موظف في إحدى الدوائر

الرسمية ربح ٥٠٠٠ ليرة لبنانية تحت

رقم ٦٨٠٥٥ السيد ميشال كوكوتي

مستخدم في إحدى المحلات التجارية

ربح ٥٠٠٠ ليرة لبنانية تحت رقم

٣٦٨٨٩ .

وترى إلى جانب هذا الكلام

صورة احمدم السيد جورج سليم الدهان

